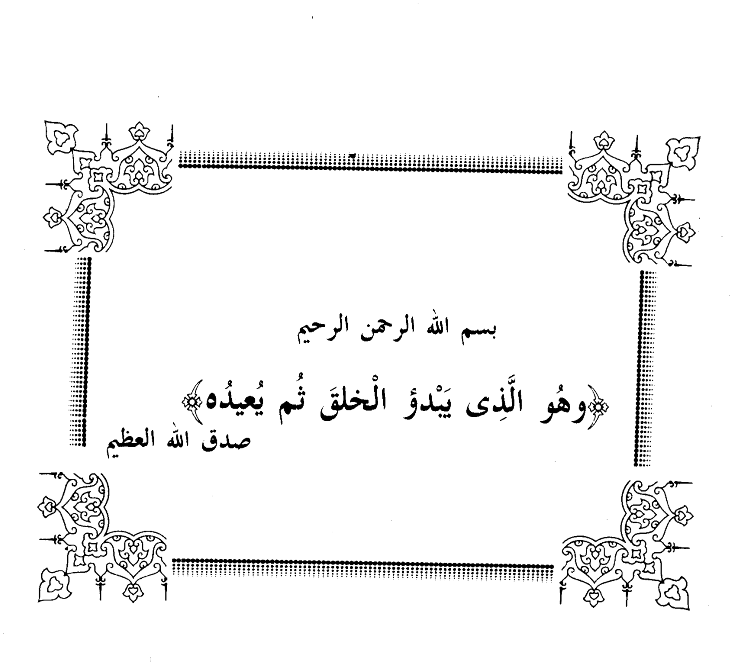
ليلى مبروك

علامات
الساعة الصغرى والكبرى


بسم الله الرحمن الرحيم


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وهُو الَّذِى يَبْدؤ الْخلقَ ثُم يُعيدُه﴾
صدق الله العظيم

إهداء

إلى أعز وأغلى إنسان عندى فى الوجود

إلى أرق وأروع وأحلى حب أحببته لبشر فى حياتى

إلى روح وجودى التى عجز قلمى عن وصفها

كما عجز لسانى عن التعبير إليها ولو بكلمة حب أو شكر أو تقدير

إلى من تسمو فوق الكلمة

إليك يا أمى :

أهدى أول كتاب يصدر لى بعد تجربتى الأولى فى كتيب :

(رحلة مع الروح فى العالم الآخر) .

ليلى

بين يدى الكتاب

(١)

﴿اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة مُعْرِضُون﴾[1]

الساعة الصغرى .

اقتربت الساعة .. وامتلأت الأرض بالناس .. اشتد الزحام .. وفى وسط الزحام .. كثر المال .. تطاول الناس فى البنيان وقد كانوا حفاة عراة .. اشتد القتل .. قتل الإنسان أباه وأمه وبنيه .. ظهرت الغيرة والحقد .. انتشر النفاق .. أصبح سيد الناس أرذلهم .. فتاهت المعانى الحلوة .. كادت تحتضر .. ضاعت المفاهيم .. واختلطت الأمور .. كلها من علامات الساعة .

أليست تلك كلماتك ؟! أجل .. إنها كلماتك .. أنا لا أفترى عليك عزيزى القارىء .. فكثيرا ماتردد : اقتربت الساعة .. اقتربت الساعة .. مالك أنت والساعة وعلاماتها ! مالك أنت والعالم ونهايته ؟

كل مايعنيك هو ساعتك أنت .. نهايتك أنت .. وساعتك قريبة .. مهما طال العمر فهى قريبة .. قريبة إذا ماقورنت بساعة الدنيا .. بساعة البشرية كلها .. وساعة الإنسان هى لحظة موته .. اللحظة التى يمحى فيها من على وجه الدنيا وينتقل منها إلى عالم آخر فى روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار .. لايبقى له فى الدنيا إلا ذكرى .

وقد سئل الرسول ﷺ عن الساعة فنظر إلى أصغر غلام وقال :

(لن يُدرك هذا الهرم حتى تأتيكم ساعتكم) .

---

(١) الأنبياء — ١

ويعنى ذلك أن هؤلاء الناس الذين سألوه عن الساعة سيموتون قبل وصول ذلك الغلام الصغير لسن الشيخوخة ، وتلك هى سنة الحياة ، فالمراد بساعتهم انقراض عصرهم وحياتهم أى انتهاء حياتهم فى مدة عمر ذلك الغلام ، ومن يموت منهم فإنه يدخل فى حكم الآخرة ، ، أى تأتيه ساعته ، وبعض الناس يقول : من مات فقد قامت قيامته .

كما سئل ﷺ عن الساعة قبل أن يموت بشهر فقال :

تسألوننى عن الساعة ، وإنما علمها عند الله . والذى نفسى بيده ما أعلم اليوم نفسا منفوسة تأتى عليها **مائة سنة**) .

ومعنى هذا أنه لا يبقى ممن هو كائن على وجه الأرض من أهل ذلك الزمان أحد إلى مائة سنة ومن جاز مائة سنة فهو من طائفة المعمرين . نستنتج من ذلك أن موعد الساعة الكبرى وهى ساعة فناء العالم كله ثم بعثه من جديد واجتماع الأولين والآخرين فى صعيد واحد للحساب والجزاء لا يعلمه إلا الله وحده ، أما الساعة الصغرى وهى ساعة موت الإنسان كفرد وانتقاله إلى العالم الآخر فهى قريبة ومهما طالت فلن تطول عن مائة سنة إلا فى حالات نادرة . لا تتعجب أيها القارىء .. مهلا علىّ .. أنا لا أناقض نفسى .. دعنى أشرح لك وجهة نظرى .. حين أكتب عن الساعة وعلاماتها .. لا أكتبه إليك .. إنما أكتبه لجيل من الأجيال المقبلة .. لست أدرى من هو ذلك الجيل بالتحديد .. ولكنى أعلم يقينا أن الإنسان يموت .. أما الكلمة فلا تموت .. وإنى حتما سأموت .. أما كلماتى فقد لا تموت .. قد يقرؤها أبناء الجيل التعس .. الجيل الذى سيعاصر الفتنة الكبرى .. أعظم فتنة فى التاريخ .. وهى فتنة المسيخ الدجال .

تخيل أن شخصا يملك عن يمينه جنة وعن يساره ناراً .. تراهما رأى العين ويقول لك : أنا ربك أحيى وأميت .. وبالفعل تدعوه أن يحيى لك أباً أو أخاً ، وإذا به قد أحياه لك .. رأيت أباك قد تمثل أمامك بعد موته .. يكلمك

وتكلمه .. ماذا تفعل ؟ هل تؤمن بهذا الذى يدعى أنه الرب ليدخلك جنته ؟! أم أنك تكذبه فيدخلك ناره ؟!

فتنة ! .. أية فتنة ! . مهما كانت درجة إيمان الإنسان فقد يتزعزع ويتحول من مؤمن إلى كافر بسبب جهله بعلامات الساعة وهروبه من مجرد السماع عنها بدعوى أنه يبعد عَمَّا يؤلم مشاعره الرقيقة المرهفة ! وفى لحظة مواجهة الموقف الصعب يتزعزع .. يضعف .. ينهار إيمانه ويتحول إلى كفر والعياذ بالله .. هكذا يكون قد هوى إلى الهلاك الأبدى .

لذا فالإنسان العاقل هو من يحصن نفسه ضد تلك الفتن الرهيبة .. التى قد يعاصرها ولو فى أواخر أيامه .. وقد لا يعاصرها إنما يعاصرها أبناؤه .. فالواجب عليه أن يتحصن منها ويحصن أبناءه منها ، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق العلم والمعرفة ، وأفضل منبع للعلم هو القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وهذا ما أحاول اتباعه وأتمنى التوفيق من الله تعالى .

فلنحاول معا البحث عن حقيقة الدجال .. من هو ؟ هل هو إنسى أم جنى ؟ أشيطان هو ؟ هل يحيى ويميت حقا ؟ وكيف ؟ ماسر جنته وناره ؟ متى يهبط مسيح الهدى من السماء ليقتل مسيح الضلالة ؟ وكيف ؟ من يأجوج ومأجوج ؟ أمن الإنس هما ؟ هل هما رجلان ؟ أم دولتان ؟ ماذا يفعلان فى الأرض ؟

تساؤلات .. تساؤلات عديدة سنذكرها فى حينها إن شاء الله .



(٢)

﴿إنهم يرونه بعيداً ونراه قريبا﴾[١]

موعد الساعة الكبرى .

منذ ماضٍ بعيد .. بعيد .. ونحن نسمع عن اقتراب الساعة .. مضت قرون وقرون .. والإنسان مازال يردد : ظهرت علامات الساعة .. اقتربت الساعة .. نزل القرآن الكريم من الله تعالى على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام منذ مئات السنين .. ينذر باقتراب الساعة .. فقال فى سورة القمر : ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ .. والقمر قد انشق بالفعل فى عهد الرسول ﷺ .. ولكن الساعة لم تأت بعد .. تنبأ سيدنا سليمان عليه السلام بأن سيدنا محمداً ﷺ سيكون نبى آخر الزمان .. ظهر محمد عليه الصلاة والسلام .. مرت أعوام وأعوام .. قال أجدادنا نحن فى آخر الزمان .. ورردده آباؤنا .. ومازلنا نحن نقول : إننا فى آخر الزمان .

كلام الله تعالى حق .. أخبار الأنبياء حق .. إذن فهى حقيقة .. نحن فعلا فى آخر الزمان .. الساعة حقا قد اقتربت .. ولكن العلامات الكبرى للساعة لم تظهر بعد .. وقد تظهر وتتتابع فى خلال عشرات أو مئات السنين أو أكثر .. إذن فنحن مازلنا فى أول الزمان .. آخر الزمان لم يأت بعد .. ربى ! .. أتناقض هذا ! .. أم هى حكمة لا نعلمها ! .

منذ ماضٍ بعيد ... وقبل أن ترد كل تلك التساؤلات الحائرة بالأذهان .. أجاب سيدنا محمد ﷺ بما معناه أن المسألة نسبية فقال : (بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل إحداهما على الأخرى) وضم السبابة والوسطى . وقد أشار القاضى عياض والقرطبى وابن كثير وغيرهم من العلماء إلى أن الحديث يدل

---

(١) المعارج ٦ — ٧

على اقتراب الساعة بالنسبة إلى مامضى من الدنيا ، أى يدل على قلة المدة بين بعثة الرسول ﷺ وبين الساعة إذا ماقورنت بالمدة مابين خلق آدم وبعثته عليه الصلاة والسلام .

ولزيادة التوضيح أشير إلى تفسير محمد سلامة جبر فى كتابه (أشراط الساعة وأسرارها) . فهو يعتقد أن رسول الله ﷺ شبه عمر الدنيا من عهد آدم إلى أن تقوم الساعة بالإصبع الوسطى ، وشبه مامضى من عهد آدم إلى عهده عليه الصلاة والسلام بالسبابة وهى الشاهد ، فيكون فرق مابينهما فى الطول هو الزمن الباق على قيام الساعة .

ويؤكد نفس المعنى قوله عليه الصلاة والسلام أيضا فى حديث آخر : (وما أجلكم فى أجل من كان قبلكم إلا من صلاة العصر إلى مغرب الشمس) .

ويعنى ذلك أن الباق من عمر البشرية كما بقى من النهار حين آذنت الشمس بالمغيب بعد صلاة العصر ، أى مابقى من الدنيا بالنسبة إلى مامضى منها شىء يسير جدا ، ومع هذا لا يعلم مقداره على اليقين والتحديد إلا الله تعالى ، كما لا يعلم مقدار مامضى إلا الله عز وجل ، أما ماقيل فى تحديد ماسلف بملايين وألوف ومئات من السنين فقد نص أكثر علماء الدين على تخطئتهم .

وصدق الله العظيم حين قال فى كتابه العزيز : ﴿يسألونك عن الساعة قل إنما علمها عند الله﴾ وقال أيضا : **﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند ربى﴾** . كما قال : **﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾** و **﴿إن الله عنده علم الساعة﴾**(١) .

ولما سئل الرسول ﷺ عن الساعة قال : (تسألوننى عن الساعة إنما علمها عند الله) .

---

(١) لقمان — ٣٤ .

إذن فعلام الغيوب وحده عنده علم الساعة بالتحديد ، حتى رسوله الكريم لم يحط علما بموعدها .. ، فقد أشار فى أحاديثه الشريفة إلى اقترابها .. ولم يشر إلى تحديد موعدها .. أشار إلى علاماتها .. والساعة لن تقع إلا بعد ظهور كل علاماتها التى وردت فى القران والسنة .. لكن متى تقع كل تلك العلامات ؟ متى تقوم الساعة ؟ العلم عنده وحده ، وقد أنذرنا فى كتابه العزيز بقوله : ﴿**فقد جاء أشراطها**﴾ .

ولقرب قيامها عنده تعالى جعلها كغدٍ الذى بعد يومك فقال :

﴿**ولتنظر نفس ماقدمت لغد**﴾ كما قال عن الساعة أيضا : ﴿**كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية** [1] **أو ضحاها**[2]﴾ (النازعات – ٤٦) كذلك قال جل جلاله : ﴿**ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم**﴾ . و ﴿**قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ، قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ، فَسْئل العادّين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون**﴾[3] .

قرأت .. تأملت .. تأملت الأرض وناسها .. تأملت الدنيا وصراعاتها .. قتال البشر على البقاء فيها .. تأملت العمر وضياعه .. قرأت .. تأملت .. وها أنا أكتب :

العمر لحظة .. ليس عمرى أو عمرك .. إنما هو عمر الدنيا .. عمر البشرية .. عمرها كله لحظة إذا ماقيس بمعايير العالم الآخر .. عالمنا الأبدى . وصدق الله العظيم حين قال :

﴿**وإنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كألفِ سنةٍ مما تَعُدُّون**﴾ . (الحج – ٤٧) .

(١) عشية : مابين الظهر إلى غروب الشمس ؛ قال ابن الأنبارى : العشية مؤنثة ، وربما ذكرتها العرب على معنى العشىّ .

(٢) ضحاها : مابين طلوع الشمس إلى نصف النهار .

(٣) المؤمنون : ١١٢ ــ ١١٤ .

مفهوم الساعة

ترى ! ماهى الساعة ؟ ولماذا سميت بالساعة ؟ وهل هناك فرق بينها وبين القيامة أم أنهما شيء واحد ؟ .

يقول السفارينى فى كتابه (المسيخ الدجال وأسرار الساعة) :

(المراد بالساعة يوم القيامة وسميت الساعة لقربها ، أو لأنها تأتى بغتة أو فى ساعة أو لأن بعث الموتى من قبورهم يكون فى أسرع من اللمحة ، أو لأن فصل القضاء فى ذلك اليوم فى قدر ساعة) .

وأقول والله أعلم : إن الساعة هى ساعة النفخ فى الصور : نفخة الفزع وهى إنذار بفناء العالم .. تمتد حتى نفخة الصعق وفيها يفنى العالم كله ؛ فتموت كل مخلوقات الأرض والسماء ولا يبقى إلا الله الواحد القهار ؛ يطوى السماوات والأرض كطى السجل للكتاب .. وأخيراً نفخة البعث وقيام العالم للحساب والجزاء .. إذن فالساعة هى لحظة أو ساعة النفخ فى الصور منذ النفخة الأولى إلى الأخيرة .. وهذه اللحظة أو الساعة قد تكون أعواما وأعواما ، أما القيامة فهى بعد النفخة الأخيرة وهى نفخة البعث وحتى نهاية يوم الحساب . والله أعلم .

وأصدق القول قوله تعالى : ﴿**ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**[1]﴾ .

﴿**وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب**)[2]﴾ .

(١) الزمر — ٦٨ .

(٢) النحل — ٧٧ .

إنذارات .. تحذيرات .. إشارات وعلامات .. استعداداً للساعة الرهيبة .. أنذرنا بها الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز .. حذرنا منها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .. أكثر سيدنا محمد ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها .. أخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة .. نبهنا وحذرنا للتأهب لتلك العقبة الشديدة .

تنبأ بأحداث قبل وقوعها .. مرت الأيام وتحققت بالفعل .. تحققت أغلب الأشراط الصغرى للساعة .. وهانحن على أبواب الأشراط الكبرى .

أشراط الساعة منها ماقد ظهر وانقضى وهى الأمارات البعيدة .. ومنها ماظهر ولم ينقض بل لايزال فى زيادة حتى إذا بلغ الغاية ظهرت الأمارات الكبيرة القريبة التى تعقبها الساعة .

﴿يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم ﴾[1] .



(١) الحج — ١ .

الباب الأول

أولا : العلامات التى ظهرت وانتهت

ثانيا : العلامات التى ظهرت ومازالت وستستمر حتى آخر الزمان

أولا : العلامات التى ظهرت وانتهت

أجل .. العلامات التى ظهرت وانتهت .. ما الغريب فى هذا ؟! أتعتقد أن علامات الساعة لم تبدأ فى الظهور إلا فى وقتنا المعاصر ؟! لا أيها القارىء .. هناك علامات ظهرت وانتهت بالفعل وقد حدث ذلك منذ قرون عديدة حيث كانت أول تلك العلامات هى بعثة سيدنا محمد ﷺ ، وقد أشرنا إلى ذلك مسبقا . أنسيت ؟! .

قبل ظهور محمد ﷺ بأزمان بعيدة أشار من سبقه من الأنبياء صلى الله عليهم وسلم أنه سيكون نبى آخر الزمان وأنه خاتم الأنبياء . وكان أولهم إبراهيم ﷺ وآخرهم عيسى ﷺ .

١ - بعثة نبى آخر الزمان (محمد عليه الصلاة والسلام)*

روى الإمام أحمد عن أبى أمامة قال : قلت يارسول الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال : «دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى بى ، ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» .

واضح من الحديث الشريف أن أول من نوه بذكر المصطفى هو أبو الأنبياء جميعا إبراهيم عليه السلام الذى أنجب إسماعيل أبا المسلمين ، وإسحاق أبا اليهود والنصارى . وكان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام هو آخر الأنبياء من بنى إسرائيل (وهو يعقوب بن إسحاق) ، أما سيدنا محمد ﷺ فقد كان آخر الأنبياء جميعا ، وكان من بنى إخوتهم ، وإخوة بنى إسرائيل هم بنو إسماعيل .

بعد تنبؤ إبراهيم الخليل عليه السلام بنبى آخر الزمان تنبأ به كذلك سائر أبنائه من أنبياء الله تعالى ورسله وكان آخرهم عيسى ﷺ الذى قال لقومه كما

* مراجع هذا الجزء الخاص ببعثة نبى آخر الزمان هى تفسير القرآن لابن كثير ، أسرار الجن لمصطفى فهمى الحكيم ، قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ، كلمات القرآن تفسير وبيان لحسنين محمد مخلوف .

ورد بالقرآن الكريم : (إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) .

أما قوله ﷺ : «رأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» فذلك النور هو أحمد عليه الصلاة والسلام حين يشع منه نور الهداية والإسلام إلى سائر الناس .. ينتشر ذلك النور ويستمر إلى آخر الزمان حيث ينزل عيسى عليه السلام ببلاد الشام ليؤكد رسالة نبى آخر الزمان ويدعو إلى الهداية بنور الإسلام .

وقد جاء فى الصحيحين : «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك» . وفى صحيح البخارى «وهم بالشام» .

كما روى عن كعب الأحبار أنه حين كان سيدنا سليمان عليه السلام يسير الى اليمن مَرَّ فى طريقه بالمدينة النبوية فقال : هذه دار هجرة نبى يكون آخر الزمان ، طوبى لمن تبعه .

ويكفينا فى هذا الصدد ذكر ما ورد عن لسان الحق تعالى فى سورة الأعراف آية ١٥٧ : ﴿**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصْرَهُم**(١) **والأغلال**(٢) **التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعَزّرُوه** (٣) ونصروه واتبعوا النور(٤) **الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾ .

هذا هو نبى آخر الزمان محمد ﷺ .. ظهوره دلالة على اقتراب الساعة . فقيل عنه : إنه الحاشر الذى يحشر الناس على قدميه ، أى أن الفترة مابين بعثته

(١) إصرهم : عهدهم بالعمل بما فى التوراة .
(٢) الأغلال : التكاليف الشاقة فى التوراة . (يضع عنهم إصراهم والأغلال) : المقصود أنه جاء بالتيسير والسماحة .
(٣) عزروه : وقروه وعظموه .
(٤) واتبعوا النور الذى أنزل معه : أى القرآن والوحى الذى جاء به مبلغا الى الناس .

ﷺ وبين قيام الساعة فترة وجيزة جدا ، وقد سبق وأوضحنا أن المسألة نسبية . والأحاديث الشريفة الدالة على ذلك كثيرة كما ذكرنا آنفا ومنها قوله ﷺ «بعثت أنا والساعة هكذا» وأشار بإصبعيه السبابه والوسطى .

﴿إن الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا[١] أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم[٢] ولهم عذاب أليم ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ، ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد[٣]﴾ (البقره - ١٧٤ -١٧٦) .

٢ - العلامة التى ظهرت أيام محمد ﷺ
﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾

تلك هي العلامة التى وقعت أيامه عليه الصلاة والسلام .. انشقاق القمر كما ورد بالآية الكريمة رقم (١) من سورة القمر .. ها هو ذا كتاب الله العزيز ينذر باقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها .. فالساعة قد اقتربت .. والقمر قد انشق بالفعل منذ مئات السنين ! وهنا يتبادر إلى ذهنى تساؤلات عديدة : متى انشق القمر ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ انشق القمر والرسول الكريم فى مكة قبل الهجرة ، وذلك حين سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية[٤] ، فانشق القمر شقين : أحدهما من دون الجبل والآخر من خلف الجبل حتى رأوا حراء بينهما ، فقالوا: سحرنا محمد ، ولكن إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .

وكانت تلك إحدى المعجزات الباهرات !

---

(١) ثمنا قليلا : عوضا يسيرا .
(٢) لا يزكيهم : لا يطهرهم من دنس ذنوبهم .
(٣) شقاق بعيد : خلاف ونزاع بعيد عن الحق .
(٤) آية : دليلا .

العلامات التى ظهرت بعد موته عليه الصلاة والسلام

هناك علامات تنبأ بها الرسول ﷺ ووقعت بالفعل ، لكن بعد موته . وهى كثيرة لا حصر لها ، سنشير إلى بعض منها بإذن الله تعالى ؛ لأنها تؤكد أن كلامه عليه الصلاة والسلام حق لا ريب فيه ، وأن علامات الساعة التى ذكرها بأسرها لابد واقعة .. إن قريبا أو بعيدا ، فلنؤمن بها ، ولنتحصن منها ، استعداداً لمواجهتها .

٣ – التنبؤ بخلافة أبى بكر الصديق

عند اقتراب موت الرسول عليه الصلاة والسلام همّ أن يكتب للصديق كتاباً بالخلافة من بعده ، لكنه راجع نفسه ولم يفعل ليقينه التام بأن المسلمين لا يعدلون عنه وقال : «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» .

كذلك روى البخارى موقفا آخر للرسول الكريم يبرز مدى ثقته بخلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه من بعده ، ويتضح هذا من قوله ﷺ لتلك المرأة التى قال لها : «ارجعى إلى» ، فقالت : أرأيت إن لم أجدك ، كأنها تعرض بالموت ، فقال : «إن لم تجدينى فأتى أبا بكر» .

وبالفعل كان القائم بالأمر من بعده أبو بكر رضى الله عنه .

٤ – خلافة عمر ابن الخطاب

لم يوحَ إلى الصادق الأمين بخلافة الصديق فقط ، بل أوحى إليه أيضا بخلافة عمر الفاروق بعد أبى بكر .

وفى ذلك قوله ﷺ : «اقتدوا باللَّذَيْن من بعدى : أبى بكر وعمر» وبالفعل تولى أبو بكر الصديق الخلافة بعد رسول الله ﷺ ثم تولاها بعده عمر بن الخطاب . وقد وافق ذلك ما أخبر به الصادق الأمين سواء بسواء .

٥ - فتح مصر

تنبأ أيضا بفتح مصر وعلم أن بها إخوة من الأقباط فأوصى بهم خير وصية فقال عليه الصلاة والسلام : «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا (مصر) بالقبط» . وفى رواية : «فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً» .

بالفعل افتتحت مصر سنة ٢٠ هـ أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد عمرو بن العاص .

٦ - هلاك قيصر وكسرى

قال عليه الصلاة والسلام فيما ثبت عنه فى الصحيحين : «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله» .

مرت الأيام .. بل الأعوام .. وكالمعتاد تحققت النبوءة .. متى ؟ كيف ؟ إليك الإجابة :

وقع ذلك على مدى سنوات عديدة فى زمن أبى بكر وعمر وعثمان .. كان العرب وقتئذ يسمون قيصر من ملك بلاد الروم مع الشام والجزيرة .. وكان قيصر حينئذ هو هرقل .. فانزاحت يداه عن بلاد الشام والجزيرة ، وثبت ملكه مقصورا على بلاد الروم فقط . هكذا هلك قيصر ، ولم يملك ملك الروم بعد ذلك بلاد الشام والجزيرة ، ولن يملكها أبدا بناء على ماورد على لسان الصادق ﷺ أما كسرى فله حكاية .. مزق اللعين كتاب رسول الله ﷺ .. فدعا عليه النبى الكريم بأن يمزق ملكه .. وفى زمن عمر سُلِب كسرى عامة ملكه .. ثم استؤصل باق ما فى يده فى خلافة عثمان .. وأخيرا قتل سنة ٣٢هـ . هكذا هلك كسرى ايضا ولا كسرى بعده .

وهنا تداعب فكرى قصة طريفة .. اسمح لى أخى القارىء أن أعرضها عليك : ذهب شيخ من شيوخ الجاهلية القساة إلى رسول الله ﷺ وقال له : يامحمد ! ثلاث بلغنى أنك تقولهن لا ينبغى لذى عقل أن يصدقك فيهن ! بلغنى

أنك تقول إن العرب تاركة ماكانت تعبد هى وآباؤها ، ولتظهرن على كنوز كسرى وقيصر ، وأنا نبعث بعد أن نرم .

فقال رسول الله ﷺ : «أجل ، والذى نفسى بيده لتتركن العرب ماكانت تعبد هى وآباؤها ، ولتظهرن على كنوز كسرى وقيصر ، ولتموتن ولتبعثن ، ثم لآخذن بيدك يوم القيامة فلأذكرنك مقالتك هذه» .

قال الرجل : ولا تضلنى فى الموتى ، ولا تنسانى ؟

قال عليه الصلاة والسلام : «ولا أضلك فى الموتى ولا أنساك» .

ثم توفى رسول الله ﷺ وعاش الشيخ حتى رأى ظهور المسلمين على كسرى وقيصر فأسلم وحسن إسلامه . وفى ذات يوم اجتمع مع عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله ﷺ ، فقال له عمر : قد أسلمت . ووعدك ﷺ أن يأخذ بيدك ، ولا يأخذ ﷺ بيد أحد إلا أفلح وسعد إن شاء الله !

٧ - تحويل الخلافة إلى ملك

قال ﷺ : «الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً»

انتبه معى أيها القارىء : فقد تحقق ذلك .. اشتملت هذه الثلاثون سنة على خلافة أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلىّ بن أبى طالب ، وكان ختامها وتمامها الأشهر الستة التى تولى فيها الحسن بن على بعد أبيه ، وعند تمام الثلاثين تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان ، وكان ذلك عام ٤٠هـ هو الذى سمى بعام الجماعة ؛ ثم نقل معاوية نظام الحكم فى الدولة الإسلامية من نظام الخلافة الذى يعتمد على الشورى إلى نظام الملك الذى يقوم على أساس الوراثة .

ذلك بإيجاز شديد وسنورده مسلسلا كما ورد بالتاريخ مع بعض التفصيلات عند الحديث عن الفتن بإذن الله تعالى .. لكن قبل الخوض فى الكلام عن الفتن لى كلمة : فقد يعتقد البعض أنى خرجت عن موضوع الساعة ، وعلاماتها ، ودخلت فى التاريخ وأحداثه والحقيقة أنهما شىء واحد أمارات الساعة هى

نفسها أحداث التاريخ التى تنتهى بفناء العالم .. أول تلك الأمارات هى نفسها أول الأحداث التى تقربنا من وقت قيام الساعة (والمسألة نسبية كما ذكرنا آنفا) ، فحين أذكر حديثا لرسول الله ﷺ لا يشترط أن يتضمن لفظ علامات الساعة صريحا مباشرا ؛ لأن بعثة النبى عليه الصلاة والسلام هى نفسها أول أشراط الساعة كما اتفقنا وعندما يوحى إليه الله تعالى بحدث ما فهو يقين لا ريب فيه ، وبناء على ذلك فلابد من وقوعه قبل نهاية العالم أى قبل قيام الساعة ، فهو إذن من علاماتها ، منها ماقد حدث بالفعل وانتهى ، وهذا مانحن بصدد الحديث عنه الآن .. وعلى كلٍّ فالحديث التالى مباشرة يشمل لفظ الساعة صريحا مباشراً !

٨ – الفتن

أخرج الترمذى : عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم ، وتجتلدوا بأسيافكم ، ويرث دنياكم شراركم» ..

وقع كل ذلك .. تابع معى أيها القارىء خطوة بخطوة : قتل المسلمون إمامهم وخليفتهم عثمان بن عفان رضى الله عنه ، استمرت بعد ذلك الفتن ووقعت الحروب ، ثم ولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة وحولها إلى ملك يعتمد على الوراثة .

وإليك تلك الأحداث مفصلة بعض الشىء كما وردت بترتيب أحداثها فى التاريخ :

أ – مقتل عثمان بن عفان :

أخبر النبى ﷺ عن عثمان أنه من أهل الجنة على بلوى تصيبه . فوقع الأمر كذلك ، حصر فى الدار ، وقتل صابرا محتسبا شهيدا رضى الله عنه . قال حذيفة : أول الفتن قتل عثمان . تساءلت ! لماذا قتل ؟! وكيف ؟! ومتى ؟!

أجاب التاريخ : حدثت فتنة فى أواخر عهد عثمان .. اعتمد على أقاربه من بنى أمية منذ تولى الخلافة ، فأسند إليهم المناصب الهامة بالدولة .. نجحوا فى ضم مناطق جديدة إلى حوزة الدولة الإسلامية ، وأثبتوا كفاءة فى شغل مناصبهم .. لكن الشعب عانى من عنف معاملتهم .. زيادة أملاكهم على حساب الرعية .. التباهى بالفاخر من الثياب والقصور .. التفاخر بالحسب والنسب .. التكبر على عامة الشعب.. عنف .. قسوة .. ظلم من جانب الولاة فى أنحاء البلاد العربية بدعوى أنها أوامر عثمان .. وعثمان برىء منهم ومن أفعالهم .

ضاق الناس بالحكم .. ثاروا .. اجتمع وفود من مصر والكوفة والبصرة والمدينة .. طالبوا الخليفة عثمان بن عفان بعزل هؤلاء الولاة خاصة وزيره مروان بن الحكم .. طالبوا وطالبوا مراراً وتكراراً .. دون جدوى .

وفى النهاية ضربوا حصاراً حول دار الخليفة استمر أربعين يوماً .. وكالمعتاد وقف على بن أبى طالب إلى جانب عثمان فى تلك المحنة كما فعل معه من قبل هو وأولاده وأصحابه .

فى ١٨ من ذى الحجة سنة ٣٥هـ كانت النهاية .. هجم عليه بعضهم .. ضربوا عنقه بالسيف .. مات عثمان .. مات شهيدا عابدا .. انتهت قصة كفاح طويلة من أجل الإسلام .. بكاه الناس .. حتى من طالبوا بقتله .. وجدوا عليه أشد الوجد(١) .

من الصعب تحديد القتلة من بين كل تلك الجموع من أنحاء البلاد الإسلامية . كانت هذه هى أول فتنة واجهها الإمام على بن أبى طالب الذى تولى الخلافة فى أواخر ذى الحجة عام ٣٥هـ بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان بحوالى خمسة أيام .. بايعه أهل المدينة .. رفض .. لكنه اضطر أخيرا أن يقبل الخلافة خشية وقوع خلاف بين المسلمين .

---

(١) الوجد : الحزن ــ أى حزنوا عليه أشد الحزن .

تتابع الفتن بعد مقتل عثمان :

حينئذ انتهز الفرصة معاوية بن أبى سفيان والى الشام وابن عم عثمان بن عفان وأخذ ينادى بدم عثمان وهو فى الحقيقة يسعى وراء الملك .. ساعده فى ذلك مروان بن الحكم ابن عم عثمان ووزيره .. حرضا طلحة والزبير ، وهما بدورهما حرضا عائشة رضى الله عنها على علىّ بن أبى طالب بدعوى أنه لم يقتصَّ من قتلة عثمان ، فغدا القصاص لعثمان أمرا عسيرا فى ظل هذه الظروف الثائرة وتلك الفتن القائمة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان من المسلمين ، فيكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة» .

وعنه رضى الله عنه أيضا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال :

«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كل يزعم انه رسول الله ، وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرْج وهو القتل ، وحتى يكثر المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى فيه ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : ياليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً» .

قرأنا الحديث .. انتظرنا .. توجهت الأنظار إلى حرب عالمية ثالثة بين روسيا وأمريكا .. يفنى بعدها العالم ، وتقوم القيامة وينتهى الموضوع !

لكن .. هل تنطبق الشروط الواردة بالحديث الشريف على الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ؟! هل دعواهما واحدة ؟ أهما فئتان من

المسلمين ؟ هل ورد بالحديث أن تلك المقتلة العظيمة ستكون هى نهاية العالم ؟ أمْ أنها مجرد علامة من علامات الساعة تعقبها علامات وعلامات ؟!

قال البعض : إنها الحرب بين العراق وايران .. أهما فئتان عظيمتان ؟ هل دعواهما واحدة ؟!

انتظرنا .. ومازلنا ننتظر الحرب الكبرى بين دولتين عظيمتين من المسلمين .. دعواهما واحدة .. ها نحن ننتظر .. والتاريخ يسجل ويضحك فى صمت .. فلنعد إلى الوراء .. ولنستمع إليه .. ماذا قال ؟

قال التاريخ : حين تولى على بن أبى طالب الخلافة .. عزل ولاة عثمان الذين كانوا سببا فى إثارة الشعب عليه وقتله إياه .. عزل قتلة عثمان الحقيقيين .. عين بدلا منهم ولاة آخرين .. لكن الوالى الذى أرسله إلى الشام رده بعض أتباع معاوية بن أبى سفيان وهو فى طريقه إليها .. أخذ معاوية وأعوانه يثيرون الفتن بين المسلمين فى أنحاء البلاد الإسلامية ، ويحرضون الناس على قتال علىّ لأنه لم يقتصّ من قتلة عثمان .

علم على أن معاوية يجهز جيشا للزحف على المدينة .. رأى رضى الله عنه ألا ينتظر وليخرج إليه بجيشه إلى الشام ليلزمه الطاعة واتباع الجماعة ، لكنه علم أن طلحة .. والزبير وعائشة رضى الله عنهم قد ساروا إلى البصرة لقتاله .. فعدل عن غزو الشام .. ومضى فى سيره إلى الكوفة حيث خرج معه عدد كبير .. سار رضى الله عنه بهذا العدد إلى البصرة حيث دارت موقعة الجمل .. كان ذلك فى جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ .

ب – واقعة الجمل :

بدأت الحرب بين عائشة وطلحة والزبير وبين على رضى الله عنهم .. أتسمعون ؟! رضى الله عنهم ! .. الظالم والمظلوم ! .. فى نهاية المعركة ندم الظالم وتاب واستغفر على مافعل ، بالإضافة إلى تاريخ جهاده من أجل الإسلام .. فليس من العسير أن يرضى الله تعالى عنه .

كان المسلمون فى ذاك الوقت أمة واحدة وقوة لا يستهان بها .. لكن بعضهم انقسم إلى فئتين .. فئة تبعت طلحة والزبير وعائشة .. وأخرى تبعت علياً أغلبها من المهاجرين والأنصار ، ومنهم عمار بن ياسر الذى قال عنه الرسول ﷺ : «إنما تقتله الفئة الباغية» .

قيل لعائشة رضى الله عنها : عودى وقرى فى بيتك بناء على قوله تعالى : ﴿**وقرن فى بيوتكن**﴾ . لكنها أبت معتقدة أنها تدعو الى الإصلاح وإرضاء الله تعالى .. استمرت تنادى بالقصاص من قتلة عثمان الذين استحلوا البلد الحرام والشهر الحرام وسفكوا الدم الحرام .. ظلت تدافع عن الحق .. ولكن .. الحق مِمّن ؟! من الحق بعينه ؟! من على بن أبى طالب ؟! ومتى ؟! فى تلك الظروف الثائرة والفتن القائمة ؟!

حاول على مراراً التفاهم مع طلحة والزبير وعائشة حتى يوحدوا الصفوف بدلا من التشتت والقتال .. والقتال على ماذا ؟! على هدف واحد ؟!! دعوى واحدة ؟!! كل من الفئتين تدعو إلى الحق وابتغاء مرضاة الله تعالى .. لكن .. كلتيهما تعبر عن دعواها بالكيفية التى تراها .. اعتقد كل من أفراد الفئتين أنه إن مات فى الحرب سيموت شهيدا فى سبيل الله .

بدأت الحرب .. تقدمت عائشة الصفوف داخل هودجها المدرع على جمل ضخم ألبسوه جلود النمور ، وفى الهودج موضع لعينيها .. أمرت الزبير بن العوام أن يتولى هو قيادة الجيش وأطلقت عليه اسم أمير الجيش وظلت تصدر الأوامر .

اشترك فى الحرب آلاف وآلاف من المسلمين .. سقط منهم جرحى .. صرعى .. عشرات .. مئات .. ثم آلاف .. ثلاثون ألفا سقطوا قتلى فى تلك المقتلة الدامية .. اشتعلت الحرب بين ذوى القربى والنسب !.. بين الإخوة والأصدقاء !

عائشة زوجة الرسول ﷺ وعلى ابن عمه .. الزبير زوج أختها أسماء هو ابن صفية عمة رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب .. طلحة زوج أختها

ألصغرى أم كلثوم وابن عم أبيها أبى بكر الصديق هو صديق علىّ وزميله فى الجهاد منذ فجر الإسلام .. قاتل الأخ من جيش عائشة أخاه فى جيش علىّ وفقدت الأم الاثنين .. حقا .. كانت مقتلة عظيمة .. فاجعة كبيّرة فى معناها .. انتهت بانتصار على بن أبى طالب وقتل طلحة والزبير بعد ندمهما الشديد على قتالهما لإخوتهما من المسلمين .. قتالهما لأنفسهما .. بكاهما علىّ أحر بكاء .. صلى على القتلى من الجانبين ودعا لهم بالرحمة والمغفرة، ثم ذهب إلى عائشة رضى الله عنها وهى تتعثر بجملها بين أشلاء القتلى الملطخة بالدماء .. وجدها تبكى ودموع الندم غزيرة تسيل من عينيها من شدة الحزن والألم .. من هول الحسرة والندم على مافعلت وما فقدت من الإخوة والأقارب من المسلمين .. لم يعتبرها على أسيرة بل أكرمها أعظم تكريم إلى أن أعادها معززة مكرمة إلى المدينة واستمرت تدعو له بقية عمرها .

جـ - موقعة صفين :

استكمل التاريخ حديثه قائلا : واحسرتاه على أمة الإسلام .. انتهت موقعة الجمل .. وبدأت موقعة صفين فى نفس العام .. فى ذى الحجة سنة ٣٦هـ .. كانت بين معاوية بن أبى سفيان وجيشه من أهل الشام وبين على بن أبى طالب ومن معه من أهل بدر والمهاجرين والأنصار ومن أهل الكوفة والبصرة .. بلغ عدد جيش معاوية مائة وعشرين ألف مقاتل سبق بهم عليا إلى سهل صفين .. حيث نزلوا فى أرض واسعة على شاطىء الفرات .. بلغ جيش الإمام نحو تسعين ألفا .. وبعد مناوشات يسيرة بصفين .. اتفقا على إيقاف الحرب إلى آخر المحرم .

اعتبر معاوية نفسه ولى دم عثمان بن عفان وطالب عليا بالاقتصاص من قتلته .. رأى على أنه من الصعب تحقيق ذلك إلا بعد أن تهدأ الفتن وتستقر الأحوال فى الدولة .. ولم يصل الطرفان إلى حل .. استند أصحاب على إلى قوله تعالى :

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله﴾ .

وقوله تعالى : ﴿**وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله**﴾ .

ودارت المعركة من جديد فى شهر صفر سنة ٣٧هـ .. تحقق قول الرسول ﷺ لعمار بن ياسر : «تقتلك الفئة الباغية» واستشهد عمار .. قتل فى تلك المعركة سبعون ألفا من الفريقين .. كاد الأمر ينتهى بانتصار أهل العراق .. جند على .. لولا أن جند الشام رفعوا المصاحف على الرماح ودعوا إلى تحكيم كتاب الله تعالى فيما شجر بينهم .. لقيت هذه الدعوة قبولا من عدد كبير من جند على الذين يعرفون بالقُرَّاء لإجادتهم حفظ القرآن الكريم .. واستنكروا المضى فى القتال .

هكذا انتهت موقعة صفين بالتحكيم .. اتفق الطرفان على أن يختار كل منهما رجلا من قبله .. اختار معاوية عمرو بن العاص .. واختار أتباع علىّ أبا موسى الأشعرى .. اتفق الحكمان على خلع على ومعاوية .. أعلن أبو موسى الأشعرى نتيجة التحكيم .. وهنا غدر عمرو بن العاص .. وقال له إنك خلعت عليا ولكنى لم أخلع معاوية .. غدر معاوية وأتباعه بعلى .. اعتدى على حقه فى الخلافة .. أخذ البيعة لنفسه بحجة الرغبة فى الاقتصاص من قتلة عثمان .. أخذ البيعة لنفسه وهو مازال حديث الإسلام .. لم يسلم إلا بعد فتح مكة .. لم يحط علما كافيا بأمور الدين .. ومع ذلك سمى نفسهُ أمير المؤمنين .. وحارب عليا !!

هكذا أصبح للمسلمين أميران للمؤمنين فى زمن واحد ودولة واحدة هى دولة الإسلام التى انقسمت إلى دولتين .. استمرت بينهما الفتن والحروب .

د — معركة النهروان :

تنهد التاريخ قائلا : بدأت فتنة أخرى بين أنصار على .. بعض جنده الذين رحبوا بالتحكيم فى بادىء الأمر ، عدلوا عن رأيهم .. أنكروا أن يُحَكَّمَ الناس فى قضية تبين فيها الحق من الباطل .. واتهموا عليا رضى الله عنه بالكفر والعياذ بالله .. هؤلاء المتطرفون هم الخوارج .. التقى بهم على عند النهروان .. على بعد ميلين من الكوفة .. وهزمهم .. بعد موت مئات من المسلمين من الفريقين .

هـ - مقتل علي بن أبي طالب :

قال الخوارج عن علي : إنه حكم الرجال في دين الله وقتل إخوانهم الصالحين .. فعزموا على قتله .. قتله شقي الدارين كما أخبر النبي ﷺ حيث قال لعلي : «يقتلك شقي الدارين» .

بينما هو في مسجد الكوفة.. طعنه أحد الخوارج وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي (شقي الدارين) .. هكذا مات علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ .. استشهد بعد سلسلة من الكفاح المرير ضد الفتن الرهيبة التي أثارها معاوية بن أبي سفيان .. استشهد بعد أن خاض حروبا متتالية مع المسلمين المؤمنين ضد المسلمين .. كان نتاجها موت أكثر من مائة ألف قتيل في الجمل .. في صفين .. والنهروان .. هذا غير الأحياء الذين نجوا من القتل في تلك المعارك الدامية .. عدد هائل بالنسبة لذاك الوقت .

لكم تمنى علي لو أن تلك الفتن لم تكن .. لو أن هذه الآلاف المؤلفة التي قاتلت والتي قتلت في تلك الحروب المتتالية تحركت كلها تحت راية واحدة هي

الإسلام .. في ظل إمام واحد من المهاجرين أو الأنصار .. بايعه الأنصار والمهاجرون .. وهم أقدم الناس عهداً بالإسلام وأعلم الناس به .. لكم تمنى علي أن يجمع شمل المسلمين وينشر بهم الإسلام في كافة أنحاء العالم .

تنبأ الرسول عليه الصلاة والسلام بكل تلك الأحداث قبل وقوعها ، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه : «عهد إلينا رسول الله ﷺ أن نقاتل مع عليّ الناكثين فقد قاتلناهم - يعني في وقعة الجمل وذلك لأن طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا بيعة علي رضي الله عنه - وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين - يعني الظالمين وأراد بهم أصحاب معاوية لأنهم ظلموا عليا ونازعوه أمراً هو أحق الناس به عند كل منصف والقاسطون هم العادلون عن الحق إلى الباطل - وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين - وأراد بهم الخوارج فإنهم مَرقُوا من الدين .

ضحك التاريخ بأعلى صوته وقال : تلك هي «المقتلة العظيمة» بين فئتين عظيمتين من المسلمين دعواهما واحدة .. مضت وانتهت منذ مئات السنين ..

وأنتم مازلتم تنتظرون وتنتظرون !

٩ – الحسن يصلح بين الفئتين العظيمتين من المسلمين

روى البخارى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول والحسن بن على إلى جانبه على المنبر : «إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين **فئتين عظيمتين من المسلمين**» . وقد وقع ذلك .. بويع الحسن بن على بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠هـ وحقنا للدماء تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان .

هكذا تحققت النبوءة وأصلح الحسن بالفعل بين فئتين **وصفهما الرسول عليه** الصلاة والسلام بأنهما فئتان عظيمتان من المسلمين .. هاتان الفئتان هما نفسهما الفئتان اللتان اقتتلتا فى عهد على بن أبى طالب فى موقعتى الجمل وصفين .. إذن هاتان الموقعتان أو تلك الموقعة قد تكون هى المقصودة فى قوله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى **تقتتل فئتان من المسلمين** ، فيكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة» .

وقوله أيضا : «لا تقوم الساعة حتى **تقتتل فئتان عظيمتان** يكون بينهما مقتله عظيمة ، دعواهما واحدة» . والله أعلم .

١٠ – مقتل الحسين

عن أنس بن الحرث قال قال رسول الله ﷺ : «إن ابنى هذا يقتل بأرض من أرض العراق فمن أدركه منكم فلينصره» . قال فقتل الحسين رضى الله عنه . فى التذكرة للقرطبى – عن أنس أن ملك المطر استأذن يأتى النبى عليه الصلاة والسلام فأذن له . قال للنبى ﷺ عن الحسين وكان طفلا وقتئذ : أتحبه ؟ فقال نعم : قال «فإن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذى يقتل فيه» . ثم ضرب بيده فجاءت بطينة حمراء فأخذتها أم سلمة فصرتها فى خمارها . قال ثابت : بلغنا أنها كربلاء .

مرت الأعوام وتحققت النبوءة .. قتل الحسين ومن معه من أصحابه وأهل بيته في أيام يزيد بن معاوية فى العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ بموضع من أرض الكوفة يقال له كربلاء .

١١ – قتال الهند والسند

روى الإمام أحمد عن أبى هريره عن رسول الله ﷺ أنه قال : «يكون فى هذه الأمة بعث إلى السند والهند ...» .

وفى سنة ٤٤ هـ فى إمارة معاوية بن أبى سفيان غزا المسلمون الهند على يد الملك الكبير السعيد المحمود بن سبكتكين كذلك قاتل نواب بنى أمية الأتراك فى أقصى بلاد السند والصين وقهروا ملكهم الأعظم . .

١٢ – خروج نار من أرض الحجاز

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجار تضيء أعناق الإبل ببصرى» .

وقد أشار ابن كثير فى «البداية والنهاية» إلى أن ذلك قد تحقق فى يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة سنة ٦٥٤هـ حيث ظهرت نار بأرض الحجاز بالمدينة استمرت شهراً وكانت شديدة لدرجة أن الناس شاهدوا أعناق الابل ببصرى فى ضوء تلك النار التى خرجت من أرض الحجاز .

١٣ – علامات أخرى

عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ : «ست من أشراط الساعة : **موتى ، وفتح ببت المقدس ، وموت يأخذ فى الناس (١) كقصاص الغنم (٢)** ، وفتنة يدخل حربها بيت كل مسلم ، وأن يعطى الرجل ألف دينار فيتسخطها ، وأن يغد الروم فيسيرون بثمانين بندا (٣) تحت كل بند اثنا عشر ألفاً» .

(١) موت يأخذ فى الناس . وفى رواية أخرى موتان : بمعنى داء أو مرض .
(٢) كقصاص الغنم : داء فى صدورها .
(٣) بند : البند العلم الكبير .

قوله ﷺ (موت يأخذ فى الناس كقصاص الغنم) المقصود به هو انتشار داء بين الناس يكثر موتهم بسببه ، وقد علل محمد سلامة جبر ذلك بأنه الطاعون الذى انتشر بالشام أيام عمر رضى الله عنه ومات فيه أبو عبيدة رضى الله عنه وكثير من المسلمين . والله أعلم . أما قوله عليه الصلاة والسلام (وان يعطى الرجل ألف دينار فيتسخطها) فيدل على استفاضة المال عن حاجة الناس وقد حدث ذلك فى عهد عمر بن عبد العزيز وسيحدث إن شاء الله فى زمن المهدى المنتظر وعيسى عليه السلام والعلم عند الله . تنبؤات النبى عليه الصلاة والسلام كثيرة .. وقع منها العديد والعديد .. وإنها لتغرينى بسردها كلها عليك عزيزى القارىء !! لكنى أخشى عليك الملل إن لم يكن قد أصابك بعد !! .

أهم ما يعنينا فى هذا هو صدق نبوّة ذلك الرجل وعظمته .. فقد تنبأ ثم مات .. مرت الأيام .. بل الأعوام والقرون .. جاء التاريخ خلالها محققا لبعض تلك التنبؤات .. ومازال يحقق .. مما يشير إلى أن كل التنبؤات التى أوحى بها الله تعالى إلى عبده ونبيه الكريم ولمّا تقع بعد لابد واقعة إن قريبا أو بعيداً بإذن الله تعالى .





ثانيا : العلامات الصغرى
التى ظهرت ومازالت وستستمر

لو شبهنا عمر البشرية ككل بعمر الإنسان كفرد لوجدنا أن الإنسان عادة مايصاب بالمرض والشيخوخة قبل موته ، والبشرية كذلك تصاب بالشيخوخة والمرض قبل فنائها أى قبل قيام الساعة .

ومرض البشرية هو مايصيبها من شر وفساد حتى يزداد غضب الله تعالى عليها فيهدمها على من فيها ، ولا تقوم الساعة على مؤمن بل على شرار الناس .

حين نتحدث عن أشراط الساعة التى ظهرت ومازالت موجودة الآن إنما نقصد بذلك العلامات أو الشرور الموجودة على وجه الأرض بأكملها دون تحديد لمنطقة أو دولة بعينها ؛ لأن الأديان حين نزلت من السماء إلى الأرض إنما ظهرت من أجل العالم كله فى كافة أنحاء الأرض ، وسخط الله تعالى عندما يشتد إنما يشتد على أشرار أبناء الأرض جميعا ؛ وبالتالى فوقتما تقوم الساعة فإنها تقوم على العالم وتفنى الأرض بكل ما ومن عليها ، فالتحدث عن أمراض العالم ككل موضوع طويل وقد قتل بحثا ، وبالتالى سوف نقتصر إن شاء الله تعالى على الأحاديث الشريفة مع توضيح طفيف لغير الواضح منها ، ولكل مجتمع يعيش فى بقعة من بقاع الأرض أن يقارن بين تلك الأحاديث وبين مجتمعه الذى يعيش فيه علّه يتعظ ويحاول العلاج والإصلاح .

وقبل الخوض فى ذلك الموضوع أود لو أوضح نقطة هامة وهى : أنه مهما زاد الفساد فى الدنيا فلابد من وجود الخير ولو بنسبة ضئيلة ، فالخير لن ينعدم نهائيا إلا فى آخر آخر **الزمان** وبعد ظهور العلامات الكبرى للساعة ، أى قبل

الساعة مباشرة التى لا تقوم إلا على شرار الناس ، مما يطمئننا أنه مهما زاد الفساد فالدنيا مازالت بخير ، ولنتأمل الحديث الشريف الذى يؤيد هذا الكلام : (لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وهم كذلك) . وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها) .

والآن لنستعرض معا علامات الساعة التى ذكرها النبى الكريم وقد تحققت ومازالت موجودة فى عصرنا الحالى وستظل فى ظهور وزيادة إلى نهاية العالم وتلك هى العلامات الصغرى :

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «إن من أشراط الساعة أن يرى رعاة الشاء[1] رؤوس الناس ، وأن يرى الحفاة العراة الجوع يتبارون بالبنيان ، وأن تلد الأمة[2] ربتها ، أو ربها» .

وفى النهاية لابن كثير أنه ﷺ يعنى بقوله (أن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون فى البنيان) أنهم يكونون رؤوس الناس قد كثرت أموالهم ، وامتدت وجهاتهم فليس لهم دأب ، ولا همة إلا التطاول فى البناء . وقد حدث ذلك بالفعل فى وقتنا المعاصر ومازال فى ازدياد . وبنفس المعنى : عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «لن تذهب الدنيا حتى تصير للكع بن اللكع» . وأيضا عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع» .

ها هو ذا النبى الكريم يقول : أسعد الناس بالدنيا ولم يحدد أنه أسعد الناس بدولة معينة ، واللكع : العبد الأحمق واللئيم ، أى لا تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس ، وقد حدث ذلك فى أغلب بقاع الأرض حيث غدت المادة هى سيدة الموقف ، وغدا الإنسان عبداً لها بعد أن كان مالكها ، أصبح كل إنسان يسعى وراء مصلحته ، والمصلحة هى المادة .

(١) رعاة الشاء : الغنم .

(٢) أن تلد الأمة ربتها : أى تحكم البنت على الأم .

ومن أجل المادة يكذب .. ينافق .. يخون .. يخادع .. لايهم .. المهم أن يحصل على مايريد : المادة والمنصب الكبير حتى يصير سيد الناس وأسعدهم ، أصبح هذا هو مفهوم السعادة فى عصرنا ، أما الإنسان الصادق .. الصريح .. الأمين .. المخلص .. الواضح أمسى مفهومه العصرى أنه (مِدَبّ) .. غير مهذب .. لا يتمتع بذكاء أو لياقة ، ولا يستريح إليه الناس لأنه ثقيل الظل .. غير مريح ، والحياة فى وقتنا المعاصر كما نقول بالعامية تريد الإنسان (المدردح) !

لايهم تخاصم القلوب إنما الأهم تصالح الألسنة ، فالحب الصادق الحقيقى بين الناس .. النابع من القلب لايجدى ، أما حب اللسان المعسول السائد بين الناس فى عصرنا هو الأبقى حتى لو لم تعقبه مواقف إيجابية تؤيده ، فالخير موجود .. والشر موجود ، إنما تميل عامة الناس إلى تصديق الشر معتقدة أنه الخير بعينه .

هكذا تاهت المعانى الحلوة .. كادت تحتضر .. ضاعت المفاهيم .. واختلطت الأمور . ولنتأمل سوياً ذلك الحديث الشريف :

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «قبل الساعة سنون خداعة يكذب فيها الصادق ، ويصْدُق فيها الكاذب ، ويخون فيها الأمين ، ويُؤْتَمن فيها الخائن ، فينطق فيها الرُّوَيْبِضَة» . والرويبضة هو الرجل التافه يتكلم فى أمر العامة أى فى مصالح الناس وشئونهم ، ونرى ذلك من بعض كتاب الصحف والخطباء وغيرهم فى شتى أنحاء الأرض ، وإن كان ماورد بالحديث الشريف قد تحقق بالفعل إلا أنه لم يزل متحققا بنسبة يسيرة ولم يصل إلى ذروته وكمال تحققه إلا فى أيام المسيخ الدجال بإذن الله .

عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ : «إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة ، وقطع الأرحام ، وشهادة الزور ، وكتمان شهادة الحق ، وظهور العلم . (أو ظهور القلم)» .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال عند قرب وفاته : ألا أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ لايحدثكم به أحد بعدى سمعته منه «إن من أشراط

الساعة أن يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ، ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد» . متفق عليه .

وتوضيحا لذلك قد ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال : (إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفْتَوْا بغير علم فضلوا ، وأضلوا) .

والمقصود بالعلم الذى يقبض هو مايتعلق بأمور الدين لأن سائر العلوم الدنيوية مازالت فى تقدم كما ذكر آنفا بالحديث الذى روى عن عبد الله بن مسعود .

وأعتقد ــ والله أعلم ــ أن بعض ماورد بالحديث الشريف السابق ذكره عن أنس قد تحقق بالفعل ولكن بنسبة قليلة ، أما أغلب ماورد بالحديث الكريم فلم يتحقق بعد أو بدأ يتحقق بنسبة ضئيلة ، ولكن لابد وأن يقع فى المستقبل بإذن الله لأنه ورد على لسان الصادق الأمين .

فالجهل قد انتشر على وجه الكرة الأرضية لأسباب عديدة لسنا بصدد التحدث عنها الآن ، أما العلماء الأكفاء فمازالوا موجودين فى بعض أنحاء العالم ، إذن فالعلم[1] لم يرفع بعد بل سيرفع فى آخر الزمان بعد وفاة عيسى عليه السلام بإذن الله تعالى .

وعن شرب الخمر فقد شرب قبل الإسلام ثم فى زمن الإسلام ، ولكن شاربه فى أول عهد الإسلام كان يشربه سراً لأنه يعلم يقينا مدى حرمته وما يتبع ذلك من حدود الله تعالى التى ستقام عليه من قبل الحكام الذين كانوا لاتأخذهم فى الله لومة لائم ، ولم يشرب الخمر مؤمن أبدا وقتذاك .

أما شرب الخمر المقصود بالحديث الشريف هو انتشاره وشربه سرا وعلانية بالأماكن العامة والبيوت ، وقد انتشر ذلك فى كثير من أنحاء الأرض وبعد أن

(١) علم الدين .

كان شرب الخمر عاراً يستحى منه أصبح مجالا للتفاخر والمجاهرة ورمزا للغنى والتقدم ، مسايرا لحضارة العصر ! وقد ساعد على ذلك وسائل الإعلام وخاصة أكثر الأفلام السينمائية التى لم يخلُ منها «فيلم» من شرب الخمر كأمر طبيعى بل أيضا كمظهر صحى من مظاهر التقدم والرقى !

وهذا ما لايعبر عن الواقع فى أغلب الأحيان إنما يساعد على انتشار تلك الرذيلة ، بالإضافة إلى أن عمليات تصدير واستيراد الخمر أمست من الدعائم الهامة لتدعيم اقتصاديات بعض الدول مما جعل الخمر يشرب علناً بترخيص من بعض حكومات العالم :

أما زيادة عدد النساء عن عدد الرجال حتى تصير النسبة تساوى رجلا واحدا مقابل خمسين امرأة فهذا لم يحدث بعد ، ولكنه سيحدث بالمستقبل ، متى ؟ الله أعلم ، ربما يكون ذلك بعد ظهور كل العلامات الكبرى للساعة وقبل قيامها ، فقد تقوم حرب عالمية مدمرة والله أعلم فتقضى على العلم والحضارة ، تهدم المنازل والجوامع ، وتقتل الرجال ، فتقل نسبة عددهم إلى عدد النساء حتى تصير رجلا إلى خمسين امرأة ، ثم يفشو الجهل والفساد فى كافة أنحاء الأرض ويكون هؤلاء هم شرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة . والعلم عنده سبحان وتعالى .

عن أبى هريره أن أعرابيا سأل رسول الله ﷺ فقال متى الساعة ؟ فقال : «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قال رسول الله ، وكيف إضاعتها فقال : «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله» .

وعن أبى هريرة أيضا قال رسول الله ﷺ : (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة[1] لايدخلن الجنة ، ولايجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا ، وكذا) . ويكفينا مالم يره رسولنا الكريم ونراه نحن اليوم فى شتى شواطىء العالم ونسأل الله تعالى الرحمة والمغفرة !

(١) أسنمة البخت المائلة : الإبل والجمال ذات السنام المائل ، والأسنمة : جمع سنام .

عن أنس بن مالك قال قيل يارسول الله متى ندع الائتمار بالمعروف ، والنهى عن المنكر ؟ قال : «إذا ظهر فيكم ماظهر فى بنى إسرائيل . إذا كانت الفاحشة فى كباركم ، والعلم فى رذالكم ، والملك فى صغاركم » روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا رأيتم أمتى تهاب الظالم أن تقول له إنك الظالم فقد تودع منهم» وقال رسول الله ﷺ : «يكون فى أمتى خسف وقذف ومسخ»[1] .

وقد روى عن النبى ﷺ بعض أحاديث أخرى متفرقة تتضمن أنه تنبأ أن من أشراط الساعة أن يسود كل قبيلة منافقوها ، وكل سوق فجارها ، وتزخرف المحاريب ، وتخرب القلوب ، وتظهر الفتنة ، وأكل الربا ، وتظهر المعازف والكيور ، وشرب الخمر ، ويكثر الشرط[2] ، والغمازون والهمازون ، وتحلى المصاحف ، وتصور المساجد ، وتطول المنابر . **ألم يقع كل ذلك !** ألم يستمر فى زيادة ! قال الترمذى حدثنا صالح بن عبد الله حدثنا الفرج بن فضالة أبو فضالة الشامى عن يحيى عن سعد عن محمد بن عمر بن على عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ : إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل فيها البلاء ، قيل : وماهى يارسول الله ؟ قال : «إذا كان المغنم دولا[3] ، والأمانة مغنما[4] ، والزكاة مغرما[5] ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وبر صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات فى المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمور ، ولبس الحرير ، واتخذت القينات[6] ، والمعازف[7] ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند

(١) خسف وقذف ومسخ : الخسف : أن يغيب ماعلى الأرض فيها .
القذف : بالحجارة وغيرها المسخ : قردة وخنازير .

(٢) الشُّرَط : جمع شرطى ونحن نرى ذلك الآن (بينما نام عمر آمنا تحت الشجرة دون شرط حين عدل) .

(٣) إذا كان المغنم دولا : أى أن الغنيمة تكون لقوم دون قوم وذلك عندما يستأثر بها الاغنياء وأصحاب المناصب ويعتقد أنها ملك له .

(٤) الامانة مغنما : من يأخذ أمانة يغتنمها ولا يردها لصاحبها .

(٥) الزكاة مغرما : أى يشق على من تجب عليه الزكاة أداؤها فيعد اخراجها غرامة .

(٦) القينات : جمع قينة وهى الجارية تتخذ للغناء : وهن المغنيات .

(٧) العزيف : صوت الجن ، والمعازف : آلات اللهو التى تستعمل فى مجلس الأغانى (أى الآلات الموسيقية) .

ذلك ريحا حمراء[1] ، أو خسفا ، أو مسخا» .

ثم قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث على إلا من هذا الوجه ، ولا نعلم أحدا روى هذا الحديث عن يحيى بن سعيد الأنصارى غير الفرج بن فضالة ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه عنه .

وعلى أية حال أعتقد أن كل ما ورد بالحديث السابق ذكره قد حدث بالفعل ، فاقرأ .. فكر .. ابحث واربط .

ولكن أعود وأكرر أنه بالرغم من انتشار بعض مظاهر الفساد فى شتى أنحاء الأرض فإن الخير مازال موجوداً ولو قلت نسبته ، والدليل على ذلك وجودك عزيزى القارىء ! .



(١) ريحاً حمراء : ريحا رملية ملونة بلون ماتحمل من رمال وتسمى فى البلاد العربية (الطوظ) .

الباب الثاني

العلامات التى لم تظهر بعد

أولا : العلامات الدالة على اقتراب الساعة .
ثانيا : العلامات الدالة على قيام الساعة .
ثالثاً : قيام الساعة .



العلامات الكبرى التى لم تظهر بعد

ظهرت علامات قديمة وانتهت .. وقعت أخرى حديثة ومازالت وستظل إلى حين قيام الساعة .. تلك هى العلامات الصغرى .. وهانحن فى انتظار العلامات الكبرى القريبة من الساعة والواضحة تماما والتى إن ظهر أولها تتابعت كحبات العقد إذا انفرط . روى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «الآيات خرزات منظومات فى سلك فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً» .

من عدالة السماء أن كل فتنة تعقبها هدنة ، وقد أشرنا إلى ذلك آنفا من خلال حديثه عليه الصلاة والسلام : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها) . فعند ظهور كل العلامات الصغرى للساعة وتزايدها لابد من فترة راحة وأمان تنتشر فيها القيم والمبادىء الصحيحة والعدالة حتى تستريح البشرية وتلتقط أنفاسها استعداداً لاستكمال دورها فى الحياة .

بعد ظهور كل العلامات الصغرى للساعة وتزايدها تكون البشرية قد وصلت إلى مرحلة شديدة من التعب والعناء فيظهر «المهدى المنتظر» وهو أول العلامات الكبرى الواضحة حيث لا يصير هناك أدنى شك فى كونه «المهدى» بعينه ، ولكن لا يكون ذلك إلا بالنسبة لمن تحصن بحصانة العلم والمعرفة .

يحكم المهدى إلى حين ظهور المسيخ الدجال الذى ينشر الظلم والفساد، يعرفه يقينا ويتقى شره من تحصن بالعلم والإيمان ، يظل المسيخ فترة يستهلك فيها البشرية تماما حيث تتفشى أعظم فتنة فى التاريخ على وجه الأرض . وعند ذلك تهبط عدالة السماء وينزل مسيح الهدى عيسى عليه السلام ويقتل الدجال . فتعم سنوات من الأمن والرخاء !

وبينما البشرية على تلك الحال إذا بها تفاجأ بخروج «يأجوج ومأجوج» ويعم الفساد من جديد .. وبدعوة من سيدنا عيسى عليه السلام تصعد خالصة .. لله

تعالى .. يموتون ثم يعود الأمن والرخاء والعدالة ويسود الاستقرار ، وتظل البشرية على ذلك بضع سنوات إلى حين وفاة عيسى عليه السلام .

أما باقى علامات الساعة الكبرى التى تلى ذلك فقد اختلف العلماء فى ترتيبها .. أيهما يَسبق الأخرى ؟ الله أعلم .. وهى : هدم الكعبة المشرفة واستخراج كنزها .. طلوع الشمس من مغربها .. خروج الدابة من الأرض .. الدخان .. ريح تقبض أرواح المؤمنين .. رفع القرآن الكريم إلى السماء .. وأخيرا نار تسوق الناس إلى محشرهم .. ويبدأ النفخ فى الصور : نفخة الفزع .. نفخة الصعق .. وبعد نهاية النهاية نفخة البعث .

عن حذيفة ابن أسيد قال اطلع النبى ﷺ علينا ، ونحن نتذاكر الساعة فقال : «وماتذكرون ، قالوا : نذكر الساعة فقال : «إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات : الدخان ، والدجال والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاث خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من قبل عدن تطرد الناس إلى محشرهم» .



أولا : العلامات الدالة على اقتراب الساعة

١ – ظهور المهدى المنتظر

بعثة سيدنا محمد ﷺ كانت أولى العلامات القديمة للساعة .. ظهور المهدى المنتظر هو أول العلامات الكبرى القريبة للساعة ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء فلا نبى بعده .. المهدى هو خاتم الأئمة فلا إمام بعده .

روى أبو نعيم من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلى رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم ابيه اسم أبى يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» .

إذن فالمهدى اسمه محمد أو أحمد عبد الله ، وهنا يتبادر إلى ذهنى تساؤلان : هل من الممكن أن يكون اسمه محموداً أو مصطفى أو أى اسم آخر من أسماء الرسول ﷺ وبذلك يكون اسمه هو نفس اسم «رسولنا الكريم» ؟ .

أيكون اسم أبيه عبد الرحمن أو عبد الغفار وما إلى ذلك من الأسماء التى تحمل نفس معنى اسم عبد الله ؟ .

وهكذا يكون اسم المهدى واسم أبيه (ماحُمِّد وعُبدٌ) ، وهو نفس اسم الرسول ﷺ واسم أبيه . الإجابة .. الله أعلم .

نسبه :

أما نسبه فهو من أهل بيت رسول الله ﷺ من ولد فاطمة ابنة النبى الكريم ورضى الله عنها وعن أولادها الطاهرين .

وجاء فى بعض الأحاديث أنه من ولد العباس والقول الأول أصح . وهنا نشير إلى خبر الديلمى عن أم المؤمنين أم سلمه ، رضى الله عنها فعن رسول الله

ﷺ أنه قال : «لا تزال الخلافة فى ولد عمى وصنو أبى حتى يسلموها إلى الدجال» . وخبر الخطيب وابن عساكر عن على رضى الله عنه أن عليه الصلاة والسلام قال للعباس : «ياعم ألا أخبرك أن الله افتتح هذا الأمر بى ويختمه بولدك» .

فهذه الأخبار كلها لا تنافى أن المهدى من ذرية رسول الله ﷺ من ولد فاطمة الزهراء إلا أنَّ الأحاديث التى فيها أن المهدى من ولدها أكثر وأصح . وقال ابن حجر يمكن الجمع بأن يكون من ذريته ﷺ وللعباس فيه ولادة من جهة أن فى أمهاته عباسية .

ومهما اختلط النسب مع مرور الزمن بتزاوج أبناء العائلات المختلفة بعضهم ببعض ، ففى النهاية ، ومن المؤكد أن جده الأصلى هو سيدنا محمد ﷺ . وعن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «المهدى من عترتى[1]من ولد فاطمة» . وبالتحديد فهو من ولد الحسن لا الحسين وهو ابن فاطمة الزهراء وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعا ، وقد نظر علىّ إلى ابنه الحسن وقال : ان ابنى هذا سيد كما سماه رسول الله ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ﷺ يشبهه فى الخُلق ، ولا يشبهه فى الخَلق ثم ذكر قصة أنه يملأ الأرض عدلا .

ظهوره – صفته ومدة حكمه :

عن عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدى قال : قال رسول الله ﷺ : «يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدى يعنى سلطانه» .

فالمهدى الممدوح الموعود بوجوده فى آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت أى بمكةّ .

وقيل إنه يظهر فى سن الأربعين أو مابين الثلاثين والأربعين ، والله أعلم . عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : «المهدى منى ، أجلى الجبهة[2] ، أقنى

(١) من عترتى : من أخص أقاربى .

(٢) أجلى الجبهة : قد ذهب شعر رأسه إلى نصفه . (خفيف شعر النزعتين عن الصدغين وهو الذى انحسر الشعر عن جبهته) .

الأنف[١] ، يملأ الأرض قسطا وعد لا كما ملئت جورا وظلما ، يملك سبع سنين» .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«إن فى أمتى المهدى يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعاً ، زيد الشاك قال قلنا : وما زايد (أو وماذاك) ؟ قال : سنين : قال : فيجيء إليه الرجل فيقول : يامهدى أعطنى أعطنى ، قال : فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله» .

وفى زمانه تكون الثمار كثيرة ، والزروع غزيرة ، والمال وافرا ، والسلطان قاهرا ، والدين قائما ، والعدو راغما ، والخير فى أيامه دائما .

قال كعب الأحبار : إنى لأجد المهدى مكتوبا فى أسفار الأنبياء مافى حكمه ظلم ولاعيب . يملك الدنيا كما ملك ذو القرنين ، وسليمان بن داود عليهما السلام .. تجرى على يديه الملاحم .. يستخرج الكنوز ويفتح المدائن مابين الخافقين .. ينتشر العدل والأمان فى زمانه .. مكتوب فى شعائر الأنبياء ما فى حكمه ظلم ولاعيب .. والعلم عنده سبحانه وتعالى .

فتح القسطنطينية :

روى ابن ماجه عن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال:قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يكون أدنى مسالح المسلمين ببولا ثم قال ياعلى قال بأبى ، وأمى قال إنكم ستقاتلون بنى الأصفر[٢] ، ويقاتلهم الذين من بعدكم حتى يخرج إليهم روقة[٣] الإسلام أهل الحجاز الذين لا يخافون فى الله لومة لائم فيفتتحون القسطنطينية بالتسبيح ، والتكبير فيصيبون غنائم لم يصيبوا مثلها حتى يقتسموا بالأترسة[٤] ، ويأتى آت فيقول : إن المسيح قد خرج فى بلادكم ألا

(١) أقنى الأنف : طوله ورقة أرنبته مع حدب فى وسطه .
(٢) بنى الأصفر : الروم .
(٣) روقة : الخيار (أى خيار أو أفضل الناس من المسلمين) : خيار المسلمين .
(٤) الأترسة : جمع ترس وهو ما يتوق به فى الحرب كالدرع .

وهى كذبة فالآخذ نادم[1] ، والتارك نادم[2] ★ .

روى مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال لأصحابه ومنهم ثور : سمعتم بمدينة جانب منها فى الْبَرِّ ، وجانب منها فى البحر ؟ قالوا نعم يارسول الله قال : «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى إسحاق فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ، ولم يرموا بهم قالوا لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها قال ثور : ولا أعلمه إلا قال الذى فى البحر ثم يقولون الثانية لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولون الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر . فيفرج لهم فيدخلونها فيغتنمون فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال : إن الدجال قد خرج فيتركون كل شىء ، ويرجعون» .

فى الحديث : (يغزوها سبعون ألفا من بنى إسحاق) . ويفسر ابن كثير ذلك فى النهاية بأن الروم قد يسلمون فى آخر الزمان ، ولعل فتح القسطنطينية يكون على يدى طائفة منهم كما نطق به الحديث أن يغزوها سبعون ألفا من بنى إسحاق .

والروم من سلالة العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فهم أولاد عم بنى إسرائيل ، وهو يعقوب بن اسحاق .

فالروم قد يكونون فى آخر الزمان خيرا من بنى إسرائيل ، فإن الدجال يتبعه سبعون ألفا من يهود أصبهان وهم أنصاره .

ولعل الروم يسلمون على يد المهدى المنتظر أو سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام . والله سبحانه وتعالى أعلم .

روى ابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ : «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوله الله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتى جبل الديلم والقسطنطينية» .

---

(1) فالآخذ نادم : لظهور أن ذلك كذب .

(2) والتارك نادم : لأن الدجال يخرج بعد ذلك بقريب بحيث يرى التارك أن لو تأهب له حين سمع ذلك القول كان أفضل .

وفى التذكرة للقرطبى : أن المهدى ومن معه من المسلمين يأتون إلى مدينة أنطاكية وهى مدينة عظيمة على البحر فيكبرون عليها ثلاث تكبيرات فيقع سورها فى البحر بقدرة الله عز وجل ثم يملك المهدى أنطاكية ويبنى فيها المساجد ، وتعمر بعمارة أهل الإسلام ثم يسيرون إلى رومية والقسطنطينية وكنيسة الذهب فيستفتحون القسطنطينية ورومية ، ويأتون كنيسة الذهب فيجدون فيها الأموال التى أودعها فيها ملك الروم قيصر حين غزا بيت المقدس فوجد فيه تلك الأموال فأخذها واحتملها على سبعين ألف عجلة إلى كنيسة الذهب بأسرها كاملة كما أخذها مانقص منها شيء ، فيأخذ المهدى هذه الأموال ليردها إلى بيت المقدس .

قال حذيفة : يارسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما فقال رسول الله ﷺ : (هو من أجل البيوت ابتناه الله على يد سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد وذلك أن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام سخر الله تعالى له الجن فأتوه بالذهب والفضة من المعادن وأتوه باليواقيت والجواهر من البحار يغوصون كما قال الله تعالى ﴿**كل بناء وغواص**﴾ فلما أتوه بهذه الأصناف بناه منها فجعل فيه بلاطا من ذهب وبلاطا من فضة وأعمدة من ذهب وأعمدة من فضة وزينه بالدر) .

وقال القرطبى فى التذكرة : إنه لما غزا قيصر بيت المقدس أخذ جميع مافيه من حلى ومتاع وأموال ووضعه بكنيسة الذهب وسيظل فيها حتى يأخذه المهدى المنتظر ويرده إلى بيت المقدس . وفى ذلك بشارة للعرب بأن بيت المقدس سيصير فى حوزتهم قريبا إن شاء الله إما قبل ظهور المهدى أو فى عصره . والله أعلم . عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ . «عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال» . ثم ضرب بيده على فخذ الذى حدثه ، أو منكبه[1] ، ثم قال ان هذا الحق كما أنك هاهنا ، (أو كما أنك قاعد) . يعنى معاذا .

---

(١) المنكب : هو مجتمع رأس العضد والكتف . والعضد : مابين المرفق إلى الكتف .

ذلك حديث صحيح فيه نور الصدق وجلالة النبوة . القسطنطينية مدينة الروم وتفتح عند أو قبل خروج الدجال مباشرة . وليس المراد بخراب يثرب خرابها كلية قبل خروج الدجال وإنما ذلك فى آخر الزمان ، بدليل أن الدجال لا يقدر على دخولها ويمنع من ذلك بما على أنقابها من الملائكة .. بأيديهم السيوف الصلته ، وقد ثبت ذلك فى الأحاديث .

فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال عن المدينة : (لا يدخلها الطاعون ، ولا الدجال) وفى جامع الترمذى أن المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام إذا مات يدفن فى الحجرة النبوية . ومعنى ذلك أن المدينة لا تخرب كلية إلا بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام أى فى آخر الزمان . وبناء على هذا يكون معنى قوله ﷺ : (عمران بيت المقدس خراب يثرب) هو أن عمارة بيت المقدس تكون سببا فى خراب المدينة المنورة ولو فى آخر الزمان . والعلم عند الله . وعن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، على المنبر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تمتلىء ، ثم يخرجون منها ، ثم لا يعودون إليها أبدا) . وسبب خرابها عند السفارينى — والله أعلم — أن خيار أهلها يخرجون مع المهدى إلى الجهاد ثم ترجف بعد ذلك بمنافقيها وترميهم إلى الدجال ولم يبق إلا المؤمنون المخلصون فيهاجرون إلى بيت المقدس عند إمامهم ، وقد ورد ستكون هجرة وخيار الناس يومئذ ألزمهم مهاجر ابراهيم . ومن بقى منهم تقبض روحه الريح الطيبة .

يحكم المهدى خلال المدة التى أشار إليها النبى الكريم إلى أن يظهر المسيخ الدجال ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء ويصلى وراء المهدى صلاة واحدة ، بعد ذلك يستمر المهدى على الصلاة خلف سيدنا عيسى عليه السلام بعد تسليمه الأمر ، ويظل له نعم العون إلى أن يموت ويصلى عليه عيسى ﷺ ويدفنه فى بيت المقدس . والله سبحانه وتعالى أعلم .



٢ – المسيخ الدجال

آه ! .. وصلنا للدجال !.. أى الكذاب !! واسمه المسيخ الدجال أو المسيح الدجال !! وسمى بالمسيخ نظرا لمسخ خلقه وتشوه شكله وقبحه ، وقد خلق ملعوناً لكفره وادعائه للألوهية ، كما سمى بالمسيح لأنه أعور وإحدى عينيه ممسوحة ولا يبصر بها .

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال : «إنى لأنذركموه مامن نبى إلا أنذره قومه ، وقد أنذره نوح قومه ، ولكنى أقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلموا أنه أعور ، وأن الله ليس بأعور» .

والدجال هو مَسيح الضلالة بخلاف مسيح الهدى سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وقيل أنه مسيح لأن الله تعالى قد مسحه إذ خلقه خلقاً حسنا .. ومسخ الدجال إذ خلقه ملعونا ، وقيل أيضا إنه سمى مسيحا لمسح زكريا عليه السلام إياه ، أو لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ ، وربما لأنه كان يمسح الأرض أى يقطعها فى سياحته ، وقيل المسيح الصديق ، وقيل لأنه كان ممسوح القدمين لا أخمص[1] له ، أو لأنه خرج ممسوحا بالدهن[2] ، والمسحة هى الجمال والحسن . أما الدجال فهو من اليهود وعن أنس بن مالك قال:قال رسول الله ﷺ : «يخرج الدجال من يهود أصبهان معه سبعون ألفا من اليهود عليهم السيجان[3]» .

ويقول عنه اليهود : إنه المسيح بن داود ، ويخرج آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويسير معه الأنهار ، وزعموا أنه آية من آيات الله سيرد الملك إليهم ، وقد كذبوا فى زعمهم لأنه مسيح الضلالة الدجال الكذاب ، أما مسيح

(١) الخمص : باطن القدم الذى يعلو عن الأرض (تجويف القدم من تحت) .
(٢) ممسوحا بالدهن : كان يمسح بدهن زيت بورك فيه فهو بمعنى الممسوح ..
(٣) السيجان : الساج طيلسان مقور ينسج كذلك ويجمع سيجان.

الهدى فعيسى[1] عليه السلام ، وينطق العبرانيون لفظ مسيح (مشيح) ومعناه عندهم بالعبرية السيد أو المبارك .

ولعظم فتنته وهو لها نعرض الحديث الشريف التالى :

عن هشام بن عامر الأنصارى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مابين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال» .

من هو الدجال ؟ شيطان ؟ أم إنسان ؟

اختلفت حوله الأقوال ، فقال بعض العلماء : إنه شيطان من الجن من ذرية إبليس ، موثق بسبعين حلقة فى بعض جزائر اليمن ، لا يعلم من أوثقه أهو سليمان بن داود عليهما السلام أو غيره ، فإذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة . قال آخرون : إنه إنسان من ذرية آدم لم يولد بعد بل سيولد فى آخر الزمان وقيل : إن أباه أنسى وأمه جنية .

والخلاصة أنه شيطان سواء كان جنيا أم أنسيا أم خليطا منهما ، سيظهر فى آخر الزمان سواء ولد منذ زمن بعيد وقيد بالسلاسل فى إحدى الجزر المجهولة أم لم يولد بعد وسيولد فى آخر الزمان ، المهم أنه شيطان سيظهره الله تعالى للناس كعلامة من علامات الساعة ليكون محنة وابتلاء حتى يختبر المؤمن الحقيقى فيزيده إيمانا ، ويبتلى المنافق ويزيده ضلالا .

قال تعالى : ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبيًّ عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ...**﴾

إذن فقد أشار الله عز وجل فى كتابه العزيز إلى أن هناك شياطين من الانس وأخرى من الجن ، فالدجال شيطان بمعنى أنه شرير .. عات متمرد .. متكبر وفاسق . وشيطان فعله شطن أى بَعُد أو شاط بمعنى هلك ، فالشيطان هو البعيد عن رحمة الله تعالى أو الهالك . وهكذا الدجال .

(١) عيسى : ذكر إسمه فى القرآن بلفظ المسيح وبلفظ عيسى وهو بالعبرية (يشوع) أى المخلص إشارة إلى أنه سبب لتخليص كثير من آثامهم وضلالهم .

هل هو ابن صياد ؟

قال بعض العلماء : إنه صاف بن صياد الذى ولد بالمدينة المنورة مع بداية عهد الإسلام من أبوين يهوديين اجتمعت فيه مواصفات الدجال ومنها أنه أعور .. كافر .. كذاب .. ومن اليهود .. فالتبس أمره على النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه ، وحاولوا مراراً التأكد من حقيقته ، ولنعرض ذلك الحديث الشريف لنتعرف على بعض محاولات الرسول ﷺ فى معرفة حقيقة ابن صياد :

روى مسلم عن عبد الله بن عمر (أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله ﷺ فى رهط قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم[1] بنى مغالة ، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم[2] فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره بيده ، ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد : «أتشهد أنى رسول الله ؟»

فنظر إليه ابن صياد ، وقال : أشهد أنك رسول الأميين . فقال ابن صياد لرسول الله ﷺ : أتشهد أنى رسول الله ؟ .

فرفض رسول الله فقال : «آمنت بالله ورسله» ثم قال له رسول الله ﷺ : «ماذا ترى» ؟ .

قال : يأتينى صادق وكاذب .

فقال له رسول الله ﷺ : «خلط عليك الأمر» . ثم قال له رسول الله ﷺ : «إنى خبأت لك خبئا[3]» .

فقال ابن صياد : هو الدخ[4] .

(١) الاطم : البناء المرتفع (الحصن) .

(٢) ناهز الحلم أو قارب الحلم : قارب البلوغ .

(٣) وخبأ له (يوم تأتى السماء بدخان مبين) الدخان : يعنى أن الرسول ﷺ أخفى فى نفسه شيئاً وطلب منه أن يخبره به .

(٤) الدخ : اختصار كلمة الدخان وهى بلغة الجن .

فقال له رسول الله ﷺ : «اخسأ[1] فلن تعدو قدرك» .

فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يارسول الله أضرب عنقه ؟!

فقال رسول الله ﷺ : «إن يكن هو فلن تسلط عليه ، وإن لم يكن هو فلا خير لك فى قتله» . للتوضيح نعرض ماذكر فى تفسير القرآن الكريم لابن كثير بخصوص هذا الموضوع :

قال ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها **والدخان** والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى ابن مريم **والدجال** وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس – أو تحشر الناس – تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا» .

وقد ورد فى الدخان عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «يهيج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة ، وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه» .

وفى حديثنا الذى ذكرناه آنفا الوارد بالصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد : « إنى خبأت لك خبأ » قال هو الدخ فقال ﷺ له « اخسأ فلن تعدو قدرك » .

قال ابن كثير فى تفسيره : وخبأ له رسول الله ﷺ : ﴿**فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين**﴾ (الدخان – ١٠) ، وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب ، وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان وهم يقرظون[2] العبارة ولهذا قال هو الدخ يعنى الدخان فعندها عرف رسول الله مادته وأنها شيطانية فقال ﷺ «اخسا فلن تعدو قدرك» .

وتكملة للحديث السابق ذكره وشرحه قال سالم بن عبد الله سمعت عبد الله بن عمر يقول : (انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ ، وأبى بن كعب الى النخل

---

(١) كلمة تقال للزجر والطرد كما فى قوله تعالى لأهل النار ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ .
(٢) يقرظون : يختصرون .

التى فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله ﷺ النخل طفق يتقى بجذوع النخل ، وهو يختل [(١)] أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله ﷺ ، وهو مضطجع على فراش فى قطيفة له فيها زمزمة فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ يتقى بجذوع النخل فقالت لابن صياد ياصاف ، وهو اسم ابن صياد ، هذا محمد ، فثار ابن صياد ، فقال رسول الله ﷺ «لو تركته بين[(٢)] » .

قال النووى ، قال العلماء : «وظاهر الأحاديث أن النبى ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيخ ولا غيره ، وإنما أوحى إليه بصفات الدجال ، وكان فى ابن الصياد قرائن محتملة ، فلذلك كان النبى عليه الصلاة والسلام لا يقطع بأنه الدجال ولاغيره ، ولهذا قال لعمر رضى الله عنه ان يكن هو فلن تستطيع قتله» .

وكان يبلغ رسول الله ﷺ خبر ابن صياد وما يدعيه من الكهانة وعلم الغيب ، فامتحنه النبى ﷺ بذلك ليعلم حقيقته ، فلما كلمه علم أنه مبطل وأنه من جملة السحرة أو الكهنة فحين سمع قوله «الدخ» وهى كلمة فى لغة الجن ، علم أن شيطانا قد تعهده وعرف أن الرسول عليه الصلاة والسلام يعنى الدخان بقوله «إنى خبأت لك خبأ» فألقاه إلى ابن صياد وأجراه على لسانه ، لذلك نهره الرسول ﷺ فقال «اخسأ فلن تعدو قدرك» . وبناء على هذا قال بعض العلماء إن ابن صياد ليس هو الدجال الأكبر إنما هو مجرد كاهن أو ساحر له شيطان يخبره ببعض الغيب فيخطىء تارة ويصيب أخرى . ويتضح ذلك من قوله : «يأتينى صادق وكاذب» .

ورد الرسول ﷺ عليه عندئذ : «خلط عليك الأمر» .

يرى آخرون أنه هو الدجال الأكبر ولهم حججهم فى ذلك ، ومنهم عمر بن الخطاب وابنته حفص زوجة رسول الله عليه الصلاة والسلام وابنه عبد الله وجابر بن عبد الله ، وأبو ذر الغفارى ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم . وهم من أجلة الصحابة وعلمائهم وقد قالوا إن ابن صياد هو الدجال الأكبر إلا

(١) يختل : يخادعه ويراوغه حتى لا يراه .

(٢) لو تركته بين : لو تركته أمه بين أمرة . أى لو تركته يتصرف بطبيعته بدون علم بقدوم رسول الله .

أنه لم يؤذن له فى الخروج بفتنته إلى ذلك الوقت ، والله أعلم .

روى مسلم من حديث محمد بن المنكدر قال : رأيت جابر بن عبد الله فحلف بالله أن ابن صياد هو الدجال ، فقلت أتحلف بالله تعالى ؟! فقال إنى سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبى ﷺ فلم ينكره النبى ﷺ .

وروى من حديث نافع (أن ابن عمر أتى ابن صياد فى بعض طرق المدينة فقال له ابن عمر قولا أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة) يعنى الطريق .. وهذا ليس بفعل الإنس إنما هو بفعل الجان .

وفى رواية أن ابن صياد نخر كأشد نخير حمار يكون ، وأن ابن عمر ضربه حتى تكسرت عصاه ، ثم دخل على أخته أم المؤمنين حفصه فقالت : ماأردت من ابن صياد أما علمت أن رسول الله ﷺ قال «إنما يخرج من غضبة يغضبها» . ويدل قولها هذا أنها كانت ترى رأى أبيها وأخيها فى أن ابن صياد هو الدجال وخروجه على الناس سيكون بسبب غضبة يغضبها . والعلم عند الله .

كثرت الأقوال والبراهين على أن ابن صياد هو نفسه الدجال الأكبر وإن كان الأمر كذلك فلابد وأن يكون جنيا حتى يستطيع أن يعيش منذ عهد الإسلام إلى حين ظهوره مرة أخرى فى آخر الزمان .

كذلك كثرت الأقوال والبراهين حول أنه ليس الدجال الأكبر إنما هو دجال صغير من الدجالين الذين ظهروا وسيظهرون قبل الدجال الأكبر مثل مسيلمة الكذاب وغيره وقد روى أحمد عن ابن عمر أنه قال : والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ليكونن قبل يوم القيامة المسيخ الدجال ، وكذابون ثلاثون أو أكثر» .

وثبت فى الصحيحين عن ابن صياد أنه صحب أبا سعيد فيما بين مكة والمدينة ، وأنه تبرم إليه فيما يقول الناس فيه أنه الدجال ، ثم قال لأبى سعيد ألم يقل رسول الله ﷺ إنه لايدخل المدينة ، وقد ولدت بها ، وإنه لا يولد له ، وقد ولد لى ، وإنه كافر ، وأنا قد أسلمت ، قال : ومع هذا إنى لأعلم الناس به ، وأين مكانه ، ولو عرض على أن أكون إياه لما كرهت ذلك .

قال النووى : «إن احتجاج ابن صياد بأنه مسلم والدجال كافر ، وبأنه لا يولد للدجال وقد ولد له هو ، وأنه لا يدخل مكة والمدينة وأن ابن صياد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة ، فلا دلالة فيه ، لأن النبى ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه فى الأرض فى آخر الزمان لا قبل ذلك» .

أما دعواه أنه لا يكره أن يكون هو الدجال وأنه يعرف موضعه فقد قيل : إنه من الواضح أنه لا يعنى بذلك علمه أن الدجال مقيد فى إحدى الجزر لأن ذلك يعرفه كل الصحابه (بعد حديث تميم الدارى الذى سنورده فى حينه إن شاء الله) ، فلا حاجة له إذن بتلك الدعوى المعروفة والغالب أنه أراد بذلك نفسه . قلت : قد تكون دعواه أنه يعرف الدجال وموضعه مجرد كذبة من أكاذيبه أو أنها معلومة اطلع عليها شيطانه ثم ألقاها إليه فى فترة كهانته وسحره . وبناء على هذا يكون مجرد دجال صغير وليس هو بالدجال الأكبر كما ذكر آنفا . والله أعلم .

ومما ينفى كونه الدجال الأكبر إيحاء الله تعالى إلى نبيه الكريم برؤية الدجال الحقيقى فى المنام فقد روى البخارى عن عبد الله ابن عمر أن رسول الله ﷺ رأى عيسى عليه السلام فى المنام ووصفه ثم رأى المسيخ الدجال ووصفه فقال عنه :

« .. ثم ذهبت التفت فإذا رجل جسيم أحمر جعد[١] الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية[٢] قالوا هذا الدجال أشبه الناس بابن قطن — رجل من خزاعة — (أو أقرب الناس به شبها ابن قطن[٣]) » .

هكذا رأى الرسول ﷺ عيسى عليه السلام ثم رأى الدجال الحقيقى فى المنام ثم وصفه وشبهه بابن قطن وهو رجل من خزاعة ، وليس معنى ذلك أن ابن قطن هو الدجال لأن التشبيه كان من حيث الخِلْقَة لا من حيث الخُلُق ، والحديث ليس فيه تعارض مع أقوال بعض العلماء التى ذكرناها آنفا والتى

(١) جعد : الجعودة : التواء الشعر .
(٢) طافية : ذهب نورها (وناتئة نتوء العنبة) ، ولعل إحدى عينيه ممسوحة والأخرى ناتئة نتوء العنبة .
(٣) ابن قطن : هو عبد العزى بن قطن من خزاعة مات فى الجاهلية .

تؤكد أن ابن صياد هو الدجال الأكبر ، وقد تكون المسألة مجرد ترتيب أحداث : تناثرت الأقوال حول ابن صياد .. ثم ورد ذلك الحديث .. فنفى تلك الأقوال . والله أعلم .

ابن صياد كان من يهود المدينة واسمه صاف كما ذكرنا آنفا ، وقيل : إنه كان من الأنصار واسمه عبد الله . كيف يكون ذلك ؟ قد يكون أصل اسمه «صاف» ولما أسلم سمى عبد الله ، وكان عمارة ابن عبد الله من سادات التابعين .

روى مالك وغيره أن الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالا من الدجاجلة ثم تيب عليه بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسيرته .

هكذا اختلفت الأقوال حول ابن صياد إلى أن جاء حديث تميم الدارى ، وقد كان الفيصل فى هذا الموضوع ، وأكد أن الدجال ليس هو ابن صياد ، إنما هو شيطان موثق بالسلاسل فى إحدى الجزر وسيخرج فى آخر الزمان بفتنته ، ومع ذلك فمازال بعض الناس يرددون أنه ابن صياد وهو نفسه الشيطان الموثق بالسلاسل ولهم براهينهم التى سنوردها مع الرد عليها إن شاء الله بعد عرض حديث تميم الدارى الذى روته فاطمه بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول ، وقد روى البعض حديث تميم عن رسول الله ﷺ ولكن رواية فاطمة كانت أشهر وأدق الروايات فى هذا الصدد .

حكاية الجَسَّاسة[1] :

روى مسلم عن فاطمة بنت قيس أنها قالت : (سمعت نداء المنادى،منادى رسول الله،ﷺ،ينادى الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله عليه الصلاة والسلام وكنت فى النساء اللاتى يلين ظهور القوم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال : «ليلزم كل إنسان مصلاه ، ثم قال : أتدرون لم جمعتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : «والله إنى ماجمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت

(١) الجساسة : سميت بذلك لأنها تجس الأخبار للدجال .

أحدثكم عن المسيح الدجال ، حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم ، وجذام ، فلعب بهم الموج شهرا فى البحر ثم أرفئوا[1] إلى جزيرة فى البحر حين مغرب الشمس فجلس فى أقرب [2] السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب [3] كثيرة الشعر لا يدرون ماقبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا : ويلك ماأنت ؟

فقالت : أنا الجساسة ، قالوا : وما الجساسة ؟

قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق ، قال : لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة ، قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط ، وأشده وفافا (أو وثاقا) مجموعة يداه إلى عنقه مابين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا : ويلك ماأنت ؟ قال : قد قدرتم على خبرى فأخبرونى ما أنتم ؟

قالوا : نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم[4] فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفينا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا ندرى قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ماأنت ؟ فقالت أنا الجساسة ، قلنا وما الجساسة ؟ قالت اعمدوا إلى هذا الرجل بالدير فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سراعا وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة ، فقال : أخبرونى عن نخل بيسان[5] .

فقلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا نعم ، قال : أما أنها يوشك أن لا يثمر .

قال : أخبرونى عن بحيرة طبرية . قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟

---

(١) أرفئوا : دنوا من البر ، أو لجئوا .

(٢) أقرب : قوارب صغيرة للنزول إلى الشاطىء وهى جمع قارب . (اى سفينة صغيرة مع الكبيرة معدة لقضاء الحوائج) .

(٣) أهلب : يقال هلب هلبا كثر شعره .

(٤) اغتلم البحر : (أى هاج واضطربت أمواجه) .

(٥) بيسان : قرية بالشام جنوبى طبرية ، وأيضا ناصية باليمامة . (ولعلها المرادة فى الحديث بدليل ذكر النخل) .

قال : هل فيها ماء ؟ قلنا هي كثيرة الماء ، قال إن ماءها يوشك أن يذهب . قال أخبروني عن عين زُغَر[1] .

قالوا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء ؟ ، وهي (أو وهل) يزرع أهلها بماء العين ؟

قلنا له : نعم هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها .

قال : أخبروني عن نبي الأميين مافعل ؟

قالوا : قد خرج من مكة ، ونزل يثرب ، قال : أقاتلته العرب ؟

قلنا نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب ، وأطاعوه .

قال لهم : قد كان ذاك . أما أن ذلك خير لهم أن يطيعوه وإني أخبركم عني : أنا المسيح ، وأني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة ، أو احداهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا[2] يصدني عنها ، وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها» .

قالت : قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته[3] في المنبر«هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة » يعني المدينة ، «ألا هل كنت حدثتكم ذلك فقال الناس : نعم ، فإنه أعجبني حديث تميم فإنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه ، وعن المدينة ، ومكة إلا أنه في بحر الشام ، أو في بحر اليمن ، لا بل من المشرق ، ماهو من قبل المشرق ، ماهو من قبل المشرق ماهو وأومأبيده إلى المشرق» . قالت حفظت هذا من رسول الله ﷺ) .

---

(١) زُغَر : إسم ابنة لوط عليه السلام واسم قرية بالشام سميت بذلك لأن ابنة لوط نزلت بها ، والقرية بها عين غور مائها علامة خروج الدجال .

(٢) صلتا : المسلول من غمده .

(٣) المخصرة : عصا أو قضيب .

قال القاضى عياض : فى قوله ﷺ «من قبل المشرق ماهو » لفظة مازائدة صلة الكلام ليست نافية والمراد إثبات أنه من قبل المشرق .

إذن فقد أكد الرسول ﷺ أن الدجال سوف يخرج من جهة المشرق ، وقيل من خراسان أو أصفهان ، وقد يتبادر تساؤل حول حبس الدجال فى جزيرة مجهولة منذ زمن بعيد ، فقد اكتشفت اليوم كل الجزر ولم يظهر للدجال فيها أثر فكيف هذا ؟ الإجابة على ذلك هى إما أن الله تعالى أخفى تلك الجزيرة عن عيون الناس أو أنه عز وجل قد أخفى الدجال عن العيون فلا يراه الناس وإن وطئوا الجزيرة . والمؤمن الحقيقى لايشك فى تلك القدرة الإلهية . وكانت رؤية تميم الدارى آية من آيات الله فى أيام الرسول ﷺ أكدت صدقه وصدق ماقاله عن الدجال ولذلك فقد أسلم تميم نفسه وهو صاحب الرواية وقد كان نصرانيا ، ولهذا تهلل وجهه ﷺ حين أخبر أصحابه بالحديث وقال : «فإنه أعجبنى حديث تميم فإنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه ، وعن المدينة ومكة» .

هكذا ثبت أن الدجال الأكبر هو شيطان موثق بالحديد فى إحدى الجزر المجهولة ، أما الأقاويل التى انتشرت عن ابن صياد لعلها كانت قبل أن يوحى إلى النبى ،صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ،فى أمر الدجال وتعيينه من خلال حديث تميم الدارى ، وبناء على هذا (فلا يلتئم أن يكون ابن صياد هو الدجال الأكبر حيث إنه كان صبيا فى أثناء الحياة النبوية ، أما الدجال الحقيقى فقد رآه تميم فى أواخر الحياة النبوية شيخا كبيرا محبوسا فى جزيرة من جزائر البحر موثقا بالحديد .

ومع ذلك فمازال البعض معتقدا إلى الآن أن المسيخ هو نفسه ابن صياد مستنداً فى هذا إلى حديث أبى داود عن جابر رضى الله عنه حين قال : «فقدنا ابن صياد يوم الحرة» ويوم الحرة هذا وقع فى زمن يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ تقريبا . ويدل ذلك أن ابن صياد عاش مع المسلمين فى المدينة مايزيد على سبعين سنة ، وأنه اختفى يوم معركة الحرة ، ولم يدر أحد أين ذهب . وهذا يضعف ماورد أنه مات بالمدينة وأنهم صلوا عليه لأنه أسلم وأنهم كشفوا عن وجهه . والله أعلم .

المعتقدون فى كون ابن صياد هو المسيخ الدجال يقولون : إنه شيطان تبدى فى صورة إنسان ، وبما أنه شيطان ، لاتحكمه االقوانين البشرية فهو يستطيع خرقها ، فظهر لتميم فى صورة الدجال المحبوس ، ثم عاد حتى اختفى يوم مذبحة الحرة حيث توجه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه إلى أن تجىء المدة التى قدر الله تعالى خروجه فيها .

الخلاصة فى حقيقة المسيخ الدجال : بالرغم من اختلاف الأقوال حول المسيخ إلى وقتنا المعاصر إلا أنه من المرجح أن ابن صياد ليس بالمسيخ الدجال وإنما هو مجرد دجال صغير من الدجالين الذين أشار الرسول ﷺ إلى ظهورهم قبل ظهور الدجال الأكبر والدليل على ذلك حديث تميم الدارى ورؤية النبى ﷺ للدجال الحقيقى وتشبيهه بابن قطن وليس بابن صياد كما ذكرنا آنفا .

أما المسيخ الحقيقى كما رأى غالبية العلماء فما حدثنا به النبى ﷺ من صفاته ، وشر فتنته (التى سنوردها فيما بعد إن شاء الله) ، لدرجة أن المسلم يحسب نفسه قويا على مواجهته فإذا جاءه افتتن به واعتقد أنه الله تعالى ، والعياذ بالله ، بالرغم من شناعة شكله وعور عينه ، ومثل تلك التأثيرات الخارقة لاتكون إلا لشيطان من الجان أو مزيج من أشر أبوين أحدهما إنسى والآخر جنى . ومما يثبت أيضا أنه شيطان من الجان حديث تميم الدارى ، فالإنسان الخالص لا يمكن أن يعيش كل تلك الفترة من الزمن منذ عهد سليمان عليه السلام إلى آخر الزمان ، لأن عمره محدود ، أما الجن فقد خلقه الله تعالى وجعله يعيش أعماراً طويلة من الزمن قد تمتد إلى قرون وقرون والدليل على ذلك إبليس الذى خلق قبل بدء خلق آدم وسيموت بإذن الله فى آخر الزمان قبل قيام القيامة مباشرة . إذن فالرأى الراجح ، والله أعلم ، أن المسيخ الحقيقى شيطان حبسه وأوثقه سليمان بن داود عليهما السلام أو غيره فى جزيرة مجهولة وسوف يخرج فى آخر الزمان بإذن الله ليكون فتنة فى الأرض . والله أعلم بما هو الحق عنده .

تخيل أيها الإنسان . شيطانا يخرج بعد أسره وقيده بالأغلال كل تلك القرون ، ماذا يكون قد اعتراه من غل وحقد بالإضافة إلى مافيه أصلا من شر

حبس بسببه ؟ ماذا يفعل فى الأرض ؟ حذار .. حذار منه .. حذار ! .

بعد كل ماذكرناه عن حقيقة الدجال وغيره مما لم نحاول ذكره نظرا لضعف إسناده ، أعود فأقول : إن الخلاصة النهائية هى أن ننتهى إلى حيث بدأنا ونكرر أن المسيخ الدجال هو شيطان سواء كان جنيا أو إنسيا وسيظهر فى آخر الزمان سواء ولد منذ زمن بعيد وقيد بالسلاسل فى إحدى الجزر المجهولة أو لم يولد بعد وسيولد فى آخر الزمان ، المهم أنه شيطان بمعنى أنه فاسد شرير سيظهره الله تعالى للناس كعلامة من علامات الساعة ليكون محنة وابتلاء حتى يختبر المؤمن الحقيقى فيزيده إيمانا ويبتلى المنافق ويزيده ضلالا .

خروج الدجال بفتنته فى آخر الزمان : السيد الدجال ليس بالأمر الهين ! وخروجه ليس بالسهل ! قبل ظهوره لابد من مقدمات وعلامات تشير إلى مقدم سعادته ! كما تساعد على فرز المؤمن الحقيقى من المنافق .

روى أحمد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : «لا تقوم الساعة حتى يظهر ثلاثون ؛ دجالون ،كذابون كلهم يزعم أنه رسول الله ، ويفيض المال فيكثر ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج» قال قيل أيما الهرج قال : «القتل القتل» .

الدجالون هم من ظهروا منذ بعثة النبى ﷺ وادعوا النبوة ومنهم مسيلمة الكذاب وغيره ممن ظهر وممن لم يظهر بعد ، ويكون آخرهم وأعظمهم فتنة هو المسيخ الدجال الذى يدعى الألوهية .

أما عن باقى العلامات الواردة بالحديث الشريف .. فكر فيها أيها القارىء .. استعرض ماذكرناه آنفا .. ثم أجب .. ألم تظهر بعد !

روى أحمد أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «سيكون فى أمتى دجالون كذابون يأتونكم ببدع من الحديث بما لم تسمعوا أنتم ، ولا آباؤكم فإياكم وإياهم ، لا يفتنونكم» .

كما روى أحمد كذلك عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : «بين يدى الساعة قريب من ثلاثين ؛ دجالين ، كذابين كلهم يقول : أنا نبى ، أنا نبى»

وعن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال : «الدجال أعور ، وهو أشد الكذابين» . وقبل خروج المسيخ ستمر ثلاث سنوات ينتشر فيها الظمأ والجوع ، حيث يأمر الله تعالى السماء فى السنة الأولى أن تمسك ثلث مطرها ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ، ثم يأمر السماء فى السنة الثانية فتحبس ثلثى مطرها ، ويأمر الأرض فتحبس ثلثى نباتها ، وفى السنة الثالثة يأمر السماء فتحبس مطرها كله فلا تمطر قطرة ، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت نبتا .

بينما الدنيا على هذى الحال .. الظمأ .. الجوع .. المرض .. البؤس والشقاء .. إذا به يخرج بموكب هائل من الأعوان والكنوز والأملاك .. على طائرة عظيمة .. ضخمة .. يأمر السماء فتمطر ! ويأمر الأرض فتنبت ! تذهب المجاعة ويسترد الناس حياتهم ! . ثم يأتى النهر فيأمره أن يسيل[1] ! فيسيل ! ويأمره أن يرجع[2] فيرجع ! ثم يأمره أن ييبس[3] فييبس ! يشفى المرضى ويحيى الموتى !. يدعو إلى الخير والصلاح !. فيتبعه الناس .. ثم يدعى النبوة .. وأخيرا يدعى الألوهية والعياذ بالله .. يملك أحدث الوسائل العلمية للتمويه والتعذيب .. معه جنة ونار .. يقول أنا رب العالمين .. أحيى وأميت .. يتحداه مؤمن .. فيعذبه ويقسم جسمه نصفين .. ثم يحييه ويقول له قم .. فيقوم .. ويقول له : ألم تؤمن أنى أنا الله رب العالمين ؟ ويرد المؤمن : لا .. بل أنت المسيخ الكذاب الذى حذرنا منه رسول الله ﷺ .. فيحاول قتله مرة أخرى ولم يستطع .. فيلقيه فى ناره .. أما من آمن به من الناس وقال له أشهد أنك الله رب العالمين فيلقيه فى جنته .. يزداد اليهود قوة .. والعرب يومئذ قلة ضعيفة .

ترد أخباره بالصحف والمجلات .. تذاع أحاديثه بشتى إذاعات العالم .. تنتشر البرامج والأفلام الخاصة به على كل شاشات التليفزيونات والسينمات

---

(١) يسيل : يزيد ويسير معه . وينساب الفيضان ومعه الخير حيث توجه .

(٢) يرجع : يرجع عنه .

(٣) ييبس : يجف ، ويصبح مكانه أرضا يابسة .

بجميع أنحاء الأرض .. يتساءل الناس .. إلهى ! من هذا ؟! أهو أنت يارب العالمين ؟!

يقول إنسان : إنه أحيا لى أبا .. يقول آخر : إنه شفى لى مريضا .. ويرد ثالث : إنه يملك جنة وناراً .. إذن فهو حقا رب العالمين !!

هكذا تكفر الغالبية العظمى من الناس بالله عز وجل وتؤمن بالمسيخ الدجال . وقد حذر منه سيدنا محمد ﷺ مراراً وتكراراً ، كما حذر منه جميع الأنبياء ، ومع ذلك نغمض أعيننا ، ونصم آذاننا ، خوفا على مشاعرنا المرهفة ! ، ونعيش دنيانا الزائلة ! وننسى أو نتناسى آخرتنا الدائمة ، ننسى الدجال وفتنته علينا أو على أبنائنا ، فيؤدى بنا إلى الهلاك الأبدى !

لكن .. ترى ! ماسره ؟ ماسر جنته وناره ؟ هل يحيى ويميت حقاً ؟ وكيف ؟ سنجيب على كل ذلك إن شاء الله تعالى ونروى القصة كاملة من خلال بعض الأحاديث الشريفة .

روى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت كان رسول الله ﷺ فى بيتى فذكر الدجال فقال : «إن بين يديه ثلاث سنين : سنة تمسك السماء ثلث قطرها ، والأرض ثلث نباتها ، والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها ، والأرض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله ، والأرض نباتها كله فلا يبقى ذات ضرس(١) ، ولا ذات ظلف(٢) من البهائم إلا هلكت ، وان من شدة فتنته أن يأتى الأعرابى فيقول أرأيت ان أحييت لك أبلك ألست تعلم أنى ربك ؟ فيقول : بلى فتمثل له الشياطين نحو إبله كأحسن ماتكون ضروعها ، وأعظمهن أسنمة(٣) .

قال : ويأتى الرجل قد مات أخوه ، ومات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت أباك ، وأحييت لك أخاك ألست تعلم أنى ربك ؟ فيقول بلى فتمثل له الشياطين

---

(١) ذات ضرس : المقصود كل آكل من الحيوان على ضرسه .

(٢) ذات ظلف : الظلف : هو الظفر المشقوق للبقرة والشاة والظبى وغيرها . والمراد هلاك الكل من شدة القحط والجوع .

(٣) أسنمة : جمع سنام وهو تلك الكتلة الدهنية الهرمية التى تعلو ظهر الجمل .

نحو أبيه ، ونحو أخيه» .

قالت : ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته ، ورجع ، والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم به قالت : فأخذ بلجمتى[1] الباب . وقال مهيم[2] أسماء قالت: قلت : يارسول الله قد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال .

قال : «فإن يخرج ، وأنا حى فأنا حجيجه ، وإلا فان ربى خليفتى على كل مؤمن» . قالت أسماء يارسول الله : والله إنا لنعجن عجينتنا فما نختبزها حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ ؟

قال رسول الله ﷺ : ﴿**يجزئهم ما يجزى أهل السماء من التسبيح ، والتقديس**﴾ .

قيل إن الدجال عند خروجه تأتيه أتان (أى دابة)[3] عرض مابين أذنيها أربعون ذراعا[4] تعبر البحار ، وتجول البلدان فى زمن قصير ، تلك الدابة بلغة أهل زمان هى حمار ، أما بلغتنا المعاصرة فهى طائرة عرض مابين جناحيها أربعون ذراعا . والله أعلم .

يتبع المسيخ قبائل من شياطين الجن يخرجون إليه بخزائن الأرض ، يسخرهم الله تعالى لخدمته ، كما سخر الجن من قبل لسليمان عليه السلام ، مع الفارق الكبير لأن سليمان عليه السلام استخدم الجن فى الخير ، أما الدجال فسوف يستخدمهم فى الشر حتى يكونوا فتنة وامتحانا للناس ، سيأمر شياطين الجن بالوسوسة للناس بأنه هو ربهم (والعياذ بالله) ، وهم كثيرون يومئذ ، منتشرون فى شتى أنحاء الأرض ، يملئون المنازل والبلدان . وقيل إن الدجال لا يسلط إلا على قتل إنسان واحد ، أما قتله للآخرين وادعاؤه أنه يحيى ويميت فهو من قبيل السحر والتخييل بفعل شياطين الجن الذين سخرهم الله تعالى لخدمته وليس بالحقيقى .

---

(١) بلجمتى : لجمتى الباب : أى خشبتى الباب اللتين يغلق بهما .
(٢) مهيم : كلمة يمانية تعنى : ماأمركم وشأنكم .
(٣) أتان : أنثى الحمار .
(٤) الذراع : ٧٥ سم . وأربعون ذراعا : ٣٠ مترا (ثلاثون مترا) .

روى مسلم عن أنس قال:قال رسول الله ﷺ : «الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر ، ثم تهجاها «ك ف ر» يقرؤه كل مسلم» .

روى مسلم عن حذيفة قال:قال رسول الله ﷺ : «لأنا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض ، والآخر رأى العين نار تأجج ، فإما أدركن أحدا فليأت النهر الذى يراه نارا ، وليغمض ثم يطأطىء رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد ، وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب ، وغير كاتب» .

وقيل : إنه من المحتمل أن يكون الدجال أعور العينين ، والعور هو العيب ، وكلتا عينيه معيبة ، إحداهما ممسوحة مطموسة أى ذهب ضوؤها ولا يرى بها ، ليست بناتئة ولا جحراء أى ليست بعالية ولا عميقة ، والخلاصة أنها عين ممسوحة .

والعين الأخرى ناتئة نتوء العنبة أو عليها ظفرة غليظة وهى لحمة تخرج فى العين من الجانب الذى على الأنف .

وقيل أيضا : إن المراد بأنه أعور العينين أن العين الواحدة عوراء فى نفسها والأخرى عوراء باعتبار انفرادها . والله تعالى أعلم .

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال:قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم عن الدجال حديثا ماحدثه نبى قومه ، إنه أعور ، وإنه يجىء معه مثل الجنة والنار ، فالتى يقول : إنها الجنة هى النار ، وإنى أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه» .



خطبة الرسول ﷺ عن الدجال

عن أبى أمامة الباهلى قال خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال ، وحذرناه فكان من قوله : أنه قال : «إنه لم تكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم ، وإن يخرج من بعدى فكل امرىء حجيج نفسه . والله خليفتى على كل مسلم ، وإنه يخرج من خلة[1] بين الشام ، والعراق فيعيث[2] يمينا ، ويعيث شمالا ياعباد الله أيها الناس فاثبتوا ، وإنى سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبىّ قبلى (إنه يبدأ فيقول أنا نبى ، ولا نبى بعدى ، ثم يثنى فيقول أنا ربكم الأعلى ، ولا ترون ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور ، وإن ربكم عز وجل ليس بأعور ، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب ، وغير كاتب ، وإن من فتنته أن معه جنة ، ونارا ، فناره جنة ، وجنته نار ، فمن ابتلى بناره فليستغث بالله ، وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا ، وسلاما كما كانت النار على إبراهيم ، وإن من فتنته أن يقول لأعرابى أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك ، أتشهد أنى ربك ؟ فيقول نعم . فيتمثل له الشيطان أو شيطانان فى صورة أبيه وأمه فيقولان يابنى اتبعه فإنه ربك ، وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقى شقين ، ثم يقول انظروا إلى عبدى هذا فإنى أبعثه الآن ، ثم يزعم أن له ربا غيرى ، فيبعثه الله ، فيقول له الخبيث : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، وأنت عدو الله ، أنت الدجال والله ماكنت بعد أشد بصيرة فيك منى اليوم ، ثم قال الرسول ﷺ : «ذلك الرجل أرفع أمتى درجة فى الجنة» . ثم قال أيضا : «وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض تنبت

(١) خلة : الخلة والخلل : الفرجة بين الشيئين أى مابين البلدين . ورواه بعضهم بالحاء . أى حلوله ونزوله يكون بين الشام والعراق .

(٢) يعيث : العيث : أشد الفساد والإسراع فيه .

فتنبت ، وإن من فتنته أن يمر بالحى فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة[1] إلا هلكت ، وإن من فتنته أن يمر بالحى فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر ، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت ، وأعظمه ، وأمده خواصر[2] ، وأدره ضروعا ، وأنه لا يبقى شىء من الأرض إلا وطئه ، وظهر عليه الا مكة ، والمدينة ، فانه لا يأتيهما ما من نقب[3] من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف مصلتة حتى ينزل عند الظريب الأحمر[4] عند منقطع السبخة [5] فترجف المدينة[6] بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ، ولا منافقة إلا خرج إليه فتنفى الخبيث منها كما ينفى الكير خبث الحديد[7] ، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص» .

والحديث التالى يوضح قوله ﷺ فى حديثه السابق : «إن من فتنته أن يمر بالحى فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت ، وان من فتنته أن يمر بالحى فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ماكانت ..» . أى ستنقلب المعايير والمفاهيم فى عهد الدجال ولنتأمل :

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال:قال رسول الله ﷺ : «إن أيام الدجال (أو أمام الدجال) سنين خداعة يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويخون فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويتكلم فيها الرويبضة» . قيل وما الرويبضة ؟ قال «الفويسق يتكلم فى أمر العامة» .

روى مسلم عن أم شريك قالت:ان رسول الله ﷺ قال : «ليفرن الناس من الدجال ، يلحقوا برءوس الجبال» قلت يارسول الله أين العرب يومئذ ! قال « هم قليل » .

---

(١) سائمة : كل إبل ترسل للمرعى فترعى فيه ولا تعلف .
(٢) أمده خواصر : أطوله خواصر لكثرة امتلائها من الشبع .
(٣) الأنقاب : جمع نقب وهو الطريق بين جبلين .
(٤) الظريب الأحمر : الجبال الصغار .
(٥) منقطع السبخة : السبخة هى الأرض التى تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر .
(٦) فترجف المدينة : تتزلزل وتضطرب .
(٧) خبث الحديد : هو ما تلقيه النار مما عليه من الصدأ .

روى أحمد عن أبى أمامة قال:قال رسول الله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لايضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء[١] حتى يأتى أمر الله وهم كذلك» قالوا يارسول الله وأين هم ؟ قال : «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس» .

فبالرغم من انقلاب المفاهيم وانتشار الظلم والفساد فى أيام الدجال ، وبالرغم من قلة العرب وقتئذ إلا أن المؤمن الذى يدافع عن الحق سيزال موجوداً ، والمؤمنون يومئذ قلة قليلة ببيت المقدس ومكة والمدينة وهى الأماكن المحرمة على الدجال وسنورد ذلك فيما بعد إن شاء الله .

قصة المؤمن الذى يتحدى الدجال :

روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال:قال رسول الله ﷺ : (يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح[٢] مسالح الدجال فيقولون له : أين تعمد ؟ فيقول : أعمد إلى هذا الذى خرج .

فيقولون : أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول : مابربنا خفاء .

فيقولون اقتلوه . فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه ؟ قال فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : يأيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ . قال فيأمر الدجال به فيشبح[٣] فيقول خذوه وشجوه[٤]فيوسع ظهره وبطنه ضربا ، قال فيقول : أما تؤمن بى ؟ فيقول : أنت المسيح الكذاب . قال فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشى الدجال بين القطعتين ، ثم يقول : قم ، فيستوى قائما . قال ثم يقول له : أتؤمن بى ؟ فيقول : ماازددت فيك إلا بصيرة[٥] . قال ثم يقول : يأيها الناس انه لايفعل بعدى بأحد من الناس . قال

(١) لأواء : الشدة .
(٢) المسالح : قوم معهم سلاح يتبعونه .
(٣) يشبح : شبح الجلد مده بين أوتاد ، وشبح الرجل مده ليجلده أو مده كالمصلوب .
(٤) شجوه : يمد على بطنه للضرب . والشبح : الجرح .
(٥) بصيره : المعرفة واليقين .

فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل مابين رقبته إلى ترقوته[1] نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا قال فيأخذ بيده ورجليه فيقذف به فيحسب الناس إنما ألقى فى النار وانما ألقى فى الجنة قال رسول الله ﷺ «هذا أعظم الناس شهادة عند الله رب العالمين» .

هكذا لا يسلط الدجال إلا على هذا المؤمن فقط فيقتله ولا يستطيع قتل غيره ، إنما معه رجال من شياطين الجن يقتلهم ثم يحييهم لا على سبيل الحقيقة إنما هو رأى العين فقط وعلى سبيل السحر والتخييل عن طريق استخدام هؤلاء الجنود من الجان .

وعن حذيفة : أن معه جنة وناراً ورجالا يقتلهم ثم يحييهم ومعه جبل ثريد[2] ونهر ماء والخلاصة أن الدجال يخرج ومعه ماء ونار ، فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق ، وأما الذى يراه الناس ناراً فماء بارد عذب ، فمن أدرك ذلك فليقع فى الذى يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب .

الأماكن المحرم عليه دخولها – ومدة حكمه :

روى الإمام أحمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله قال أشرف رسول الله ﷺ على فلق من أفلاق الحرة[3] ، ونحن معه فقال : «نعمت الأرض المدينة إذا خرج الدجال ، على كل نقب[4] من أنقابها ملك ، لايدخلها ، فإذا كان ذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، لايبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، وأكثر (يعنى من يخرج إليه) النساء ، وذلك يوم التخليص ، يوم تنفى المدينة الخبيث كما ينفى الكير خبث الحديد ، يكون معه سبعون ألفا من اليهود على كل رجل منهم ساج[5] ، وسيف محلى فيضرب رواقه بهذا الضرب الذى عند مجتمع

---

(١) ترقوه : مقدم الحلق فى أعلى الصدر حيث يترق النفس وجمعها التراق (كلا إذا بلغت التراق) وهى العظمة بين ثغر النحر والعاتق .

(٢) ثريد : الخبز يفت فى المرق والحساء .

(٣) فلق الحرة : الحَرَّة أرض ذات حجارة سود ، والفِلق الشىء المفلوق .

(٤) نقب : الطريق بين جبلين .

(٥) ساج : هو الطيلسان الأخضر والطيلسان كساء يشبه المعطف وهو كما جاء فى المنجد كساء أخضر يلبسه المشايخ والعلماء . وهو من لباس العجم (كاكولة ـــ جبة) .

السيول[1]» .

ثم قال رسول الله ﷺ « ما كانت فتنه ، ولا تكون حتى تقوم الساعة أكبر من الدجال ، وما من نبى إلا وقد حذره أمته ، لأخبرنكم بشيء ما أخبرة أمته نبى قبلى ، ثم وضع يده على عينيه ، ثم قال : اشهد أن الله ليس بأعور» .

روى أحمد عن عائشة أن النبى ﷺ قال : «لا يدخل الدجال مكة ، ولا المدينة» .

كما روى أحمد عن أبى بكرة فى مسيلمة الكذاب قال فيه : «إنه كذاب من ثلاثين كذابا يخرجون قبل الدجال ، وأنه ليس بلد إلا سيدخله رعب المسيخ الدجال : إلا المدينة على كل نقب من نقابها يومئذ ملكان يذبان عنها رعب المسيخ» والخلاصة أن رعب الدجال يمتد لكل بلاد العالم إلا مكة والمدينة وبيت المقدس ، فلا يستطيع الدخول إليها .

روى أحمد عن عائشة أنها قالت : دخل على رسول الله ﷺ ، وأنا أبكى قال : مايبكيك ؟ قلت : يارسول الله ذكرت الدجال فبكيت,قال رسول الله ﷺ : «إن يخرج الدجال ، وأناحى كفيتكموه ، وإن يخرج بعدى فإن ربكم ليس بأعور ، إنه يخرج فى يهودية أصبهان حتى يأتى المدينة فينزل ناحيتها ، ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتى الشام مدينة بفلسطين بباب لد فينزل عيسى بن مريم فيقتله ، ثم يمكث عيسى فى الأرض أربعين سنة إماما عادلا ، وحكما مقسطا» .

روى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله أنه قال:قال رسول الله ﷺ : «يخرج الدجال فى خفة من الدين[2] ، وإدبار من العلم[3] ، وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض اليوم منها كالسنة ، واليوم منها كالشهر ، واليوم منها كالجمعة ، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ...» .

---

(١) رواقه عند مجتمع السيول : أى يعسكر بجنده خارج الحرة عند الوادى حيث تجتمع السيول .
(٢) خفة من الدين : يوم ألا يكون للدين وزن .
(٣) إدبار من العلم : يوم أن ينتشر الجهل بأمور الدين .

وقيل للرسول ﷺ : يارسول الله ، هذا اليوم الذى كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة ؟ قال : «اقدروا له قدره» .

قيل،والله أعلم،إن الدجال يقول أنا رب العالمين ، وهذه الشمس تجرى بإذنى أفتريدون أن أحبسها ؟ فتحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر والجمعة ، ويقول أتريدون أن أسيرها ؟ فيقولون نعم فيجعل اليوم كالساعة .

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين ، لا أدرى أربعين يوما ، أو أربعين شهرا ، أو أربعين عاما ، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ..» .

قيل لم يبق من الناس بلا فتنة من الدجال إلا إثنا عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة . والله أعلم .

عدم ذكره صراحة فى القرآن .

الشىء المثير للتساؤل هو أنه بالرغم من هول فتنة الدجال وتحذير الأنبياء صلى الله عليهم وسلم منه ، إلا أنه لم يذكر صراحة بالقرآن الكريم ، وإنما ذكر ضمنيا كما ورد فى سورة الأنعام آية ١٥٨ حيث قال تعالى : ﴿**يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا**﴾ .

لشرح تلك الآية الكريمة روى أبو عيسى الترمذى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : «ثلاث إذا خرجن (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا) طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض» .

فطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض أبرز أشراط الساعة وأوضحها وآخرها وبالتالى فلن يقبل الله تعالى توبة تائب أو إيمان كافر وقتئذ . فالله تعالى لا يقبل توبة الإنسان لحظة احتضاره . ولو شبهنا عمر الدنيا بعمر الإنسان لقلنا : إن طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض هما لحظة احتضار الدنيا ، فلا يقبل الله تعالى توبة منها حينئذ .

أما وقت ظهور الدجال فالأمر مختلف لأن المشكلة ليست فى عدم قبول الله تعالى لتوبة الإنسان يومئذ ، بل هى مشكلة الإنسان نفسه الذى سيقف حائرا مذهولا أمام كل تلك الفتن الرهيبة ، لا وقت عنده ، ولا طاقة له للتذبذب أو التفكير ، أمامه شخص يدعى الألوهية ومعه من الأدلة والبراهين القوية التى تؤكد ذلك ، بالإضافة إلى أنه يملك جَنَّةً وناراً يراهما الناس رأى العين ، ويلقى هذا فى جنته ، ويقذف بذاك فى ناره ، فمن لم يحط علما بالدجال من قبل ، ومن لم يتحصن بحصانة الايمان القوى المتين فسوف ينهار بلا شك أمام جنته وناره المزعومتين .

وبناء على هذا فإن وقت ظهور الدجال كوقت طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض سوف لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل .

ولكن كيف يكون المسيخ هو الله سبحانه وتعالى ؟! كيف يكون الله عز وجل مسيخ الخلق ؟! إن كان الدجال هو الله سبحانه وتعالى ألا يستطيع إصلاح عينيه وخلقه ؟! كيف نرى الله تعالى فى الدنيا ؟! فى العالم الأرضى ؟! كيف نراه قبل الموت ؟! ولِمَ لَمْ يره من سبقونا ؟! وأين الإيمان بالموت والعالم الآخر والقيامة ؟! أين العقل الفطرى الذى يفكر فى تلك البديهيات ؟! .

المؤمن القوى هو من يؤمن بكل ماورد بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ومن لم يؤمن بأحدهما فهو مذبذب الإيمان ، وسوف ينهار بلاشك أمام فتن الدجال التى لم تذكر صراحة بالقرآن الكريم .

ألم تصل بعد عزيزى القارىء إلى السبب فى عدم ذكر المسيخ الدجال بكتاب الله سبحانه وتعالى ؟! فكر .. والعلم عند الله .

ما ينجى من الدجال :

من يسمع عن الدجال فليبتعد عنه ، ويستعذ بالله منه ، ويقرأ سورة الكهف ويسكن مكة المشرفة أو المدينة النبوية المنورة ، ولنؤكد ذلك بالأحاديث الشريفة .

ثبت فى الأحاديث الصحاح أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من فتنة الدجال فى الصلاة ، وأنه أمر أمته بذلك أيضا : «اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال» وذلك من حديث أنس وأبى هريرة وعائشة وابن عباس وسعد وغيرهم والاستعاذة من الدجال متواترة عن رسول الله ﷺ ، ومن ذلك حفظ عشر آيات من سورة الكهف .

وفى رواية من أحمد : «من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال» كما روى أبو داود عن أبى الدرداء عن رسول الله ﷺ قال : «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» . روى الإمام أحمد عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال : «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» . وقد يكون المقصود هذا أو ذاك ، المهم أن يحفظ عشر آيات من سورة الكهف سواء من أولها أو من آخرها . والله أعلم.وروى الترمذى من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه مرفوعا«من حفظ ثلاث آيات من أول سورة الكهفعصممن فتنة الدجال» . عن علىّ مرفوعا : «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة ، وإن خرج الدجال عصم منه» . الخلاصة أن سورة الكهف فى غاية الأهمية للنجاة من الدجال .

للنجاة من الدجال أيضا يجب سكنى مكة والمدينة المنورة وقد روى البخارى ومسلم من حديث الإمام مالك رضى الله عنه عن نعيم المجمر عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ، ولا الدجال» .

كما روى البخارى عن أبى بكرة عن النبى ﷺ قال : «لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان» .

روى الترمذى عن أنس قال:قال رسول الله ﷺ «يأتى الدجال المدينة فيجد الملائكة يحرسونها فلا يدخلها الطاعون ، ولا الدجال إن شاء الله تعالى» .

روى أحمد عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ قال : «من سمع بالدجال فلينأ[1] منه ، من سمع بالدجال فلينأ منه ، من سمع بالدجال فلينأ منه ، فإن الرجل يأتيه فيحسب أنه مؤمن[2] فما يزال به لما معه من الشبه حتى يتبعه» .

كما روى أبو داود عن عمران بن حصين أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله ان الرجل ليأتيه ، وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات (أو لما يبعث به من الشبهات) . عزيزى القارى ؟ أكرر وأقول حذار من الدجال .. حذار .. وحذار من الغرور .. لا تعتقد أن أمره هين وأنك ببساطه تستطيع مواجهته وكما يقولون بالعامية (كان غيرك اشطر) . ألا تذكر قصة ابليس الذى كان من أصلح عباد الله تعالى !.. إبليس بطل أحداث كتابنا هذا !.. الذى فتن بصلاحه وتقواه وأصيب بالغرور الذى أدى به الى الكفر .. إبليس ذلك المعلوم المجهول !!! الذى لم نورد ذكره صراحة بين سطور صفحاتنا بعد ، بالرغم من أنه وراء كل حادث وكل مصيبة أشرنا وسنشير إليها إن شاء الله .. إبليس صاحب الفضل الأكبر !! فى كل فتنة قامت وستقوم منذ خلق آدم وحتى تقوم الساعة . ماسر ذلك الصراع الرهيب بينه وبين آدم ؟ .

قصة إبليس وسر صراعه مع آدم[3] :

كان اسمه عزازيل ، وهو اسم عبرانى أو سريانى معناه الحارث . قيل والله أعلم — إنه كان من الجن الذين يعيشون فى الأرض قبل خلق آدم ، حاربهم الملائكة لفسادهم فيها ، فأسروه وصعدوا به إلى السماء ، صار معهم يتعبد

---

(١) فلينأمنه : فليبتعد .

(٢) يحسب أنه مؤمن : يظن بنفسه الايمان القوى القادر على الثبات أمام فتنة الدجال ولكنه حين يراه يفتتن به ويتبعه .

(٣) المراجع فى هذا الجزء (صراع ابليس مع ادم) هى القرآن الكريم ، تفسير القرآن لابن كثير ، الايمان والروح لأحمد الحلوانى ، كلمات القرآن — حسنين محمد مخلوف ، أسرار الجن لمصطفى فهمى الحكيم .

والمرجع الأساسى هو تفسير القرآن لابن كثير وإسمه تفصيلا : تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

عبادتهم ويطيع طاعتهم حتى غدا من أشراف الملائكة وأكثرهم علما وعبادة .

كان عزازيل بهى الصورة ، رباعى الأجنحة ، وكان خازنا على الجنة ، له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض .

زاد فساد الجن فى الأرض وسفكهم للدماء وقتل بعضهم بعضا فبعث الله تعالى إليهم عزازيل ومن معه من جنود السماء فألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ، عاد منتصرا .. فخورا فى أعماق نفسه .. معتزا بذاته .. معتقدا أنه لا يستطيع أحد فعل مافعل ، ولا الوصول إلى ماوصل من الشرف والعلم والمكانة عند الله رب العالمين . لم يطلع على مكنون ما فى نفس عزازيل من الفخر والغرور إلا الله تعالى ، أما الملائكة فلم يعلموا شيئا من هذا .

ثم وقع ما لم يكن فى الحسبان ، وجد عزازيل فى كل موضع سجدة مكتوبا : طرد إبليس ، لعن إبليس ، خزى إبليس ، رأى على حلقة باب الجنة مكتوبا : إن لى عبدا من جملة المقربين ، آمره فلم يمتثل أمرى بل يعصى ويعصى فأطرده عن بابى وألعنه وأجعل طاعته وعبادته هباء منثوراً .

ذهل عزازيل وقال من ابليس المطرود هذا ؟ ، نعوذ بالله تعالى من ذلك ، ثم توجه إلى الله تعالى قائلا : يارب ائذن لى أن ألعنه ، فأذن له ، فلعنه ألف سنة .

لم يطلع على هذا الأمر عزازيل وحده بل اطلع عليه سائر الملائكة حين نظر إسرافيل عليه السلام فى اللوح المحفوظ فرأى نفس الكلام .. بكى حتى رحمته الملائكة .. اجتمعوا وسألوه عن بكائه :. قال : اطلعت على سر من أسرار ربى ، وقص عليهم القصة ، فبكى الملائكة جميعا وصاحوا : لا تدبير لنا سوى أن نذهب إلى عزازيل فإنه مجاب الدعوة ومن جملة المقربين فنسأله أن يدعو لنا عند الله تعالى ، فجاءوا إليه وأخبروه .. رفع يديه وقال : يارب آمنهم من القطيعة .. فدعا لهم ونسى نفسه ، أصابه الغرور لدرجة أن لم يتصور فى لحظة ما أنه من الممكن أنه يكون هو إبليس المطرودَ هذا .. لم يشك يوما أن الله تعالى قد اطلع على مكنون ما فى نفسه من غرور وكبرياء . هكذا استجاب لدعائه فى حق الملائكة ورقم هو برقمة الشقاء . قال كعب الأحبار : كان اسمه فى سماء

الدنيا العابد ، وفى الثانية الزاهد ، وفى الثالثة العارف ، وفى الرابعة الولى ، وفى الخامسة التقى ، وفى السادسة الخازن ، وفى السابعة عزازيل ، وفى اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل عن عاقبة أمره ، ولفظ إبليس أعجمى لا عربى من الإبلاس أى الإبعاد .

لما وقع الكبر فى نفس عزازيل ، لم يعلم الملائكة بذلك ، بل اطلع عليه الله تعالى وقال للملائكة : ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون**﴾ . (البقره - ٣٠) فبعث الله جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض : إنى أعوذ بالله منك أن تنقص منى أو تشيننى فرجع ولم يأخذ ، وقال يارب إنها عاذت بك فأعذتها ، فبعث ميكائيل فعاذت منه فعاذها ، فرجع فقال كما قال جبريل .

فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره ، فأخذ من وجه الأرض وخلط ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به ، فبلّ التراب حتى عاد طيناً لازباً واللازب هو الذى يلتزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة (إنى خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) .

فخلق الله آدم بيده لئلا يتكبر عزازيل عنه ، ليقول له : تتكبر عما عملت بيدى ولم أتكبر أنا عنه بخلقه بشراً ! فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه فكان أشدهم فزعا منه عزازيل ، كان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول تعالى : (من صلصال كالفخار) . ثم يقول عزازيل لجسد آدم لأمر ماخلقت ؟! ، ودخل من فيه فخرج من دبره ، وقال للملائكة لاترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا

أجوف لئن سلطت عليه لأهلكته ، فلما بلغ الحين الذى يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة إذا نفخت فيه من روحى فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح فى رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال ، فقال له الله «يرحمك الله» .
فلما دخلت الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل الروح إلى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى ﴿**خلق الانسان من عجل**﴾ فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا عزازيل أبى واستكبر أن يكون مع الساجدين ، قال الله له مامنعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقت بيدىّ ؟ قال أنا خير منه لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين .

قالت عائشة قال رسول الله ﷺ : «خلق الله الملائكة من نور العرش وخلق الجان من مارج من نار[1] وخلق آدم مما وصف لكم» .

وفى حديث موسى عليه السلام : «رب أرنى آدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة ، فلما اجتمع به قال أنت آدم الذى خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته!» وحين قال الله تعالى لعزازيل ﴿**مامنعك[2] ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾[أ] .

﴿**أأسجد لمن خلقت طينا**﴾[ب]!.

نظر اللعين إلى أصل عنصر آدم ولم ينظر إلى التشريف العظيم الذى منحه الله إياه وتكريمه له عن سائر المخلوقات حتى عن سائر ذريته من بعده ، إذ خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ثم أسجد له ملائكته ، وبعد كل هذا كلمه وعلمه

(١) مارج من نار : اللهب الأصفر والأخضر الذى يعلو النار إذا أوقدت .
(٢) مامنعك : ما اضطرك . أو مادعاك وحملك (أ) سورة الاعراف . (ب) سورة الاسراء .

بنفسه . ومع ذلك لم يطع عزازيل أمر الله تعالى ولم يسجد تكريما لعظمة خلقه ، بل حسد آدم عليه السلام على ماأعطاه الله عز وجل من الكرامة وقال أنا نارى وهذا طينى ، استكبر عدو الله أن يسجد لآدم عليه السلام ، وكان بدء الذنوب الكبر وقد ثبتت فى الصحيح «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» . وقد كان فى قلب عزازيل من الكبر والكفر والعناد مااقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وحضرة القدس .

قال تعالى : **﴿فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾**[جـ] .

هكذا كفر عزازيل ، سمى ابليس ، وأبعد عن رحمة الله ثم طرد من الجنة ، فامتلأ غلاً وحقداً على آدم وذريته : .

﴿قال أرءيتك [1]هذا الذى كرمت علىّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن[2] ذريته إلا قليلا﴾[د].

﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين[3] ، قال أنظرنى[4] إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين[5]﴾[هـ].

لما سأل إبليس الله تعالى أن يمهله إلى يوم البعث أجابه عز وجل إلى ما سأل لما له فى ذلك من الحكمة ، ولما اطمأن إبليس إلى هذا أخذ فى المعاندة والتمرد ، فقد كره آدم .. حقد عليه .. وأبغضه شر بغض ، لأنه سبب خروجه من الجنة ..

(١) أرءيتك : أخبرنى .
(٢) لأحتنكن ذريته : لأستولين عليهم . أو لأستأصلنهم بالإغواء
(٣) الصاغرين : الأذلاء المهانين .
(٤) أنظرنى : أخرنى وأمهلنى فى الحياة .
(٥) المنظرين : الممهلين إلى وقت النفخة الأولى .

(جـ) سورة البقرة .
(د) سورة الاسراء .
(هـ) سورة الاعراف .

وسبب إذلاله .. فقد حرم من النعيم والشرف والكرامة ، وطرد من رحمة الله تعالى ، فوقف بوقاحة متحدّياً له عز وجل .. متوعدا له تعالى أن يكيد لآدم مدى الدهر ، **﴿قال فبما أغويتنى[١] لأقعدن لهم[٢] صراطك المستقيم[٣] ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين﴾** .[أ] .

وبدأ الصراع .. الصراع بين إبليس وآدم .. توعد إبليس أن يأتى آدم من جميع الجهات وبكافة الوسائل المتاحة له حتى يصرفه عن عبادة الرحمن ويبعده عن الخير والإيمان ويدنيه من الشر والفساد ليودى به إلى الكفر والهلاك . فأمره تعالى : **﴿قال اخرج منها مذءوما [٤]مدحوراً [٥]لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾**[ب] و **﴿قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً ، واستفزز[٦] من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم[٧] بخيلك ورجلك[٨] وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا[٩] ، إن عبادى ليس لك عليهم سلطان[١٠] ، وكفى بربك وكيلا[١١]﴾**[جـ] . **ثم توجه الرحمن إلى عباده من ذرية آدم وحذرهم مراراً وتكراراً فى كتابه**

---

(١) فبما أغويتنى : فبما أضللتنى .
(٢) لأقعدن لهم : لأترصدنهم ولأجلس لهم .
(٣) الصراط المستقيم : طريق الحق وسبيل النجاة وهو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه وهو الاسلام .
(٤) مذءوما : مذموما أو معيبا أو محقرا أو لعينا .
(٥) مدحورا : مطرودا مبعدا .
(٦) استفزز : استخف واستعجل وأزعج .
(٧) أجلب عليهم : صِحْ عليهم وسقهم .
(٨) بخيلك ورجلك : بكل راكب وماشٍ فى معاصى الله .
(٩) غرورا : باطلا وخداعا .
(١٠) عليهم سلطان : تَسَلُّط وقُدْرَةٌ على إغوائهم .
(١١) كفى بربك وكيلا : أى حافظا ومؤيدا ونصيرا .

(أ) الأعراف .
(ب) الاعراف .
(جـ) الاسراء .

العزيز من الشيطان ومنه قوله تعالى فى سورة الأعراف بآية ٢٦ : ﴿يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ .

نجح إبليس فى طرد آدم من الجنة ، ومازال يكيد له حتى اليوم ، وإلى مدى الدهر . حذار منه يابن آدم .. إنه يراك لكنك لاتراه .. يسمعك وأنت لا تسمعه .. يحدثك دون أن تحدثه .. قد يحتويك لأنه أقوى منك وأنت لاتشعر .. يحتويك فقط فى حالة بعدك عن الإيمان .. فحاول أن تتقرب إلى العزيز الجبار كى يحميك منه .. فيرهبك ولا يستطيع النيل منك .. وهنا فقط تصير أنت أقوى منه . لكن .. كيف يراك ويسمعك ويكلمك ويحتويك دون أن تراه أنت أو تسمعه أو تكلمه أو حتى تشعر به ؟!

قال الله عز وجل لبنى آدم فى سورة الأعراف : **﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾** .

الشيطان له طرق عديدة فى الاتصال بالإنسان لسنا بصدد الحديث عنها الآن وإنما نكتفى بمجرد نبذة مختصرة تستند على قول النبى ﷺ : « إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم » .

فالشيطان يوسوس للإنسان خاصة وهو فى خلوته أو فى الأماكن الخربة حيث يشعر بقشعريرة تسرى فى جسمه وأن نفسه تحدثه بهواجس قد تؤدى به إلى الانتقال من حالته الطبيعية إلى هياج عصبى أو اكتئاب نفسى ويكون ذلك من حركة فى الدم ، فقد يطّرد جريانه فى الجسم ، وقد ينقبض ، ومن هاتين الحركتين تتصاعد الزفرات ، أو يزداد نبض القلب ، ويتحرك الدم سريعاً حتى يصل الى الرأس فيمتلىء به وهنا يميل به التفكير حيث يميل ، وغالبا مايميل به إلى الكآبة والبعد

عن الايمان . ويكون ذلك تبعا لقوة مجرى الدم . والمشكلة ليست فى جريان الدم وإنما هى فى تلك الهواجس ، وهذه الأفكار المتلاحقة التى تتراءى للإنسان فى مثل تلك الأحوال ، فتدب إلى نفسه هذه الوسوسة التى لم تكن سوى من فعل الشيطان الذى يجرى من ابن آدم مجرى الدم . فان استعاذ بالله منه ، أمن شره ، وإن تركه واستسلم لهواجسه وأفكاره فإن الشيطان يلعب به كيفما يريد وفاء لوعده بالكيد لآدم وذريته ! ولكل إنسان شيطان أو قرين ، بدليل ما أجمعت عليه كتب التفاسير من أن رسول الله ﷺ قال : (إنه مامن إنسان إلا وقد وكل به قرين من الجن) والإنسان العاقل هو من يهزم قرينه بقوة الايمان .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : (يعقد الشيطان على قافية[1] رأس أحدكم إذا هو نام ، ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة عليه ليل طويل فأرقده . فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ ، انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها . فأصبح نشيطاً طيب النفس . والا أصبح خبيث النفس كسلاناً) وقال عليه الصلاة والسلام : إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ ، فليستنثر[2] «يستنشق بالماء» ثلاثاً فان الشيطان يبيت على خيشومه .

وقال ﷺ : (كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه بإصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ، ذهب الشيطان يطعنه فطعنه فى الحجاب)[3] .

---

(١) قافية رأس : القفا : مؤخر العنق يذكر ويؤنث كما فى الحديث هنا وجمعه على التذكير أقفية ، وعلى التأنيث أقفاء .

(٢) الاستنشاق إيصال الماء إلى الأنف ويكون باليمنى ، والاستنثار إخراجه ويكون باليسرى .

(٣) الحجاب : الجلدة التى فيها الجنين (المشيمة) .

لقد ضحى الشيطان برضى الله تعالى وبالجنة ، وفضل غضبه عز وجل وعذاب النار الأبدى على السجود لآدم احتقاراً وحسداً له ، وحقدا عليه حتى بعد موته ، فقد لقى ابليس موسى عليه السلام فقال ياموسى : أنت الذى اصطفاك الله برسالتك وكلمك تكليما ، وأنا من خلق الله أذنبت وأريد التوبة ، فاشفع لى عند ربك عز وجل ، أن يتوب علىّ ، فدعا موسى ربه . فقيل ياموسى قد قضيت حاجتك . فلقى موسى عليه السلام إبليس فقال قد أُمرتَ أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك . فاستكبر وغضب وقال : لم أسجد له حياً ، أأسجد له ميتا ؟! ثم قال إبليس : ياموسى ، إن لك حقاً بما شفعت الى ربك فاذكرنى عند ثلاث : اذكرنى حين تغضب ، فإن وحيى فى قلبك وعينى فى عينيك وأجرى منك مجرى الدم . واذكرنى حين تلقى الزحف ، فإنى آتى ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولى . وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإنى رسولها إليك ورسولك إليها .

هذا هو إبليس الذى أمهله الله تعالى إلى يوم البعث حتى يكون فتنة وامتحانا للناس على مدى الدهر ، كى يظهر المؤمن الحقيقى الذى ينتصر على شيطانه من المؤمن الضعيف أو الكافر الذى ينتصر عليه شيطانه .

هكذا الحياة .. صراع دائم بين بنى آدم ، وإبليس والأشرار من ذريته .. سيصل ذلك الصراع إلى ذروته فى أيام المسيخ الدجال الذى قد يكون من ذرية إبليس والله أعلم .. تلك هى الفرصة الكبرى وقتئذ لإبليس كى ينتقم من ذرية آدم أشد انتقام .. سيلعب دوراً خطيراً فى ذاك الوقت هو وذريته الذين سوف ينتشرون فى شتى أنحاء الأرض . فحذار منهم يا ابن آدم .. حذار .. حذار ! .

نهاية الدجال :

المؤمنون قلة يومئذ .. يفر بعضهم من الدجال .. ويعتصم بذروة جبل بالشام .. قيل اسمه جبل الدخان .. الدجال وأعوانه من بنى ابليس وبنى آدم كثرة هائلة .. وقوة جبارة طاغية .. يلحق بالمؤمنين .. ويحاصرهم بأصل الجبل .. يشتد الحصار .. ويمعن فى وسائل التعذيب والإرهاب .. يمنع عنهم الطعام والشراب .. تعلو أصواتهم بالتهليل والتسبيح والتحميد .. كلما أمعن الدجال فى الحصار والإرهاب .. علت أصوات المؤمنين بذكر الله تعالى الذى يصير قوتهم وقتئذ ، ويصبح عوضا لهم عن الزاد .. تطول الأيام .. تمر الشهور .. وقد تمتد الى سنوات .. الظلام دامس .. الرعب سائد .. والقلوب تئن .. تثور .. إلى متى الانتظار ؟! هيا بنا إلى الموت أو الانتصار .. وبعد ثلاث سنوات شداد .. أو ما يعادل ثلاث سنوات من أيام الدجال .. يعزمون على القتال .. لكن .. للأسف .. تأخذهم ظلمة شديدة حتى لا يبصر أحدهم كفه .. أما من خلاص ؟! أما من مفر ؟!

بينما هم على هذى الحال .. رعب .. جوع .. كآبة .. ظلم وظلام .. إذا بهم يسمعون النداء : جاءكم الغوث .. يقولون : هذا كلام رجل شبعان .

وإذا بالأرض تشرق بنور ربها .. إذا به تعالى يبعث الرحمة من عنده .. فرج الله قريب .. آن وقت الانتصار .. إنه هو .. عيسى بن مريم .. يرسله الرحمن رحمة للعالمين .. ينزل من السماء على أجنحة ملكين عند الفجر بين ثوبين أصفرين .. تقطر رأسه قطرات من الماء النقى الطاهر .. تخالها وكأنها حبات من اللؤلؤ الصافى .

رباه !. أخيرا يهبط عيسى عليه السلام إلى الأرض .. يوحد صفوف المؤمنين .. ماإن يراه الدجال إلا ويذوب خوفا ورعبا .. يترك الحصار ويهرب .. يلحق به عيسى عليه السلام .. يقول الدجال لقومه مرتعدا : أقيموا الصلاة ثم يقول لعيسى ﷺ : يانبى الله قد أقيمت الصلاة .. يقول عيسى ياعدو الله زعمت أنك رب العالمين فلمن تصلى ! ..

وعند باب لد بفلسطين تكون النهاية .. نهاية الدجال الكذاب المموه .

ولنؤكد ذلك بالحديث الشريف :

قال معمر فى جامعه عن الزهرى أخبرنى عمرو بن سفيان الثقفى أخبرنى رجل من الأنصار عن بعض أصحاب محمد ﷺ قال ذكر الدجال فقال : «يأتى سباخ[1] المدينة وهو محرم عليه أن يدخلها فينفض بأهلها نفضة أو نفضتين ، وهى الزلزلة فلا يبقى فيخرج إليه كل منافق ، ومنافقه ، ثم يولى الدجال قبل الشام حتى يأتى بعض جبال الشام ، وبقية المسلمين يومئذ معتصمون بذروة جبل فيحاصرهم نازلا بأصله حتى إذا طال عليهم البلاء ، قال رجل حتى متى أنتم هكذا ، وعدو الله نازل بأصل جبلكم هل أنتم إلا بين إحدى الحسنيين بين أن يستشهدكم ، أو يظهركم فيتبايعون على الموت بيعة يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم ، ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر امرؤ كفه فينزل ابن مريم فيحسر [2] عن أبصارهم وبين أظهر رجل عليه لامة[3] فيقولون من أنت ؟ فيقول أنا عبد الله ورسوله وروحه وكلمته عيسى اختاروا إحدى ثلاث بين أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذابا من السماء أو يخسف بهم الأرض ، أو يسلط عليهم سلاحكم ، ويكف سلاحهم . فيقولون هذه

(١) سباخ : السبخة : هى الأرض التى تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر .
(٢) يحسر عن أبصارهم : يكشف وانحسر الظلام تراجع وانحسر الماء نضب .
(٣) بين أظهر رجل عليه لامه : رجل ظاهر واضح المعالم بل هو أشد ظهوراً .

يارسول الله أشفى لصدورنا فيومئذ ترى اليهود العريض الطويل الأكول الشروب لاتقل[1] يده سيفه من الرعدة فينزلون إليهم فيسلطون عليهم ، ويذوب الدجال حتى يدركه عيسى بن مريم فيقتله» .

روى الترمذى عن عبد الرحمن يزيد الانصارى من بنى عمرو بن عوف سمعت عمى مجمع بن حارثة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«يقتل ابن مريم الدجال بباب لُد[2]» .

تلك هى قصة المسيخ الدجال وقد ورد فيها الكثير والكثير من الأحاديث الشريفة ويعلم الله مدى حرصى على ذكر الصحيح منها فقط بقدر المستطاع ، ومع ذلك فلا يسعنى إلا أن أقول أن حقيقة العلم كله عنده سبحانه وتعالى .



(١) تقل : تحمل .
(٢) باب لد : بلدة قريبة من بيت المقدس وهى الآن تعرف باسم مدينة اللد فى فلسطين المحتلة .

٣ ــ نزول عيسى عليه السلام

منذ زمان بعيد حدث ماحدث .. بمرور الزمن .. بدأت الحقيقة تتوارى .. منها ماحذف .. ومنها ماحرف .. واختلفت الأقوال : قالوا : قبض اليهود على سيدنا المسيح ﷺ عذبوه .. صلبوه .. فمات ...قام من موته ثم رفع إلى السماء بجوار أبيه .. وضاعت الحقيقة . أخيرا .. جاء اليقين .. وكانت المعجزة .. نزل الحق من السماء .. ماهو بكلام البشر .. إنما هو كلام الخالق الجبار .. أنزله بوحى إلى رسول من رسله .. هو آخر الأنبياء .. محمد ﷺ .. نشر الرسالة .. وفى الكتاب العزيز .. الكتاب المنزل من السماء إلى أهل الأرض أجمعين .. قال الحق تبارك وتعالى : ﴿**وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً**﴾ . (سورة النساء ١٥٧ ــ ١٥٩) ﴿**وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم**﴾[١] .

و ﴿**يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له مافى السموات ومافى الأرض ، وكفى بالله وكيلا**﴾[٢] .

هكذا نزلت كلمة الحق من السماء .. أخبرنا الله تعالى أن سيدنا المسيح ﷺ قد رفع إليه ولم يقتل ولم يصلب .. بل شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لايدرون .. أما عيسى عليه السلام فهو بالسماء .. وسينزل فى آخر الزمان .. ثم يؤمن به جميع أهل الكتاب .. وأخيرا يموت كسائر البشر .

---

(١) سورة المائدة ــ ٧٢ .

(٢) سورة النساء ــ ١٧١ .

﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ . أى قبل موت عيسى عليه السلام فى آخر الزمان وقال سبحانه ﴿ماالمسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت[1] من قبله الرسل : وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾ .

كما قال الله تبارك وتعالى أيضا : **﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران ـــ ٥٩) .**

ثبت فى الصحيح «إن الله لم يخلق داء إلا أنزل له شفاء» .

والداء هنا هو المسيخ الدجال وشروره أما الشفاء فهو قتل الله تعالى إياه على يد رسوله الكريم عيسى عليه الصلاة والسلام .. أين وكيف ينزل من السماء فى آخر الزمان ؟

روى مسلم عن النواس بن سمعان أن محمداً رسول الله ﷺ قال عن عيسى رسول الله ﷺ : «... فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين[2] واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان اللؤلؤ[3] ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ..»

بناء على هذا فإن عيسى عليه السلام سينزل بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية عند صلاة الفجر . وقال ابن كثير : إنه ليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التى إلى جانب الجامع الأموى بدمشق من شرقيه ، وقد جدد بناء تلك المنارة فى زمانه سنة ٧٤١هـ من حجارة بيض وكان بناؤها من أموال النصارى الذين أحرقوا المنارة التى كانت مكانها وقويت الظنون أنها هى التى ينزل عليها المسيح عليه السلام . والله أعلم .

ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال:قال رسول الله ﷺ : «ليلة أسرى

---

(١) خلت : مضت وسلفت .

(٢) مهرودتين : ثوبين مصبوغين بالصفرة .

(٣) مثل جمان اللؤلؤ : حبات من الفضة على هيئة اللؤلؤ الكبار . والمراد ينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ فى صفاته .

بى لقيت موسى فنعته فإذا رجل مضطرب[1] (اى طويل) رجل الرأس[2] كأنه من رجال شنوءة[3] قال : ولقيت عيسى فنعته قال ربعة[4] أحمر كأنما خرج من ديماس . يعنى «الحمام» ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به»

روى الإمام أحمد عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : الأنبياء إخوة لعلات[5] أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وانى أولى الناس بعيسى ابن مريم[6] لأنه لم يكن بينى وبينه نبى ، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع[7] إلى الحمرة ، والبياض[8] ، عليه ثوبان ممصران[9] كأن رأسه يقطر ، وان لم يصبه بلل ، فيدق الصليب[10] ، ويقتل الخنزير[11] ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الاسلام فيهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الاسلام ويهلك الله فى زمانه الدجال ، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون» .

محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء فلا نبى بعده أما نزول عيسى ﷺ فى آخر الزمان سيكون تأكيدا للإسلام بمعنى إسلام الأمر لله تعالى وحده لا شريك له والإيمان بجميع رسله صلى الله عليهم وسلم ، والانقياد والخضوع إليه وعبادته وطاعته حق طاعة ، وذلك مادعت إليه جميع الأديان السماوية من عهد إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء إلى عهد محمد ﷺ خاتم الأنبياء ، فعيسى عليه الصلاة والسلام نبى

---

(١) مضطرب : طويل وفى رواية ضرب من الرجال : بين السمنة والنحافة .
(٢) رجل الرأس : شعره وسط بين الاسترسال والجعودة .
(٣) كأنه من رجال شنوءة : إحدى القبائل .
(٤) ربعة : وسط بين الطويل والقصير .
(٥) الانبياء أخوة لعلات : أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد والمراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة .
(٦) وإنى أولى الناس بعيسى بن مريم : أخص الناس به وأقربهم اليه لانه يشر بأنه يأتى من بعده .
(٧) رجل مربوع : بين الطويل والقصير .
(٨) الحمرة والبياض : يعنى أبيض مشربا بحمرة .
(٩) ثوبان ممصران : مصبوغان بصفرة يسيرة . وهو نفسى معنى مهرودتين التى ذكرت آنفاً .
(١٠) يدق الصليب : يكسر الصليب .
(١١) يقتل الخنزير : يقضى عليه حتى لا يوجد فى الأرض ليأكله أحد .

ورسول كريم من عند الله عز وجل ، كانت له رسالته التى أداها ثم رفع إلى السماء وسينزل بإذن الله تعالى فى آخر الزمان ليس بدين جديد وإنما تأكيد للدين القديم وهو الإسلا م ، وأصدق القول قول الحق تبارك وتعالى : ﴿**ومن يرغب[1] عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه[2] ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه أسلم[3] قال أسلمت لرب العالمين ، ووّصّى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنىَّ إن الله اصطفى لكم الدين[4] فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ (**البقرة ــ ١٣٠ :١٣٢**) .

وقوله سبحانه أيضا : ﴿**إن الدين[5] عند الله الإسلام[6]**﴾ (آل عمران ــ ١٩) .

قالت أم شريك بنت أبى العكر (عن أيام الدجال) يارسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال : «هم قليل . وجلهم يومئذ ببيت المقدس وإمامهم[7] رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام الصبح فرجع ذلك الإمام يمشى القهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول :

تقدم فصل فإنها لك أقيمت ، فيصلى بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى : افتحوا الباب فيفتح ووراؤه الدجال معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وينطلق هاربا فيقول عيسى إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللد الشرق فيقتله ويهزم الله اليهود فلا يبقى شىء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشىء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا

(١) يرغب عن : يزهد وينصرف عن ..
(٢) سَفِهَ نفسه : جهلها أو امتهنها واستخف بها أو أهلكها .
(٣) أسلم : انقد . أو أخلص العبادة لى .
(٤) الدين : دين الاسلام صفوة الأديان .
(٥) الدين : الطاعة والانقياد لله أو الملة .
(٦) الاسلام : الإقرار بالتوحيد مع التصديق والعمل بشريعته تعالى .
(٧) إمامهم : قيل أنه المهدى المنتظر .

الغرقدة[١]فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال ياعبد الله المسلم : هذا يهودى فتعال اقتله . قال رسول الله ﷺ «وإن أيامه أربعون سنة ، السنه كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر أيامه كالشررة [٢]يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى» فقيل له كيف نصل يانبى الله فى تلك الأيام القصار ؟

قال «تقدرون الصلاة كما تقدرون فى هذه الأيام الطوال ثم صلوا» قال رسول الله ﷺ «فيكون عيسى بن مريم فى أمتى حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير[٣]ويضع الجزية ويترك الصدقة[٤] فلا يسعى[٥] على شاة ولا بعير وترتفع الشحناء والتباغض وسرح حمة كل ذات حمة[٦] حتى يدخل الوليد يده فى الحية فلا تضره ، وتفر الوليدة الأسد[٧] فلا يضرها ، ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها ، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء ، وتكون الكلمة الواحدة فلا يعبد إلا الله ، وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها ، وتكون الأرض لها نور الفضة ، وتنبت نباتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف[٨] من العنب فيشبعهم ، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ..» .

قال ابن كثير إن عبد الرحمن المحاربى قال ينبغى أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان فى الكتاب ، هذا حديث غريب جدا من هذا الوجه ولبعضه شواهد من أحاديث أخر من ذلك مارواه مسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر **يامسلم هذا يهودى فتعال فاقتله** » .

---

(١) الغرقدة : هى ضرب من شجر الشوك .

(٢) وآخر أيامه كالشررة : أى أنها قصيرة تذهب بسرعة كالشررة التى تتطاير من النار .

(٣) يذبح الخنزير : أى يقتله بحيث لا يوجد فى الأرض ليأكله أحد .

(٤) يترك الصدقة : يترك الزكاة لكثرة الأموال .

(٥) فلا يسعى : لايكون للزكاة ساع يسعًى لجمعها .

(٦) الحمة : السم .

(٧) وتفر الوليدة الأسد : أى تحمله على الفرار .

(٨) القطف : العنقود .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر ياعبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله — إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» . قيل إن الأرض ستخرج مافى جوفها من الكنوز والأموال ويكون ذلك فى زمن عيسى ﷺ حيث يكثر المال ويفيض حتى لايقبله أحد . والله أعلم .

عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال «لاتذهب الأيام والليالى حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا ، وحتى تحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتلون عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون وينجو واحد» .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية[1] ويفيض المال وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين» . قال أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ﴿**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**﴾ موت عيسى ابن مريم ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات .

روى أحمد عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : «لقيت ليلة أسرى بى ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، قال فتذكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى ابراهيم فقال (لا علم لى بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لى بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال)أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله ، وفيما عهد إلى ربى عز وجل أن الدجال خارج ومعى قضيبان فاذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذا رآنى حتى أن الشجر والحجر يقول يامسلم ان تحتى كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج من كل حدب[2] ينسلون[3] فيطئون[4] بلادهم لا يأتون على شيء إلا أكلوه ، ولا يمرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس يشكونهم فادعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى[5]

(١) يضع الجزية : يعنى لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لايقبل إلا الاسلام .
(٢) حدب : كل ماارتفع وغلط من الأرض . (٣) ينسلون : اى يسرعون فى المشى .
(٤) يطؤون : يعبرونها ويمرون بها . (٥) تجوى : تنتن .

الأرض من نتن ريحهم ، وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى تقذفهم فى البحر ..» . فى المنتظم للامام الحافظ بن الجوزى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «ينزل عيسى بن مريم فيتزوج ويولد له» .

روى أحمد ومسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ «ليهلن عيسى بن مريم من فج الروحاء بالحج أو العمرة أو يثنيها جميعاً» .

روى اسماعيل بن اسحق أن رسول الله ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى يمر عيسى بن مريم بالروحاء حاجا أو معتمرا أو ليجمعن بين الحج والعمرة ويجعل الله تعالى حواريه أصحاب الكهف والرقيم[1] فيمرون معه حجاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا والله تعالى أعلم .

تقدم فى حديث عن أبى هريرة أن عيسى ﷺ يمكث فى الأرض أربعين سنة ، (وهو الأصح والله أعلم) لكن ثبت فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه يمكث فى الأرض سبع سنين .

وقد جمع ابن كثير بين الرواتيين .. كيف ؟ .. إليك الإجابة :

رفع عيسى ﷺ إلى السماء وكان عمره إذ ذاك ثلاثا وثلاثين سنة ثم ينزل فى آخر الزمان فيمكث فى الأرض سبع سين أخرى فيكون مجموع لبثه بالأرض أربعين سنة . والله تعالى أعلم . وقد ورد ذلك فى صفة أهل الجنة أنهم على صورة أبيهم آدم ، وميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة قال ابن كثير ثبت فى الصحيح أن يأجوج ومأجوج يخرجون فى زمانه ، ويهلكهم الله ببركة دعائه فى ليلة واحدة وثبت أنه يحج فى مدة إقامته فى الأرض بعد نزوله . وقال محمد بن كعب القرظى فى الكتب المنزلة إن أصحاب الكهف يكونون من حواريه وإنهم يحجون معه . وتكون وفاته بالمدينة النبوية فيصلى عليه هناك ، ويدفن بالحجرة النبويه) .

روى الترمذى عن عبد الله بن سلام الصحابى رضى الله عنه عن أبيه عن جده قال مكتوب فى التوراة صفة محمد ، وصفة عيسى بن مريم يدفن معه قال

(١) الرقيم : قيل هو المكان الذى فيه الكهف وقيل هو لوح من الحجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف وقيل هو الكتاب . والله أعلم .

فقال أبو مودود المدنى ، وقد بقى فى البيت موضع قبر . أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب .

والراوى عبد الله بن سلام كان من علماء يهود وأخبارهم ، ثم أسلم لأنه وجد صفة رسول الله ﷺ فى التوراة وكانت التوراة إلى عهد رسول الله ﷺ لم يدخلها التحريف إلا قليلا .

روى الطبرانى عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال : يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله ﷺ ، وأبى بكر وعمر فيكون قبره رابعا . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأذكر فى هذا الصدد مارواه أبو هريرة وغيره أن رسول الله ﷺ قال : (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) .

وفى الصحيح عن أبى هريرة أنه قال : لولا آية فى كتاب الله ما حدثت أحدا شيئا : ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم[1] الله ويلعنهم اللاعنون**﴾[2] .



(١) يلعنهم الله : يطردهم من رحمته .
(٢) البقره — ١٥٩ .

٤ ـ خروج يأجوج ومأجوج

حكايتهم طويلة .. تمتد إلى قرون بعيدة .. نبدأ أولا بالتعرف عليهم ! .

هم طائفتان من الترك من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام وبالتحديد من ذرية نوح عليه السلام من سلالة يافث أبى الترك .

فى مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال : «ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك» قال بعض العلماء هؤلاء من نسل يافث أبى الترك ، وقال إنما سمى هؤلاء تركا لأنهم تركوا من وراء السد .

قيل والله أعلم إن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعداً أعتقد ان هذا القول فيه مبالغة وإنما المقصود منه الاشارة الى كثرة عددهم كثرة هائلة وعلى أى حال فإن كان الأمر كذلك فهذا معناه طول أعمارهم فى سابق الأزمان لدرجة أن الواحد منهم لا يموت حتى يرى من أولاده وأحفاده ألفا فصاعدا ، كما يدل على كثرة زوجاتهم حتى أن الواحد منهم يتزوج من الكثيرات وينجب العديد من الأولاد ، وقد كانوا يفسدون فى الأرض ويؤذون أهلها .. ولنعد إلى الوراء .. إلى قرون بعيدة .. لنعرف حكايتهم :

كان فيما مضى .. أيام سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام .. ملك اسمه ذو القرنين .. طاف بالبيت العتيق مع إبراهيم الخليل ﷺ أول مابناه .. آمن به واتبعه .. كان ذو القرنين عبدا صالحا .. وملكا قويا جبارا .. منحه الله ملكا عظيما .. ملك المشارق والمغارب من الأرض .. دانت له البلاد .. وخضعت له ملوك العباد .. خدمته الأمم من العرب والعجم .. فبلغ قرنى الشمس .. مشرقها ومغربها .. لذا سمى «ذو القرنين»(١).

(١) وقيل أنه كان من حمير لأن ملوك حمير كانوا يلقبون بذى .. كذى نواس وذى يزن . والله أعلم .

سلك طريقا من مشارق الأرض .. حتى بلغ بين جبلين بينهما ثغرة .. وجد قوما لا يفهمون قولا لبعدهم عن الناس .. يخرج عليهم يأجوج ومأجوج .. يعيثون فى الأرض فساداً .. ويؤذون أهلها .. استغاث الناس بذى القرنين .. اقترحوا عليه أن يجمعوا له مالا من بينهم كى يبنى لهم سدا يمنع عنهم يأجوج ومأجوج .. رفض ذو القرنين وقال لهم : إن مامنحنى الله تعالى من الملك والتمكين خير لى مما تجمعون .. ولكن ساعدونى بمجهودكم وعملكم .

أتوا له بقطع من الحديد .. وضع بعضه على بعض من الأساس حتى حاذى به رءوس الجبلين طولا وعرضا .. ثم أمرهم أن ينفخوا عليه النار إلى أن صار كله ناراً فصب عليه نحاسا مذابا حتى لزم الحديد النحاس .. صار الجبلان والسد الذى بينهما ردماً واحدا .. ضخما قويا .. املس منيعا .. هكذا حصر ذو القرنين يأجوج ومأجوج خلف السد .. لكنهم حاولوا اختراقه أو الصعود عليه .. دون جدوى .. لم يستطيعوا لضخامته وملاسته .. فبدءوا الحفر .. ومازالوا يحفرون منذ قرون كثيرة إلى الآن وحتى يأذن الله تعالى فى خروجهم على الناس .. وقتئذ سينهار السد تماما ويتساوى بالأرض .. فيخرج يأجوج ومأجوح .. مسرعين من كل ناحية .. مفسدين فى الأرض... يقتلعون زرعها .. يشربون أنهارها .. ويقتلون أهلها .. فيختبىء الناس بالحصون .. بدعوة من عيسى عليه السلام .. يبعث الله عز وجل دوداً فى أعناقهم .. فيموتون .

تلك القصة موجودة كاملة بالقرآن الكريم فلنقرأها معا :

﴿ويسئلونك عن ذى القرنين[1] قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا[2]﴾ (الكهف ــ ٨٣ ، ٨٤) .

﴿ثم أتبع سببا[3] ، حتى إذا بلغ بين السدين[4] وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج[5] مفسدون

---

(١) ذى القرنين : ملك صالح أعطى العلم والحكمة .
(٢) سببا : علما وطريقا يوصله إليه .
(٣) أتبع سببا : سلك طريقا يوصله .
(٤) السدين : جبلين منيفين .
(٥) يأجوج وماجوج : قبيلتين من ذرية يافث بن نوح .

فى الأرض فهل نجعل لك خرجا[1] على أن تجعل بيننا وبينهم سدا[2] ، قال مامكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما[3] ، آتونى زبر الحديد[4] حتى إذا ساوى بين الصدفين[5] قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال اتونى أفرغ عليه قطراً[6] ، فما اسطاعوا[7] أن يظهروه[8] وما استطاعوا له نقبا[9] ، قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء[10] وكان وعد ربى حقا ، وتركنا بعضهم يومئذ يموج[11] فى بعض ونفخ فى الصور[12] فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ (الكهف ــ ٩٢ : ١٠٠) .

﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حَدَبٍ[13] ينسلون[14] ، واقترب الوعد الحق[15] فإذا هى شاخصة أبصار[16] الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾ (الأنبياء ــ ٩٦ : ٩٧) .

ثبت فى الصحيحين مايدل على أن يأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام وأن أعدادهم هائلة وهم فى النار فقد ثبت أن الله عز وجل يقول يوم

(١) خرجا : جُعْلا من المال نستعين به فى البناء .
(٢) سدا : حاجزا فلا يصلون إلينا .
(٣) ردما : حاجزا حصينا متينا .
(٤) زبر الحديد : قطع الحديد العظيمة الضخمة .
(٥) الصدفين : جانبى الجبل .
(٦) قطراً : نحاسا مذابا .
(٧) مااسطاعوا : لم يكن فى استطاعتهم .
(٨) يظهروه : يعلو على ظهره لارتفاعه .
(٩) نقبا : خرقا ونقبا لصلابته وثخانته .
(١٠) جعله دكاء : مدكوكا مسوى بالأرض .
(١١) يموج : يختلط ويضطرب .
(١٢) نفخ فى الصور : نفخة البعث .
(١٣) حَدَب : مرتفع من الأرض .
(١٤) ينسلون : يسرعون المشى فى الخروج .
(١٥) الوعد الحق : البعث والحساب والجزاء .
(١٦) شاخصة أبصار : مرتفعة لا تكاد تطرف .

القيامة : «ياآدم فيقول لبيك وسعديك فيقول ابعث بعث النار فيقول ومابعث النار ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة فيومئذ يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها[1]فيقال أبشروا إن يأجوج ومأجوج لكم فداء (وفى رواية فقال إن فيكم أمتين ماكانتا فى شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج)» .

ثبت فى الصحيحين من حديث زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ نام عندها ثم استيقظ محمرا وجهه ، وهو يقول «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بين أصبعين .

وفى رواية ، وعقد سبعين أو تسعين[2] قالت :قلت يارسول الله أنهلك ، وفينا الصالحون ؟ قال «نعم إذا كثر الخبث[3]» . سبحان الله ! ويل يأجوج ومأجوج اقترب منذ قرون مضت .. منذ أول عهد الإسلام .. فما بالنا نحن اليوم ! ماذا نقول ونحن أبناء جيل سنة ١٤٠٦هـ ؟! ظهر العديد من الأشراط الصغرى للساعة .. لكن لم يظهر بعد أول شرط من أشراطها الكبرى .. فما بال الشرط الرابع وهو خروج يأجوح ومأجوج ؟ المسألة نسبية كما ذكرنا آنفا مع بداية صفحاتنا .

قد يخرجون فى عهدنا أو بعد أجيال والله تعالى وحده هو الأعلم .. لكن هناك فرق .. فرق بين محمد ﷺ وأصحابه .. وبين جيلنا اليوم .. كثيرا ماشغلوا بأمر الساعة والآخرة .. بحياتهم الأبدية الخالدة .. أما نحن (فنموت فى النسيان) !.. وكل مايعنينا هو دنيانا الحالية الزائلة !

روى الإمام أحمد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون اليه كأشد ماكان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد

(١) وتضع كل ذات حمل حملها : من هول اليوم وشدته .

(٢) عقد التسعين : أن يجعل طرف السبابة اليمنى فى أصلها ويضمها ضما محكما بحيث تنطوى عقدتاها حتى تصير مثل الحيه المطوقة ، وقيل أن صورته أن يجعل السبابة فى وسط الابهام .

(٣) الخبث : المعاصى والفجور .

الله عز وجل أن يبعثهم إلى الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله ، ويستثنى(١) فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ، ويخرجون على الناس فينشفون المياه ، ويتحصن الناس منهم فى حصونهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله اليهم نغفا(٢) فى أقفائهم فيقتلهم بها» . قال رسول الله ﷺ «والذى نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن ، وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم» .

كما روى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله تعالى ﴿**وهم من كل حدب ينسلون**﴾ فيغشون(٣) الناس (أو فيغشون الأرض) ، وينحاز الناس عنهم إلى مدائنهم ، وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ، فيشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون مافيه حتى يتركوه يبسا حتى ان من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان هاهنا ماء مرة حتى اذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد فى حصن ، او مدينة ، قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم ، بقى أهل السماء قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى بها إلى السماء فترجع اليه مختضبة دما للبلاء والفتنة ، فبينما هم على ذلك بعث الله دودا فى أعناقهم كنغف الجراد الذى يخرج فى أعناقه (أو بأعناقهم) فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر مافعل هذا العدو قال فيتجرد رجل منهم محتسبا قد وطنها على انه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى يامعشر المسلمين الا ابشروا ان الله تعالى قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم ، وحصونهم ، ويسرحون مواشيهم فما يكون لها رعى الا لحومهم فتشكر عنه كأحسن ماتشكر عن شيء من النبات أصابته قط» .

---

(١) يستثنى : أى يقول إن شاء الله وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن ﴿ولا يستثنون﴾ .
(٢) نغفا : دوداً يكون فى أنوف الابل . وعن أبى عبيدة هو الدود الأبيض يكون فى النوى . وقيل هو دود طوال سود وخضر وغبر يقطع الحوت فى بطن الأرض .
(٣) يغشون : يغطون الأرض لكثرتهم والغشاء الغطاء وغشيان الأماكن إتيانها

روى الإمام أحمد ابن حرملة عن خالته قالت : خطب رسول الله ﷺ ، وهو عاصب إصبعه من لدغة عقرب فقال : «إنكم تقولون لا عدو لكم ، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوا حتى يأتى يأجوج ومأجوج عراض الوجوه ، صغار العيون ، صهب الشعاف[1] ، من كل حدب ينسلون ، كأن وجوههم المجان المطرقة[2]» .

روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر[3] ، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنوف[4] ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، وتجدون من خير الناس أشدهم كراهة لهذا الأمر حتى يدخل فيه ، والناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام ، وليأتين على أحدكم زمان لأن يرانى أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله» .

روى البخارى أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الغورا وكرمان[5] من الأعاجم حمر الوجوه ، فطس الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، نعالهم الشعر» .

تلك الصفات منطبقة على شعوب الشرق الأقصى ، وخاصة أهل الصين فاعتقد بعض العلماء أنهم يأجوج ومأجوج ، وبدون الدخول فى تفاصيل ومناقشات لن نصل بها إلى حل ولن تجدى فى شيء ، فلم ولن نمنع قضاء الله وقدره ، وقد يكونون عالما آخر لم نره نحن إلى اليوم ولم يره أحد منذ احتجزوا خلف السد الذى لم نستطع التوصل إليه حتى الآن لأن إرادة الله تعالى اقتضت أن يحجب عنا إلى حين خروجهم فى آخر الزمان ولا محالة . والعلم عند الله .

---

(١) صهب الشعاف : الصهبة احمرار الشعر . والشعاف : جمع شعفة وهى الخصلة من الشعر .
(٢) المجان المطرقة : التروس التى يطرق بعضها على بعض . والمقصود أن وجوهم عريضة ووجناتهم مرتفعة كالمجنة .
(٣) نعالهم الشعر : يلبسون خفافا من الشعر .
(٤) ذلف الأنوف : صغار الأنوف والرجل أذلف والمرأة ذلفاء .
(٥) الغورا وكرمان : بلدان كانا معروفين بالمشرق .

قال ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ فى كتاب تفسير القرآن العظيم عن سد يأجوج ومأجوج : (إنه قد بعث الخليفة الواثق فى دولته بعض أمرائه وجهز معه جيشا سرية لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا . فتوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس وذكروا أنهم رأوا فيه بابا عظيما وعليه أقفال عظيمة ورأوا بقية اللبن والعمل فى برج هناك ، وأن عنده حرسا من الملوك المتاخمة له وأنه عال منيف شاهق لايستطاع ولا ماحوله من الجبال ، ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالا وعجائب) .

وقيل إن هذا السد قد يكون هو سور الصين العظيم ، أو سدًّا آخر كشف بمقربة من «ترمذ» بلد الإمام الترمذى المحدث المشهور . والله أعلم .

قال الشهيد سيد قطب : (كشف سد بمقربة من مدينة ترمذ عرف بباب الحديد ، وقد مر به فى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى العالم الألمانى (سيلدبرجر) وسجله فى كتابه ، وكذلك ذكره المؤرخ الأسبانى (كلافيجو) فى رحلته سنة ١٤٠٣ وقال : إن سد مدينة باب الحديد على الطريق — سمر قند والهند — وقد يكون هو السد الذى بناه ذو القرنين) .

ذهبوا .. فكروا .. اعتقدوا وقالوا .. لكنهم فى النهاية لم ولن يصلوا إلى حل إلى حين نفاذ قضاء الله تعالى وقدره . كذلك اختلفت الأقوال حول ذى القرنين .. قيل إنه كان من الروم وهو الاسكندر بانى الاسكندرية .. لكن هذا الاسكندر كان قريبا من زمن عيسى عليه السلام فقد ظهر قبله بنحو ثلثمائه سنة وتوفى سنة ٣٢٣ ق . م [1] وهو ابن ٣٣ سنة ، أما ذو القرنين فقد كان فى عهد ابراهيم عليه السلام ، وبينه وبين عهد المسيح عليه السلام قريبا من ألفى سنة . بناء على هذا فإن الإسكندر .. ابن فيليبس المقدونى اليونانى .. الذى كان معلمه أرسطوطاليس الفيلسوف المشهور .. هو الاسكندر الثانى .. أما الأول فهو المذكور بالقرآن الكريم وهو ذو القرنين .. الملك الصالح الذى حج إلى بيت الله الحرام فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام وملك مشارق الأرض ومغاربها وبنى سد يأجوج ومأجوج . والله أعلم .

(١) ق . م : قبل الميلاد .

ملخص القصة منذ ظهور الدجال إلى مابعد موت يأجوج ومأجوج :

روى مسلم فى صحيحه عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع[١] حتى ظنناه فى طائفة النخل[٢] فلما رحلنا إليه عرف ذلك فى وجوهنا فقال : «ماشأنكم ؟» قلنا يارسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل . قال : «غير الدجال أخوفنى عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه[٣] دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم . إنه شاب قطط[٤] عينه طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج من خلة[٥] بين الشام والعراق فعاث[٦] يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا[٧]» قلنا يارسول الله فما لبثه فى الأرض ؟ قال «أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم» قلنا يارسول الله وذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال «لا . اقدروا له قدره» قلنا يارسول الله وما إسراعه فى الأرض ؟ قال : «كالغيث استدبرته الريح[٨] فيأتى على قوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم[٩] أطول ماكانت ذرى[١٠] وأسبغه ضروعا[١١] وأمده خواصر[١٢] ثم يأتى القوم

(١) خفض فيه ورفع : حقر الدجال وعظم خطر فتنته .
(٢) حتى ظنناه فى طائفة النخل : أى بالغ فى تقريبه
(٣) فأنا حجيجه : أحاجه وأواجهه وأنتصر عليه .
(٤) قطط : شديد جعودة الشعر .
(٥) خلة : طريق بينهما .
(٦) فعاث : من العيث وهو أشد الفساد : أشد الفساد والاسراع فيه .
(٧) ياعباد الله فاثبتوا : هذا نداء من رسول الله ﷺ لأمته بالثبات على الحق وتحذيرهم من الوقوع فى الفتنة .
(٨) كالغيث استدبرته الريح : فيكون قويا مدفوعا بالريح . والمراد بالغيث الغيم .
(٩) سارحتهم : ماشيتهم .
(١٠) ذرى : أعلى الشيء جمع ذروة .
(١١) أسبغه ضروعا : أى ممتلئة الضروع .
(١٢) أمده خواصر : أطوله خواصر لكثرة امتلائها من الشبع .

فيدعوهم فيردون عليه قوله(١) فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين(٢) ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة(٣) فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه بكنوزها كيعاسيب(٤) النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين(٥) رمية الغرض (٦) ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارةالبيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين(٧) واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ (٨) ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد(٦) فيقتله ثم يأتى عيسى عليه السلام قوما قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى أنى قد أخرجت عبادا لى لايدان لأحد بقتالهم(١٠) فحرز عبادى إلى الطور(١١)، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب(١٢) ينسلون(١٣) فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحضر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار(١٤) لأحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم

(١) فيردون عليه قوله : يكذبونه .

(٢) ممحلين : مجدبين .

(٣) بالخربة : الأرض الخراب .

(٤) يعاسيب النحل : اليعسوب أمير جماعة النحل وكناية عن الجماعة لأنه متى طار تبعته جماعته ، وكذلك الدجال تتبعه الكنوز .

(٥) جزلتين : قطعتين .

(٦) رمية الغرض : يصبه إصابة رمية الهدف .

(٧) بين مهرودتين : أى لابسا ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران .

(٨) جمان اللؤلؤ : الجمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار ، والمراد ينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ فى صفاته فسمى الماء جمانا لشبهه به فى الصفاء .

(٩) باب لد : بلدة قريبه من بيت المقدس .

(١٠) لايدان لأحد بقتالهم : لاقوة ولا قدرة ولا طاقة لأحد على قتالهم .

(١١) فحرز عبادى إلى الطور : يعنى حصنهم هناك .

(١٢) حَدَب : مرتفع فى الأرض .

(١٣) ينسلون : يسرعون .

(١٤) حتى يكون رأس الثور لأحدكم خير من مائة دينار : كناية عن فقدانالمال لقيمته

النغف[١] فى رقابهم فيصبحون فرسى[٢] كموت نفس واحدة . ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[٣] ونتنهم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت[٤] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت[٥] مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[٦] ثم يقال للأرض أخرجى ثمرك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة[٧] من الرمانة ويستظلون بقحفها[٨] ، ويبارك الله فى الرسل[٩] حتى إن اللقحة من الإبل[١٠] لتكفى الفئام[١١] من الناس فبيناهم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فيقبض الله روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر[١٢] فعليهم تقوم الساعة) .



---

(١) النغف : دود يكون فى أنف الابل والغنم .
(٢) فرسى : قتلى .
(٣) زهمهم : رائحتهم المنتنة .
(٤) كأعناق البخت : نوع من الابل .
(٥) بيت مدر ؟ المدر هو الطين الصلب .
(٦) كالزلفة : كالمرآة أو الصخرة الملساء .
(٧) العصابة : الجماعة القليلة من الناس .
(٨) بقحفها : قحف الرمانة : مقعر قشرها .
(٩) الرسل : اللبن .
(١٠) اللقحة من الابل : الناقة الحلوب القريبة العهد بالنتاج : (الناقة ذات اللبن) .
(١١) الفئام : الجماعة الكبيرة .
(١٢) الحمر : الحمير .

ثانيا : العلامات الدالة على قيام الساعة
(والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)[1]

٥ – طلوع الشمس من مغربها

كعادة البشر .. (يموتون فى النسيان !) .. بمجرد موت عيسى عليه السلام فى بلاد المشرق .. يعود إليهم داء النسيان ! .. وتبدأ المعاصى .. يظهر الكفر من جديد .. بعد كل الرسالات السماوية التى سطع نورها من المشرق إلى سائر بقاع الأرض .. بعد علامات الساعة التى وقعت .. وبعد العلامات الكبرى الواضحة التى تحدث بالفعل وتدل على اقتراب الساعة .. بعد ظهور المهدى والدجال وعيسى عليه السلام ويأجوج ومأجوج .. ينسى الناس ويعودون إلى الكفر والضلال . لا جدوى من هؤلاء البشر ! لافائدة من إصلاح ذلك العالم الأرضى !

هكذا يغلق الله تعالى باب التوبة وتبدأ أول العلامات السماوية الدالة على حدوث الساعة فى الظهور والتتابع السريع إلى حين قيام الساعة .

عن أبى أمامة صدى بن عجلان قال : قال رسول الله ﷺ «إن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها» .

طلوع الشمس من مغربها أول العلامات الكبرى المؤذنة بتغيير نظام العالم العلوى والدالة على وقوع الساعة ، أما من ظهور المهدى والدجال إلى موت

---

(١) يس — ٣٨

ولتفسير تلك الآية الكريمة : عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ حين غربت الشمس : «أتدرى أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال ﷺ : «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، ويقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها» فذلك قوله تعالى : (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) .

عيسى عليه السلام فهى العلامات الكبرى المؤذنة بتغيير العالم الأرضى والدالة على اقتراب الساعة .

قال الله تعالى فى سورة الأنعام آية ١٥٨ **﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون﴾** .

قال البخارى عند تفسير هذه الآية الكريمة عن أبى هريرة قال:قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها فذلك حين **﴿لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾** » .

بعد موت عيسى عليه السلام .. يظل الناس .. منهم من يعصى ومنهم من يستمر على الطاعة .. منهم من يكفر ومنهم من يظل على الإيمان .. إلى حين ذاك اليوم .. يوم يطول الليل وتغيب الشمس .. ويمضى من الزمن ما يعادل ليلتين ؟!.. ثلاث ليال ؟! الله أعلم .

ينام الناس .. ومنهم من يسهر .. للمذاكرة .. للعبادة .. لعمل ما .. حفل ما .. المهم أنهم يسهرون سواء كانوا يلهون أو يعملون أو يتعبدون .. يطول بهم السهر والفجر لم يطلع بعد .. أول من يشعر بذلك هم العابدون الذين يتعبدون بالليل إلى صلاة الفجر .. يظل الإنسان منهم يصلى .. يقرأ .. يتعبد .. والفجر لم يطلع بعد .. ينام ويستيقظ والنهار لم يطلع .. يطول الليل .. ليلة .. ليلتان .. والشمس لم تشرق .. يفزع الناس بعضهم إلى بعض .. ينادى الجار جاره ويسأله .. ينزل العابد إلى المسجد ويسأل .. يمسك الإنسان بالتليفون ليستفسر من صديق أو قريب .. يخرج الناس فى الشوارع .. يجتمعون فى تلك الليلة الطويلة فى شتى بقاع الأرض . يتساءلون !ويتعجبون ! وهم لا يدرون .. بينما هم على هذى الحال حيارى !!! مذهولين ! إذا بالشمس تطلع من مكان غروبها .. يفزع الناس يعرفون أن القيامة لابد آتية لا محالة .. لا يظل إنسان واحد على وجه الأرض إلا ويؤمن بالله الواحد الجبار وباليوم الآخر .. تعلو الصيحات بالبكاء

والتضرع للعزيز القهار .. بالتوبة والاستغفار .. لكن ! سدى[1] ! .. فقد أغلق باب التوبة .

عن صفوان بن عسال قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله فتح بابا قبل المغرب عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه»

رواه الترمذى وصححه النسائى وابن ماجه من حديث طويل .

من كان مؤمنا من قبل فخير وبركة .. أما من آمن بعد طلوع الشمس من مغربها فلا جدوى من إيمانه .. ينتهى عهد الهداية والنور .. ويسود عهد الظلام إيذانا بانطباق السماء على الأرض وفناء ذلك العالم لإعادته من جديد للحساب والجزاء فى عالم آخر .. عالم أبدى .. لا موت فيه ولا فناء ..

من المشرق إلى المغرب ! شروق فغروب ! سبحان الله !

تلك البقعة الصغيرة من العالم كله خصها الخبير الحكيم لتكون منبعا للهداية والنور الإلهى لسائر بقاع الأرض .. لكن !.. وللأسف ! .. لم يُقَدِّرْ أهلها ذلك ــ! تلك البقعة هى بلاد المشرق العربى التى دائما ماكانت مهبط الأديان السماوية. ومنبع الحضارات .. ورويدا .. رويدا .. بدأ ذلك النور الحقيقى الوهاج يتسرب إلى بلاد الغرب .. اقتبس الغرب حضارات الشرق .. أحسن استخدامها وطورها .. لكنه مزجها بعوامل الكفر والضلال .. فانبهر به الشرق .. وأطفأ نوره بنفسه .. بل تحول ذلك النور إلى نور زائف يضىء ظلام الغرب .. وهكذا تنقلب الأوضاع .. فكان شروق الشمس من الغرب دلالة على غضب الله تعالى وإشارة الى فناء ذلك العالم الذى لا جدوى من إصلاحه .

قال الله عز وجل فى سورة البقرة آية ٢٥٨ ﴿**ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت[2] الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين**﴾ .

(١) سدى : دون جدوى : بلا فائدة .
(٢) فبهت : غُلِبَ وتحير وانقطعت حجته

الذى حاج ابراهيم عليه السلام فى ربه هو ملك بابل الجبار .. نمرودبن كنعان .. وقد مكث فى ملكه بفضل الله تعالى اربعمائة سنة (وهذا ليس بالغريب بالنسبة لتلك الأزمان القديمة ..

فقد عمر نوح عليه السلام فى الأرض مايقرب من تسعمائة وخمسين عاما كما عمر آدم عليه السلام من قبله قريبا من ذلك .. لكن الأعمار بدأت تتناقص بعد هذا إلى وقتنا المعاصر وستستمر فى النقصان إلى آخر الزمان) .. فتصور النمرود فى نفسه أنه إله وطلب من ابراهيم عليه السلام دليلا على وجود الرب الذى يدعو إليه فقال ابراهيم عليه السلام ﴿**ربى الذى يحيى ويميت**﴾ فرد عليه النمرود : ﴿**أنا أحيى وأميت**﴾ .. ادعى لنفسه مالا طاقة له به ولمجرد أنه يأمر بقتل (فلان) أو العفو عن (علان) تصور فى نفسه أنه يحيى ويميت .. فجاء الرد الحاسم من ابراهيم عليه السلام : ﴿**فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب**﴾ .. عجز النمرود عن الرد ولم يستطع أن يأتى بالشمس من المغرب .. لكن الخالق المالك والمدبر لكل هذا الكون يستطيع وسيفعل هذا بالفعل فى آخر الزمان .

روى الإمام أحمد عن ابن السعدى أن رسول الله ﷺ قال «لا تنقطع الهجرة مادام العدو يقاتل» فقال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله ﷺ قال «ان الهجرة خصلتان احداهما تهجر السيئات ، والأخرى تهاجر الى الله ورسوله ، ولا تنقطع ماتقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من المغرب فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه ، وكفى الناس العمل» . هذا حديث حسن الاسناد ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم .

تقدم فى الصحيحين وغيرهما عن أبى ذر قال:قال لى رسول الله ﷺ : أتدرى أين تذهب الشمس إذا غربت ؟ قلت لا أدرى ! قال : «إنها تنتهى دون العرش فتخر ساجدة ثم تقوم حتى يقال لها ارجعى فيوشك ياأبا ذر أن يقال لها ارجعى من حيث جئت وذلك حين ﴿**لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**﴾ .

روى الأمام أحمد عن عبد الله عمرو قال حفظت من رسول الله ﷺ يقول : «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها» .

ثم قال عبد الله وكان يقرأ الكتب : وأظن أولها خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش وسجدت واستأذنت فى الرجوع فأذن لها فى الرجوع ، حتى إذا بدا الله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل ، أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع فلم يرد عليها شىء ، ثم استأذنت فى الرجوع فلم يرد عليها شىء ، حتى إذا ذهب من الليل ماشاء الله أن يذهب وعرفت أنه إذا أذن لها فى الرجوع لم تدرك المشرق ، قالت رب ما أبعد المشرق من لى بالناس ، حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت فى الرجوع ، فيقال لها من مكانك فاطلعى ، فطلعت على الناس من مغربها ، ثم تلا عبد الله هذه الآية ﴿**لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**﴾ . وأخرجه مسلم فى صحيحه وأبو داود وابن ماجه فى سننيهما .

عن حذيفة قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال النبى ﷺ «تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فينبه الذين كانوا يصلون فيها ، فيعملون كما كانوا يعملون قبلها ، والنجوم لا ترى قد **غابت** مكانها ، ثم يرقدون ، ثم يقومون فيصلون ، ثم يرقدون ثم يقومون ، تبطل عليهم جنوبهم حتى يتطاول عليهم الليل ، فيفزع الناس ولا يصبحون ، فبينا هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذ طلعت من مغربها ، فاذا رآها الناس آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم» . رواه ابن مردويه وليس هو من الكتب الستة من هذا الوجه والله أعلم . قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى البعث والنشور عن عبد الله بن مسعود أنه قال ذات يوم لجلسائه : أرأيتم قول الله تعالى ﴿**تغرب فى عين حمئة**﴾ ماذا يعنى بها ؟ قالوا:الله ورسوله أعلم . قال : انها إذا غربت سجدت له وسبحته وعظمته ، ثم كانت تحت العرش ، فإذا حضر طلوعها سجدت له وسبحته وعظمته ثم استأذنته ، فيقال لها اثبتى . فتجلس مقدار ليلتين قال ، ويفزع المتهجدون ، وينادى الرجل تلك الليلة جاره يافلان ماشأننا الليلة لقد نمت حتى شبعت ، وصليت حتى

أعييت ، ثم يقال لها اطلعى من حيث غربت ، فذلك يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيرا . وقال تعالى : ﴿**ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر**[1]﴾ أخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال ستا[2] ، طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم[3] ، أو أمر العامة[4]» .

ذلك الحديث الشريف يحذر الناس ويحثهم على المبادرة بالايمان والعمل الصالح قبل أن تفجأهم ستة أمور وهى طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو الساعة الصغرى وهى موت الانسان كفرد ، أو الساعة الكبرى وهى فناء العالم كله ، وكل تلك الأمور حين يقع أى منها ﴿**لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**﴾ .

أخرج ابن مردويه وابن أبى حاتم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله ﷺ عشية من العشيات فقال «يا عباد الله توبوا إلى الله — مرات — فانكم توشكون أن تروا الشمس من المغرب فاذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوى العمل وختم الايمان» . قال تعالى : ﴿**هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة ، فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم**﴾ .



(١) الحج — ١٨ .
(٢) ستا : يعنى قبل أن تفجأكم ستة أمور . وهى المذكورة بالحديث .
(٣) خاصة أحدكم : الموت .
(٤) أمر العامة : الساعة .

٦ — خروج الدابة من الأرض

﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾(١) .

روى مسلم فى صحيحه وأبو داود وابن ماجه عن ابن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى فأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً» .

وعند نعيم بن حماد عن عبد الله بن عمرو قال : «لا يلبثون بعد يأجوج ومأجوج إلا قليلا ، حتى تطلع الشمس من مغربها ، فيناديهم مناد : «يأيها الذين آمنوا قد قبل منكم ، ويأيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة ، وجفت الأقلام ، وطويت الصحف» .

ومن طريق يزيد بن شريح : «إذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها ، وترتفع الحفظة وتؤمر الملائكة أن لا يكتبوا عملا» .

وأخرج عبد بن حميد والطبرى بسند صحيح عن عائشة رضى الله عنها :

«إذا خرجت أول الآيات طرحت الأقلام ، وطويت الصحف ، وخلصت الحفظة ، وشهدت الأجساد على الأعمال» .

قال ابن حجر : «هذا الأثر وإن كان موقوفاً على عائشة فحكمه حكم الرفع» . ثم قال : «فهذه آثار يشد بعضها بعضا متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة ، ويؤخذ منها أن طلوع الشمس من مغربها أول الانذار بيوم الساعة» .

---

(١) النمل — ٨٢

قال محمد سلامة جبر : (فى ذلك دليل على أن خروج الدابة على الناس ضحى يلى طلوع الشمس من المغرب ، وأن الساعة من ذلك قريبة قربا عظيما بحيث لا يولد عند ذلك مولود إلا وتسبقه الساعة قبل أن يبلغ سن التكليف ، فإن باب التوبة مغلق إلى يوم القيامة ، والعدل الإلهى يأبى أن يؤخذ الولد بجريرة أبيه ، اللهم إلا إذا كان اغلاق التوبة على من شهد طلوع الشمس من المغرب لا على غيره . والله أعلم» .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : «الآية التى تختم الأعمال بها طلوع الشمس من مغربها» بناء على كل ماسبق أعتقد والله أعلم أن خروج دابة الأرض يلى طلوع الشمس من مغربها مباشرة فحين تطلع الشمس من مغربها يغلق باب التوبة ، ثم تخرج الدابة من الأرض فتكتب على جبين الكافر كافراً وعلى جبين المؤمن مؤمناً ، وهكذا تختم الأعمال نهائيا إلى حين قيام الساعة التى تكون قريبة جدا من ذلك . وبناء على هذا فإن طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة من الأرض أمران يكمل كل منهما الآخر .

وفى وصف الدابة عن حذيفة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «دابة الأرض طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب» .

أما ماورد عن العلماء فى وصفها : فقال ابن عباس : هى مثل الحربة[1] الضخمة .

— وعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : إنها دابة لها ريش ، وزغب[2] ، وحافر ، وما لها ذنب ، ولا لحية ، وإنها تخرج حفر[3] الفرس الجواد ثلاثا وماخرج ثلثها . رواه ابن أبى حاتم .

— كما روى ابن ابى حاتم عن أبى مريم أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : إن الدابة فيها من كل لون مابين قرنيها فرسخ[4] للراكب .

(١) الحربة : أشبه بالرمح .
(٢) زغب : صغار الريش أول مايطلع .
(٣) حفر الفرس : لها تأثير فى الأرض عند سيرها ، فهى تحفر الأرض بشدة وطئها عليها .
(٤) فرسخ : ثلاثة أميال بالهاشمى وكذلك عند اليونانيين .

قال ابن جريج عن أبي الزبير إنه وصف الدابة فقال : رأسها رأس ثور ، وعينها عين خنزير ، وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيَّل[1] ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هر ، وذنبها ذنب كبش ، وقوائمها قوائم بعير[2] ، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا نكتت فى وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض بها وجهه ، ولا يبقى كافر إلا نكتت فى وجهه نكته سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود بها وجهه حتى إن الناس يتبايعون فى الأسواق بكم ذا يامؤمن ؟ بكم ذا ياكافر ؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، ثم تقول لهم الدابة يافلان أبشر أنت من أهل الجنة . ويافلان أنت من أهل النار . فذلك قول الله تعالى **﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾** .

وقال وهب : وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير .

وقال كعب : صوتها صوت حمار .

ولكنها تكلم الناس بلغتهم وقيل باللغة العربية . والله أعلم .

فعن ابن عباس رضى الله عنه ، أنها ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سيمة[3] وسيماها من هذه الأمة أنها تكلم الناس بلسان عربى مبين وتكلمهم بكلامهم . اجتهادات بعض العلماء فى وصف الدابة فيها بعض التناقضات ، ومايعنينا من كل ماسبق ذكره فى وصفها إلا الإشارة إلى أنه مهما وصل الانسان لأعلى درجات العلم ، فالعلم الحقيقى عند الله سبحانه وتعالى ، وبالرغم من التناقضات الواردة بأقوال بعض العلماء إلا أنهم اجتمعوا فى النهاية على شيء واحد وهو مايعنينا فى الموضوع ألا وهو الاشارة إلى أن خروج الدابة على الناس فى آخر الزمان أمر خارق للعادة .. فهى ذات منظر

(١) أيَّل : تيس الجبل :
(٢) بعير : جمل .
(٣) السيمة : العلامة .

غريب مذهل .. ضخم إلى أبعد الحدود وبشكل لا يتخيله إنسان .. تخرج من لأرض .. تنفض التراب عن رأسها .. معها خاتم سليمان وعصا موسى .. يفزع منها الناس .. يجتمعون ويفترقون .. يهربون .. لكن لا ينجو منها هارب... فلا مفر من قضاء الله تعالى وقدره .. تحطم أنف الكافر بالعصا وتكتب على جبينه كافر .. وتجلى وجه المؤمن بالخاتم وتكتب على جبينه مؤمن .. ولا ينجو منها مخلوق على وجه الأرض .. وتكلم الناس : ﴿**ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾ (النمل — جزء من آية ٨٢) .

قيل إن دابة الأرض سوف تقتل ابليس .. أيد ذلك بعض العلماء واستنكره آخرون .. لكنى أعتقد والله أعلم أنه مادام الشر موجوداً فإبليس موجود ، والساعة ستقوم على شرار المخلوقات ، وأشر المخلوقات هو إبليس الرجيم .. هذا .. بالإضافه إلى أنه سأل الله تعالى أن يمهله إلى يوم البعث ثم أجابه عز وجل لطلبه لما له سبحانه وتعالى فى ذلك من الحكم كما ورد بسورة الأعراف وذكرناه فى صفحات سابقة من كتابنا هذا .

وبناء على ذلك أعتقد والله سبحانه وتعالى أعلم أن ابليس سيموت وقت قيام الساعة ، وقيام الساعة كما ذكرنا مسبقا سيكون على ثلاث مراحل : نفخة الفزع .. نفخة الصعق .. وأخيرا نفخة البعث .. وابليس يموت عند نفخة الصعق لتقع عليه كل أهوال اليوم المعلوم ، وذلك يوافق ماورد بالقرآن الكريم والله سبحانه وتعالى أعلم .

أيضا .. اختلفت الأقوال حول مكان خروج دابة الأرض .. لكنها أجمعت على خروجها من بلاد المشرق العربى .. خاصة بلاد الحجاز .. وبتحديد أدق من مكة أو قريباً منها .. والأصح من جياد .

قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن ابن عباس قال : هى ذابة ذات زغب[1] لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة .

عن وهب بن منبه أنه حكى من كلام عزيز عليه السلام أنه قال : وتخرج

(١) ذات زغب : أى عليها زغب وهو صغار الريش أول ما يطلع كما فى النهاية .

من تحت سدوم[1] دابة تكلم الناس كل يسمعها ، وتضع الحبالى قبل التمام ، ويعود الماء العذب أجاجا[2] ، ويتعادى الأخلاء[3] وتحرق الحكمة ، ويرفع العلم ، وتكلم الأرض التى تليها[4] ، وفى ذلك الزمان يرجو الناس ما لا يبلغون ، ويتعبون فيم لا ينالون ، ويعملون فيما لا يأكلون . رواه ابن أبى حاتم عنه .

روى ابن أبى حاتم عن عطية قال : قال عبد الله : تخرج الدابة من صدع[5] من الصفا كجرى[6] الفرس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثها . وعن أبى الطفيل أنه قال : تخرج الدابة من الصفا أو المروة . (رواه البيهقى) .

سئل عبد الله بن عمرو عن الدابة فقال : الدابة تخرج من تحت صخرة بجياد والله لو كنت معهم أو لو شئت[7] بعصاى الصخرة التى تخرج الدابة من تحتها .

قيل فتصنع ماذا ياعبد الله بن عمرو ؟ فقال : تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تروح من مكة فتصبح بعسفان[8] قيل ثم ماذا ؟ قال : ثم لا أعلم .

ـــ وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «بئس الشعب[9] شعب جياد» مرتين ، أو ثلاثا . قالوا ولم ذلك يارسول الله ؟ قال «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين[10]» .

(١) تحت سدوم : يعنى مدينة قوم لوط . بالأردن .

(٢) أجاجا : شديد الملوحة .

(٣) الأخلاء : جمع خليل وهو الصديق .

(٤) تكلم الأرض التى تليها : القريبة منها .

(٥) صدع : شق .

(٦) كجرى الفرس : كما ينطلق الفرس .

(٧) لو شئت بعصاى الصخرة : أى لو تمكنت منها .

(٨) عسفان : (على وزن عثمان) موضع على مرحلتين من مكة .

(٩) بئس الشعب : الشعب بالشين المشددة المكسورة : الطريق بين جبلين . وبئس الشعب أسلوب ذم للموضع الذى تخرج منه الدابة .

(١٠) قال فى القاموس : الخافقان المشرق والمغرب أو أفقاهما لأن الليل والنهار يختلفان فيهما ، أو طرفا السماء والأرض أو منتهاهما .

ـــ روى من حديث فرقد بن الحجاج سمعت عقبة بن أبى الحسناء سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ «تخرج دابة الأرض من جياد فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد قال : وهى دابة ذات وبر وقوائم» .

أصدق القول هو قول رسول الله ﷺ وبالتالى فإن خروج الدابة يكون من جياد كما قال عليه الصلاة والسلام .

وجياد اسم أرض أو جبل بمكة ، وقيل انه سمى كذلك لأنه المكان الذى ذُلِّلَ فيه أول فرس ليركبه إنسان ، وكان هذا الانسان .. أول راكب للخيل .. هو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . ولنستعرض ذلك تفصيلا كما ورد بكتاب المسيخ الدجال وأسرار الساعة للسفارينى : (أجياد كما فى القاموس اسم أرض بمكة أو جبل بها . قال سمى بذلك لكونه موضع خيل تبع [1] . انتهى قلت : وفيه نظر فان تسميته بأجياد متقدمة على تبع وخيله ففى تفسير القرطبى ورواه الحكيم الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما لما أذن الله لابراهيم واسماعيل برفع القواعد من البيت ، قال الله تبارك اسمه انى معطيكما كنزاً ادخرته لكما ثم أوحى إلى اسماعيل ان اخرج إلى أجياد فادع يأتك الكنز فخرج إلى أجياد ولا يدرى ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس إلا جاءته وأمكنته من ناحيتها وذللها له .

وفى حياة الحيوان للدميرى أول من ركب الخيل اسماعيل عليه السلام ولذلك سميت العراب[2] ، وكانت قبل ذلك وحشا كسائر الوحوش فلما أذن الله تعالى إلى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت ، قال الله عز وجل انى معطيكما كنزاً ادخرته لكما ، ثم أوحى الله عز وجل إلى اسماعيل (الحديث) وفيه ولذلك قال نبينا ﷺ : «اركبوا الخيل فإنها ميراث أبيكم إسماعيل» .

قلت ولعل تسمية المحل المذكور لمجىء الخيل الجياد إليه مجيبة سيدنا اسماعيل

---

(١) التبابعة ملوك اليمن ، (الواحد تُبَّع مثل سكر) ، ولايسمى به إلا إذا كانت له حمير وحضر موت ، و «دار التبابعة بمكة» ولد فيها النبى ﷺ .

(٢) خيل عراب : أصيلة لم تهجن .

عليه السلام ، ويقال له جياد أيضا بغير ألف قبل الجيم وقوله «على» القول «المشهور» من إضافتها إلى أجياد لكونها تخرج منه) .

روى أبو داود الطيالسى عن طلحة بن عمرو عن حذيفة بن أسيد الغفارى أبى شريحة قال : ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال : «لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرجة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية — يعنى مكة — ثم تكمن زمنا طويلا ثم تخرج خرجه أخرى دون تلك فيعلو ذكرها فى أهل البادية ويدخل ذكرها القرية — يعنى مكة — قال رسول الله ﷺ ثم بينا الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهى تدنو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفضّ[1] الناس عنها شتى ومعا ، وبقيت عصابة[2] من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى وولت فى الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يافلان الآن تصلى فيقبل عليها فتسمه فى وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس فى الأموال ويصطحبون فى الأمصار[3] يعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن ليقول يا كافر اقض حقى وحتى إن الكافر ليقول يامؤمن اقض حقى» . قال ابن كثير هذا حديث فيه غرابة .

قال السفارينى : قد جمع بعض العلماء بين الروايات المختلفة عن مكان خروج الدابة (بأن للدابة ثلاث خرجات ففى بعض خرجاتها تخرج من قوم لوط ويصدق عليها أنها من أقصى البادية ، وفى بعضها تخرج من بعض أودية تهامة ويصدق عليها أنها من وراء مكة وأنها من اليمن لأن الحجاز[4] يمانية ومن ثم قيل الكعبة يمانية ، والمرة الثالثة تخرج من مكة وهى من كبرها وعظم جثتها

(١) فارفض : مثل انفض وَزْناً ومعنى .

(٢) عصابة : الجماعة والعصبة .

(٣) الامصار : جمع مصْر . المدن والبلاد .

(٤) الحجاز : مكة والمدينة والطائف ومخاليفها ؛ لأنها حجزت بين نجد وتهامة . واليمن إقليم معروف سمى بذلك لأنه عن يمين الشمس عند طلوعها ، وقيل : لأنه عن يمين الكعبة والنسبة إليه يمنى ويمان .

وطولها يمكن أن تخرج من بين الصفا والمروة وأجياد فانها تمتد مقدار ثلاثة أيام وأكثر وحيئنذ يصدق عليها أنها خرجت من المروة ومن الصفا ومن أجياد ومن المسجد ومن البادية التى بقرب مكة .

وجمع بعضهم أيضا بوجه آخر وهو أنها تخرج من جميع تلك الأماكن فى آن واحد خرقا للعادة فى صور متباينة على أنه ورد فى رواية كما فى حياة الحيوان أنه يخرج من كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها فى الأرض فليست بواحدة فيكون قوله دابة اسم جنس) .

قال الألوسى فى تفسيره (قصارى ماأقوله فى هذه الدابة ، أنها دابة عظيمة ذات قوائم ، ليست من نوع الإنسان أصلا ، يخرجها الله تعالى آخر الزمان من الأرض ، وفى تقييد إخراجها بقوله سبحانه : (من الأرض) نوع إشارة على ماقيل : أى أن خلقها ليس بطريق التوالد ، بل هو بطريق التولد) .

روى أبو داود الطيالسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتحطم أنف الكافر بالعصا وتجلى وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر» . ورواه الامام أحمد لكنه قال : «فتحطم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى إن أهل الخوان[1] الواحد ليجتمعون فيقول هذا يامؤمن ويقول هذا ياكافر» . ورواه أيضا ابن ماجه . والرواية الأولى أنسب والله أعلم .

﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون[2]﴾ .



(١) الخوان : مايؤكل عليه . والمقصود من الحديث الشريف أن الدابة تظهر المؤمن من الكافر .
(٢) (النمل — ٨٢) .

٧ ــ الدخان

﴿**فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم ، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**﴾[١] .

ترى ؟ ماهو ذلك الدخان ؟ ومتى يكون ؟

هو دخان شديد واضح جلى يظهر فى آخر الزمان كأمارة من أمارات الساعة .. ينتشر ويملأ مابين السماء والأرض .. يصيب المؤمن بالزكام .. أما الكافر أو المنافق فياويله من ذلك الدخان الذى يحتويه ويدخل من مسامعه إلى سائر جسده حتى ينتفخ ويصاب إصابات شديدة لا حصر لها .. يفزع الناس فى ذلك الزمان .. يتوجهون إلى ربهم عز وجل .. متذللين متوسلين .. يسألونه كشف تلك الشدة عنهم .. يقرون ويعترفون أنهم قد آمنوا بالله الواحد . الأحد واليوم الآخر يدعون وينادون : ﴿**ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**﴾[٢] .

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «بادروا بالأعمال ستا ، طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أوأمر العامة» .

وقد أشرنا فيما سبق أن المقصود بذلك الحديث الشريف حث الناس على المبادرة بالإيمان والعمل الصالح قبل أن تفجأهم ستة أمور منها الدخان وحين يظهر ﴿**لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**﴾ .

عن أبى سريحة حذيفة بن أسيد الفقارى رضى الله عنه قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من عرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال ﷺ .

---

(١) الدخان (١٠ ــ ١٢) .
(٢) الدخان ــ ١٢ .

«لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات . طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ويأجوج وخروج عيسى بن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجريزة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس — أو تحشر الناس — تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا» . رواه مسلم .

روى ابن جرير عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن ربكم أنذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة الدجال» .

روى ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يهيج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه[1]» .

ومن أقوال العلماء عن الدخان روى ابن أبى حاتم عن على رضى الله عنه قال : لم تمض آية الدخان بعد ، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى ينفذ .

كما روى ابن جرير عن ابن عمر رضى الله عنه قال : يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل فى مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ[2] أو المشوى على الرضف[3] ثم قال ابن جرير عن عبد الله بن أبى مليكة قال غدوت على ابن عباس[4] رضى الله عنهما ذات يوم فقال مانمت الليلة حتى أصبحت قلت لم ؟ قالوا طلع الكوكب ذو الذنب[5] فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فمانمت حتى أصبحت .

---

(١) رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه موقوفا ، وروى سعيد بن عوف عن الحسن مثله .

(٢) كالرأس الحنيذ : أى كالرأس المشوى

(٣) والمشوى على الرضف : على الجمر .

(٤) هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضى الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن .

(٥) طلع الكوكب ذو الذنب : الذى له ذنب وذيل .

ولنتأمل تلك الآيات الكريمة بإمعان :

﴿رب السموات والأرض ومابينهما إن كنتم موقنين ، لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين ، بل هم فى شك يلعبون ، فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم ، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ، أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ، ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ، إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون ، يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون[1]﴾



(١) الدخان (٧ — ١٦) .

يبخل بالنصيحة . فقد روى البخارى عن حذيفة بن اليمان قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ، فقلت يارسول الله : إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ .

قال : «نعم» . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟

قال : «نعم وفيه دخن[١]» ، قلت : ومادخنه ؟

قال : «قوم يهدون بغير هديى تعرف منهم ، وتنكر» ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟

قال : «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» . قلت : يارسول الله صفهم لنا .

قال : «هم من جلدتنا[٢] ، ويتكلمون بألسنتنا» . قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟

قال : «تلزم المسلمين وامامهم» ، قلت : فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟

قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك» .

وإليك عزيزى القارىء نصيحة أخرى من عبد الله عليه الصلاة والسلام مما رواه الامام أحمد عن أبى سعيد قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ذات يوم بنهار ثم قام فخطبنا إلى أن غابت الشمس فلم يدع شيئا مما يكون إلى يوم القيامة إلا حدثناه حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه فكان مما قال : «يأيها الناس : إن الدنيا خضرة حلوة ، وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» ، وذكر تمامها إلى أن قال وقت دنت الشمس أن تغرب : «وان مابقى من الدنيا فيما مضى منها مثل مابقى فى يومكم هذا فيما مضى منه» .

---

(١) دخن : حقد .

(٢) هم من جلدتنا : أى ممن ينتمون إلينا ويمتون لنا بصلة .

٨ ــ الريح الطيبة

﴿وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يَدْعُنَا إلى ضُرٍّ مَسَّه كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون﴾[١] .

هذا هو الانسان .. سرعان مايصاب بالنسيان .. لا يتعظ إلا عند وقوع كارثة كبرى .. وبمجرد زوالها عنه .. يعود الى النسيان من جديد ويصغى للشيطان .. فتحدث الفتن .. تشتد .. وكأن شيئا لم يكن ..

وقد أوحى الملك القهار .. المعز المذل إلى رسوله الكريم بكل هذا .. فتوجه النبى المختار الى الناس .. حذرهم .. لكن أغلبهم لا يتعظون !

وقف الرسول عليه الصلاة والسلام ذات يوم بأعلى بناء مرتفع من أبنية المدينة وقال لأصحابه[٢] : «هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا . قال : «فانى لأرى الفتن تقع فى بيوتكم كوقع القطر[٣]» . ياويل أهل ذاك الزمان من تلك الفتن الرهيبة ، فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال:قال رسول الله ﷺ : «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى من تشرف[٤] لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ ، أو معاذا فلْيعُذ به» .

وحين ذهب جماعة من الناس إلى أنس بن مالك يشكون إليه مايلقون من ظلم الحجاج فقال[٥] : «اصبروا فإنه لا يأتى على الناس زمان إلا الذى بعده

(١) يونس ــ ١٢ .

(٢) رواه البخارى ومسلم عن أسامة بن زيد قال أشرف النبى ﷺ على أطم من آطام المدينة فقال : (الحديث) .

(٣) كوقع القطر : صوت المطر .

(٤) تشرف بلفظ الماضى من الشرف ويروى (يشرف) بلفظ المضارع من الاشراف كما فى شرح الكرمانى للبخارى .

(٥) رواه البخارى عن الزبير بن عدى قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه مانلقى من الحجاج فقال (الحديث) .

أشر منه حتى تلقوا ربكم» .

(سمعته من نبيكم ﷺ) .

روى أحمد عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان : «كيف أنت ياثوبان إذا تداعت عليكم[1] الأمم كتداعيهم إلى قصيعة[2] الطعام يصيبون منه ؟» .

قال ثوبان : بأبي وأمي يارسول الله أمن قلة بنا ؟

قال : «لا ، بل أنتم يومئذ كثير ، ولكن يلقى فى قلوبكم الوهن» .

قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟

قال : «حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال» .

رهيب ماتنبأ به أحمد عليه الصلاة والسلام ، ونقرؤه نحن له اليوم .. رباه ! توفنا قبل زحف ذلك الزمان علينا .. مؤمنين غير مفتونين .. اللهم تقبل منا وارحمنا فإنك أرحم الراحمين !

روى أحمد عن أبي هريرة قال:قال رسول الله ﷺ : «ويل للعرب من شر قد اقترب فتن كالليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ، ويمسى كافرا ، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل ، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر» «أو قال على الشوك» .

هذا حال الناس آخر الزمان ، وحال القلة من المؤمنين بينهم .. مأساة ! وأية مأساة ! لكن ترى ماذا يفعل المؤمن وقتئذ ؟ هل يستسلم لهذا الوضع ؟ أيجارى المجتمع الذى يعيش فيه وينسى أو يتناسى دينه وآخرته ؟! أم يحاول إصلاح تلك البشرية التى لم تعد هناك جدوى من إصلاحها ؟ ماذا يفعل المؤمن يومئذ ؟

ذلك السؤال .. لم يفت المحمود عليه الصلاة والسلام الإجابة عليه ولم

(١) تداعت عليكم : تكاثرت واجتمعت عليكم ودعا بعضها بعضا .

(٢) قصيعة : تصغير قصعة . وعاء الطعام .

يخل بالنصيحة . فقد روى البخارى عن حذيفة بن اليمان قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ، فقلت يارسول الله : إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ .

قال : «نعم» . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟

قال : «نعم وفيه دخن[1]» ، قلت : ومادخنه ؟

قال : «قوم يهدون بغير هديى تعرف منهم ، وتنكر» ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟

قال : «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» . قلت : يارسول الله صفهم لنا .

قال : «هم من جلدتنا[2] ، ويتكلمون بألسنتنا» . قلت : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟

قال : «تلزم المسلمين وامامهم» ، قلت : فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟

قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك» .

وإليك عزيزى القارىء نصيحة أخرى من عبد الله عليه الصلاة والسلام مما رواه الامام أحمد عن أبى سعيد قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ذات يوم بنهار ثم قام فخطبنا إلى أن غابت الشمس فلم يدع شيئا مما يكون إلى يوم القيامة إلا حدثناه حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه فكان مما قال : «يأيها الناس : إن الدنيا خضرة حلوة ، وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» ، وذكر تمامها إلى أن قال وقت دنت الشمس أن تغرب : «وان مابقى من الدنيا فيما مضى منها مثل مابقى فى يومكم هذا فيما مضى منه» .

(١) دخن : حقد .

(٢) هم من جلدتنا : أى ممن ينتمون إلينا ويمتون لنا بصلة .

أنذر عبد الرحمن عليه صلوات الرحمن وسلامه بشدة اقتراب الساعة وقد مضت القرون كما أشرنا مسبقا وقلنا إن المسألة نسبية.. أنسيت !

فما بالنا نحن اليوم ! وما بال أهل آخر الزمان ! ماذا يقولون عن اقتراب الساعة ؟ لاشيء .. إنما هو عشق النسيان .

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : نادى منادى رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة ، قال فانتهيت إليه وهو يخطب الناس ، ويقول : «أيها الناس : إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على مايعلمه خيرا لهم ، وينذرهم مايعلمه شرا لهم ، الا وان عافية هذه الأمة فى أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وفتن يرفق بعضها بعضا ، تجىء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتى ، ثم تنكشف ، ثم تجىء فيقول هذه هذه ، ثم تجىء فيقول هذه هذه ، ثم تنكشف ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويأتى إلى الناس مايحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع[1]» (وقال مَرَّةً : ما استطاع) .

آخر الزمان .. تأخذ الأخلاق الراقية فى الاحتضار .. وتنتشر الرذائل .. ينتشر الكفر والفساد .. والمؤمنون قلة يومئذ .. قلة ضائعة حائرة فى وسط ذاك الزحام .. يحاولون الاعتزال .. يتمنون الموت على الايمان قبل إصابتهم بالفتن ومايعقبها من ضلال .

روى أحمد عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : «لا يتمنين أحدكم الموت ، ولا يدعو به من قبل أن يأتيه الا أن يكون قد وثق بعمله فإنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وانه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا» .

والدليل على جواز سؤال الموت عند الفتن الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده عن معاذ بن جبل فى حديث المنام الطويل وفيه : (اللهم انى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا

(١) فليطعه إن استطاع : مالم يأمر بمعصية كما ورد فى الحديث .

أردت يقوم فتنة فتوفنى إليك غير مفتون . اللهم إنى أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنى إلى حبك) .

تلك الأحاديث إنما تدل على أنه سوف يأتى على الناس زمان شديد لا يكون للمسلمين فيه جماعة قائمة بالحق إما فى جميع أنحاء الأرض أو فى بعضها .. سوف يشعر المؤمن يومئذ بالغربة والضياع .. سيحسد الموتى على نعمة الموت وقتذاك والعصمة من ذلك الزمان العصيب بما فيه من فتن هائلة ، تنبأ النبى العظيم بكل هذا فقد روى البخارى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى كنت مكانه» .

وكما ثبت فى الصحيح : «إن الله لم يخلق داء إلا أنزل له شفاء» .

أخيرا ينزل الشفاء من عند الرحيم المنتقم .. يرسل ريحا طيبة لتوفى كل من كان فى قلبه ذرة من إيمان حتى لا تقوم الساعة بأهوالها إلا على شرار الناس .

فى صحيح مسلم عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى[1]» ، فقلت يارسول الله انى كنت لأظن حين أنزل الله : ﴿**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**﴾ أن ذلك تام .

فقال : «انه سيكون من ذلك ماشاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم» .

هكذا يعود الإسلام غريبا كما بدأ غريبا .

ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال:قال رسول الله ﷺ : إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، قيل ومن الغرباء ، قال النزاع من القبائل[2]» .

(١) اللات والعزى : صنمان ، وقد حرفوا اسم الله إلى اللات ، واسم العزيز إلى العُزَّى
(٢) ورواه ابن ماجه عن أنس وأبى هريرة .

٩ ـــ رفع الخير والجمال .. والقرآن
«إن الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا(١)»

فى تلك الأيام .. بل منذ سنوات عديدة .. وجدنا أن كثيرا من الأخلاق الحميدة والمعانى السامية قد اختفت .. تاهت منا .. ضاعت .. ترى ؟ أين ذهبت ؟ أهو الاحتضار ؟ أم هى الهجرة ؟ الحقيقة أقولها إنها الهجرة .. تلك الأخلاق الفاضلة والمعانى السامية ضاقت بها الدنيا من أفعال البشر ، فهاجرت ! أجل .. إنها هاجرت إلى العالم الآخر .. أتدرى لماذا ؟ وكيف ؟

لو شبهنا الانسان .. ذلك العالم الصغير بعالمه الكبير ماذا نستنتج ؟

الانسان عبارة عن روح وجسد ، الروح هى قبس من نور الله تعالى وإليه تعود أما الجسد فهو من التراب وإليه يعود .

كذلك العالم الكبير أنزل فيه الخير والجمال من عند الرحمن وإليه يعود ، ووجد فيه الشر والضلال بفعل إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجان واليهم يعود فيزدادون شرا وضلالا يودى بهم إلى الهلاك والمهانة .

عند اقتراب لحظة احتضار الدنيا .. تفقد رونقها ويرفع منها كل ماهو جميل ليعود إلى أصله .. إلى العزيز الحكيم الذى يحمى الخير والجمال من أهوال تلك اللحظة الرهيبة .. لحظة غضبه تعالى وقيام الساعة التى لا تقوم إلا على أشر المخلوقات التى تتصف بأسوأ الأخلاق لترتكب أقبح الأفعال .

قال النبى ﷺ : «إن أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة فسلوها الله» .

وقال أيضا : (الحياء من الإيمان) .

(١) رواه أحمد عن جار لجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاءنى جابر يسلم على فجعلت أحدثه عن افتراق الناس ، وما أحدثوا فجعل جابر يبكى ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (الحديث) .

وكان عبادة بن الصامت رضى الله عنه يقول : «ان شئتم لأحدثكم بأول علم يرفع من الناس الخشوع ، ويوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلا خاشعاً» .

لايعنى ذلك أن كل الصفات الحلوة سوف ترتفع دفعة واحدة فى آخر الزمان ، كما أنه لا يعنى أنها اختفت كلية فى وقتنا المعاصر ، إنما كل ما فى الأمر أنهابدأت فى الاختفاءالتدريجى وستستمرهكذاإلى أن تختفى نهائيامن على وجه الأرض لترتفع إلى السماء وحيث لا يبقى إلا الشر والاشرار وعليهم تقوم الساعة .

قال الرسول عليه الصلاة والسلام : «أول ماينزع الله من العبد الحياء . فيصير مقاتا ممقتا[1] . ثم ينزع عنه الأمانة . فيصير خائنا مخونا . ثم ينزع عنه الرحمة فيصير فظا غليظا . ويخلع ربقة[2] الاسلام من عنقه فيصير شيطانا لعينا ملعنا» .

إذا فقد الحياء وتاه الخشوع .. أبيح كل شيء .. استطاع الانسان أن يفعل أى شيء وقتما يريد وكيفما يشاء دون قيد أو شرط ، فتضيع القيم والمبادىء .. تضيع الأخلاق .. تفقد الأمانة وتسود الخيانة .

فى صحيح البخارى عن أبى هريرة أن أعرابيا سأل رسول الله ﷺ فقال : متى الساعة ؟ فقال : «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» . قال رسول الله . وكيف إضاعتها ؟ فقال : «إذا وسد الأمر إلى غير أهله» .

وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة أو ذكرت عنده فقال : «ورأيتم الناس قد مرجت[3] عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا» . وشبك بين أصابعه .

قال : فقمت إليه وقلت : كيف أفعل عند ذلك جعلنى الله فداك ؟

---

(١) مقاتا ممقتا : المقت : أشد البغض فيصير شديد البغض للناس ومبغوضا منهم أيضا .

(٢) ربقة الاسلام : المراد عقد الإسلام . والربق حبل فيه عدة عُرىً تشد به البهم الواحدة من العرى ربقة .

(٣) مرجت : يقال أمر مريج أى مختلط ، ومعنى هذا اختلاط المفاهيم .

قال : «الزم بيتك ، واملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ماتنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة» .

الصفات الحميدة لم يكتسبها الانسان إنما هى موجودة بالفطرة التى يؤكدها وينميها العلم والقرآن . إذا ضاع الحياء والأمانة وسائر المعانى الحلوة مسخت الفطرة ، واختلطت الامور ، وانقلبت الأوضاع .

قد سبق وأشرنا إلى أسباب رفع تلك المفاهيم ومنها الأمانة ، وبقى سؤال : كيف ترفع هذه الأمانة تدريجيا من على وجه الأرض ؟

روى البخارى عن حذيفة قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين ، رأيت أحدهما ، وأنا منتظر الآخر ، حدثنا (أن الأمانة نزلت فى صدر[1] قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة) .

وحدثنا عن رفعها قال : (ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الكوكب[2] ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل أثر المجل[3] كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً[4] ، وليس فيه شىء فيصبح الناس يتبايعون ، ولا يكاد أحد يؤدى الأمانة فيقال ان فى بنى فلان رجلا أمينا ، ويقال للرجل ماأعقله ما أطرفه ، وما أجلده ، ومافى قلبه مثقال حبة ذرة من ايمان ..) .

يرفع الأمانة .. تسود الخيانة وينتشر النفاق .. تحتضر كل المعانى الحلوة .. ثم .. ثم ماذا ؟! ثم يسمى هذا رقيا يمسى رمزا للتطور والحضارة ! ينسى كل ماهو قديم أصيل .. ينسى كتاب الله العظيم .. لايعمل به .. يصير القرآن الكريم مجرد حروف مكتوبة قد ضاع معناها .. يتوجه القرآن الى ربه عز وجل شاكيا متوسلا . ربى ! أتلى ولا يعمل بى .. فيرفعه الله تعالى إليه كما كان بادىء ذى بدء .. يرفعه من الصدور ومن السطور .

(١) وقيل نزلت فى جذر قلوب الرجال — ويعنى وسط قلوبهم .
(٢) وقيل الوكت : الوكتة النقطة فى الشىء ، والوكت : التأثير ، والشىء اليسير .
(٣) المجل : يقال مجلت يده أى نفطت من العمل وظهر فيها المجل .
(٤) فنفط فتراه منتبرا : تظهر فقاعات تعلو الجلد .

عن الديلمى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما : «لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء ، له دوى حول العرش كدوى النحل ، فيقول الله عز وجل : مالك ؟ فيقول : منك خرجت وإليك أعود أتلى فلا يعمل بى» .

وأخرج الديلمى من حديث أبى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما مرفوعا : «يسرى على كتاب الله ليلا فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف ولا جوف إلا نسخت» .

أعتقد والله أعلم أنه لن يمر قرن من الزمان بعد وفاة عيسى عليه السلام إلا وتقوم الساعة ودليلى على ذلك قول رسول الله ﷺ : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» .

ستظل التوبة مقبولة إلى عهد عيسى عليه السلام ، أما بعد وفاته فسوف يعود الكفر والضلال من جديد ثم تطلع الشمس من مغربها وتخرج دابة الأرض ، فتختم الأعمال حيث لا تقبل توبة بعد ذلك ، مما يدل على أن عيسى عليه السلام سيكون هو آخر المهديين وآخر من يجدد للناس أمر دينهم ، أما بعد هذا فإن مابقى من خير وجمال وعلم وقرآن على وجه الأرض فسوف يختفى منها تماما ليرفع إلى السماء قبل مرور مائة عام من بعد وفاة عيسى عليه السلام حتى تقوم الساعة على الشر والأشرار والله سبحانه وتعالى أعلم .

روى ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان قال:قال رسول الله ﷺ : «يدرس الاسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لايدرى ماصيام ولا صدقة ، ولانسك ، ويسرى على الكتاب فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية ، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير ، والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة «لا إله إلا الله» فنحن نقولها ، فقال له صلة ماتغنى عنهم «لا إله إلا الله» وهم لا يدرون ماصلاة ولا صيام ولانسك ولا صدقة» .

هكذا يرفع العلم ولا يبقى منه إلا مجرد ذكرى . تنسى حتى كلمة (لا إله إلا الله) ولا يتذكرها إلا الشيخ والعجوز المسنة ممن عاصروا العلم قبل رفعه ، وقد يكون ذلك شفيعا لهم يوم الحساب العسير حيث لم يبق لهم عمل طيب سوى تلك الجملة الخالدة «لا إله إلا الله» وفى الحديث : (وعزتى وجلالى

لأخرجن من النار من قال يوما من الدهر لا إله إلا الله) وبموت أولئك الشيوخ والعجائز تنسى حتى تلك الذكرى الطيبة .

فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (لا تقوم الساعة على أحد يقول «الله الله» ولا تقوم إلا على شرار الناس) .

روى ابن ماجه والدار قطنى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تعلموا الفرائض وعلموه الناس فانه نصف العلم وهو ينسى وهو أول شيء ينزع من أمتى ، والحمد لله رب العالمين »

وكان عبد الله بن مسعود يقول : ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ولكن إقامة حدوده . قلنا إن الصفات الطيبة والقرآن الكريم كل منهما يرفع تدريجيا .. قد يكون رفع الحياء هو أول مايبدأ فى الرفع وقد يكون رفع القرآن هو أول ماينتهى رفعه بالكلية أو العكس والله أعلم .

روى ابن ماجه عن عبد الله قال:قال رسول الله ﷺ : «يكون بين يدى الساعة أيام يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ، ويكثر فيها الهرج ، والهرج القتل» .

كيف يرفع العلم ؟ للإجابة على ذلك وتفسيرا للحديث الشريف السابق ذكره نعرض ماثبت فى الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال إن رسول الله ﷺ قال : (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا ، وأضلوا) .

المقصود بالعلم الذى يقبض هو علم الدين الذى أساسه ومصدره القرآن الكريم ، وهو لاينافى علم الدنيا بل يؤكده أو ينفيه .

لكن للأسف .. حين يحدث التطور العلمى وتتقدم الحضارة الدنيوية فى دولة ما يصيبها الغرور وتعتقد فى نفسها القوة التى تستغنى بها عن الخالق الأعظم والمسبب الحقيقى لتلك الحضارة .. تنسى الخالق وتكفر به عز وجل معتقدة أنها صانعة ذلك الوجود وبيدها فناؤه ولو بمجرد إلقاء قنبلة ذرية !

بعد انتشار الحضارة .. بل الحضارات على وجه الأرض .. يبعد الناس عن لعلم الحقيقى ويجهلون أن مصدر أى علم وكل تقدم وحضارة هو الله .

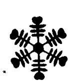
هكذا يرفع العلم وينتشر الجهل وبالتالى تسود الفوضى وتفنى القوانين فيكثر لقتل .

وقد حذر الرسول الكريم من ذاك الوقت مراراً وتكراراً ففى الحديث : «أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع» .

واخرج السجزى عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً : «لا تقوم القيامة حتى يرفع الركن والقرآن» .

صدق وعد الله تعالى .. أنزل القرآن .. حفظه من أى حذف أو تحريف .. بل وحفظ أيضا من أنزله عليه .. حفظ محمدا عليه الصلاة والسلام من أى عيب أو شر .. وسيظل القرآن كاملا بلا تغيير أو تبديل حتى آخر الزمان حين يرفعه الحق تبارك وتعالى إليه بإذنه ومشيئته

حقا .. صدق وعد ربى : (إنا نحن نزلنا الذكر[١] وإنا له لحافظون[٢]) .



(١) الذكر : القرآن .
(٢) (سورة الحجر — ٩) .

﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببَكَّةَ[1] مباركا وهدى للعالمين﴾

١٠ ـــ هدم الكعبة المشرفة*

قد تسمع عن الكعبة .. أو تقرأ عنها .. أو حتى ترى صورتها .. كل ذلك قد لا يحرك فيك شيئا .. لكن سافر .. سافر إليها كى تراها حقيقة أمام عينيك ، وإن كنت لا ترى بعينيك فإنك تراها بما هو أحلى وأقوى .. تراها بقلبك ووجدانك .. تراها بكل أحاسيسك ومشاعرك .. وهناك تخيل نفسك وماذا يجرى لك أمامها بالنظرة الفطرية المجردة سواء كانت بقلبك أو بعينيك ؟!

بمجرد شعورك بتواجدك أمامها ووقوع نظرك عليها ولو من بعيد تنسى كل شيء فى الوجود إلا هى .. ترتعد أوصالك .. تسرى فيك قشعريرة غريبة .. تسمع الأصوات من حولك تعلو بذكر الله تعالى .. بالتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد .. تنجذب إليها .. تقترب منها لا إراديا .. تطوف حولها مع الطائفين من الرجال والنساء .. العظماء منهم والضعفاء .. الأصحاء والمرضى .. الآتين إليها من شتى بقاع الأرض .. تخال نفسك وكأنك أمام ربك تناديه وتدعوه وتكلمه دون حجاب .. سراً أو علانية كيفما تشاء وبمنتهى الحرية .. تنسى جسدك وعناءه ومتطلباته المادية وتهيم بروحك التى تتحرر من سجنها الجسدى .. تشعر وكأن روحك قد انطلقت حرة سابحة هائمة فى حب الله وفى حب بيت الله .

تجد دموعك تنساب من عينيك وتسيل على وجنتيك .. تبكى ، وتبكى أحر بكاء ، وأجمل بكاء فى الوجود ، ولماذا البكاء ؟! أهو بكاء الحب

(١) قيل أن بكة هى البيت وماحوله وماوراء ذلك مكة وقيل إن بكة من اسماء مكة والله أعلم . وسميت بكة لأن الناس يتباكون فيها أى يزدحمون أو لأنها تبك أعناق الجبابرة بمعنى أنهم يذلون ويخضعون عندها والله أعلم .

* المراجع فى الجزء الخاص بالكعبة : تفسير ابن كثير ، كلمات القرآن .. حسنين مخلوف ، قصص الأنبياء .. عبد الوهاب النجار ، الموسوعة ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقى . القول المبين .. د . محمد الطيب النجار .

والخشوع ؟! أم هو بكاء الندم ونداء الرحمة والمغفرة من الرحمن الغفور؟! أم هو بكاء اللاجىء الضعيف إلى القادر الغفور ليكشف عنه محنة أو مأساة ؟!

أمام الكعبة يجيش بداخلك أكثر من إحساس وشعور .. كلها فى آن واحد أو آونة متفاوتة .. مهما اختلفت تلك الاحاسيس والمشاعر ، ومهما تنوعت أسباب البكاء والتضرع ، فهو بكاء من نوع خاص ء له مذاق خاص ، ومشاعر كلها ممزوجة بالحب والأمل والثقة والخشوع للحكيم الجبار .

فى لحظة قد تدور بخلدك ذكريات عمرك وماضاع منه وانتهى وما ارتكبت أنت فيه من ذنوب ومعاص ، فتتوجه إلى ربك : واقفا أو راكعا أو ساجدا أمام بيته .. متذللا إليه .. وماأجمل الذل إليه .. باكيا .. وما أروع البكاء عند بيته .. طالبا منه الرحمة والمغفرة .

فجأة !! تبرز إليك مأساة تعيشها وتتألم من أجلها .. فتشكو لربك وتطلب منه كشفها عنك واثقا طامعا فى كرمه ورحمته ومغفرته .

وقد تبكىٰ وأنت لا تدرى لماذا تبكى ، وقد تلوذ بصمت بلا بكاء ولا دموع .. تنظر إلى الكعبة .. تتأملها وكأنك تنظر إلى ما لا نهاية ، كما تفكر فيها وكأنك تفكر فى مالا نهاية أو فى لا شىء .. لا تدرى فيم تفكر ، أو لم تنظر ، أو بم تحس ، إنما تشعر بالأمان والسكينة والمتعة . وبعد كل هذا ! تمحى ذنوبك وتضاعف حسناتك !.. يالكرم الله . قد تنسى هناك كل شىء فى الوجود سوى أنك أمام بيت الله .. تهيم فيه حبا وخشوعا بلا حدود .حين ترى الكعبة بعين جامدة صماء مجردة من إحساس الفطرة وروح الإيمان فإنك تراها مجرد حجر .. عليه كساء أسود .. «وتتساءل» : أين هو الجمال ؟!.. لكن حين تراها بعين الفطرة المملوءة بالمشاعر والايمان .. تقع أسيرا لهواها وتبحث عن سر جمالها .. ترى ! ماهو السر ؟! أتعلم ان الكعبة بحيال البيت المعمور الذى هو حذاء العرش ويطوف حوله خلق السماء ؟! البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة وهو بحيال[1] الكعبة من فوقها ، وفى كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه ، والذى فى السماء الدنيا يقال له بيت العزة والله أعلم .

(١) بحيال : مواز لها .

وفى ليلة الإسراء رأى الرسول ﷺ البيت المعمور فى السماء السابعة وذكره يوما لأصحابه فقال : «هل تدرون ماالبيت المعمور ؟» قالوا الله ورسوله أعلم .

قال : «فإنه مسجد فى السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ماعليهم» .

وعن ابن جرير أن رجلا قال لعلى : ماالبيت المعمور ؟ قال : بيت فى السماء يقال له الصراح[1]وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته فى السماء كحرمة البيت فى الأرض يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبدا .

وقال العوفى عن ابن عباس : هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون إليه .

أتدرى أن قواعد الكعبة ممتدة إلى سابع أرض ؟

روى عبد الرازق عن مجاهد قال : خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا بألفى سنة وأركانه فى الأرض السابعة . كذلك قال ليث بن أبى سليم عن مجاهد : القواعد فى الأرض السابعة .

والقواعد جمع قاعدة وهى السارية والأساس .

أتعرف أن الكعبة هى المركز الذى من عنده دحيت الأرض ؟

روى ابن جرير عن ابن عباس قال : وضع الله البيت على أركان الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفى عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت .

كما قال كعب الأحبار : كان البيت غثاءة[2] على الماء قبل أن يخلق الله الأرض بأربعين عاما ومنه دحيت الأرض . وقال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة[3] : «إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلقَ السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة» .

---

(١) الصراح : الخالص الذى لا تشوبه شائبة .

(٢) الغثاء : مايحمله السيل من رغوة ومن فتات الاشياء التى على وجه الأرض .

غثاء السيل : حميله . والمراد كان البيت رغوة أو فتات أشياء على الماء .

(٣) الحديث فى الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة (الحديث) .

بداية خلق الكون

قال ابن مسعود ومجاهد وبعض الصحابة مامعناه إن عرش الله تعالى كان على الماء ، ولما أراد أن يخلق الخلق أيبس الماء وجعله أرضا واحدة ، ثم جزأها إلى سبع أرضين ، ولما خلقت الأرض ثار منها دخان فارتفع فوقها ، وسما عليها ، فسماه سماء .. فتقها وجعلها سبع سماوات ، وخلق فى كل سماء خلقها ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة تحفظ من الشياطين . قال تعالى فى سورة الانبياء — آية ٣٠ :

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا(١) **ففتقناهما**(٢) **وجعلنا من الماء كل شيء حى**(٣) **أفلا يؤمنون﴾** ثم استوى رب العالمين الى السماء ، وأمسك بالأرض فدحاها بقوة وبسرعة من عند البيت الذى كان فيما مضى على الماء .. اضطربت الأرض .. اهتزت وتزلزلت .. ففجرت كل ماكان مودعا فيها .. وأثيرت الرياح ، فتكونت البحار والأنهار وأرسيت الجبال ونبت النبات .. ورويدا .. رويدا بسطت الأرض واتسعت ، فغدت ممهدة لسكنى أهلها ، وسمى اليوم الذى اكتمل فيه خلق السماء والأرض بيوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض . والله سبحانه وتعالى أعلم .

مما يدل على أن الأرض أصلها ماء والله أعلم أن أغلب مساحتها مياه تتمثل فى صورة بحار ومحيطات وانهار فمساحة الأرض الكلية ٥١٠ر١٠٠ر٠٠٠ كلم٢ (خمسمائة وعشرة مليون ومائة ألف كيلو متر مربع) ، ومساحة المحيطات فيها ٣٦٠ر٧٠٠ر٠٠٠ كلم٢ أما مساحة اليابسة ١٤٩ر٤٠٠ر٠٠٠ كلم٢ فقط .

وقد نزل الحق من السماء .. أشار الله تعالى فى كتابه المنزل إلى خلق السماء والأرض فقال : **﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون**

---

(١) كانتا رتقا : كانتا ملتصقتين بلا فصل .

(٢) ففتقناهما : ففصلنا بينهما بالهواء .

(٣) كل شيء حى : كل شيء نام حيوانا أو نباتا .

له أنداداً[1] ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى[2] من فوقها وبارك فيها[3] وقدر فيها أقواتها[4] فى أربعة أيام[5] سواء [6] للسائلين ، ثم استوى[7] إلى السماء وهى دخان[8] فقال لها وللأرض ائتيا[9] طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن[10] سبع سماوات فى يومين وأوحى[11] فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا[12] ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (فصلت ٩ : ١٢) .

وفى سورة النازعات من آية ٢٧ : ٣٣ قال تعالى : **﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها[13] فسواها[14] وأغطش ليلها[15] وأخرج ضُحَاها[16] ، والأرض بعد ذلك دحاها[17] ، أخرج منها ماءها ومرعاها[18] ، والجبال أرساها[19] ، متاعا لكم ولأنعامكم﴾** .

من الآيات الكريمة يتضح كما روى البخارى عن ابن عباس : أن الأرض خلقت قبل السماء وإنما دحيت بعد خلق السماء . وفسر العلماء الدحى

(١) أنداداً : أمثالا من مخلوقاته تعدونها .
(٢) رواسى : جبالا ثوابت تمنعها الميدان .
(٣) بارك فيها : كثَّر خيرها ومنافعها .
(٤) أقواتها : أرزاق أهلها ومايصلح لمعايشهم
(٥) فى أربعة أيام : فى تتمة أربعة أيام .
(٦) سواء : استوت الاربعة استواء (تمت) .
(٧) استوى : عمد وقصد قصدا سويا .
(٨) هى دخان : مكونه مما يشبه الدخان ، وقيل : وهى بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض .
(٩) ائتيا : افعلا ما أمرتكما به وجيئا به .
(١٠) فقضاهن : أحكم وأبدع خلقهن .
(١١) أوحى : كون ودبر فى اليومين .
(١٢) حفظا : حفظناها حفظا من الآفات .
(١٣) رفع سمكها : جعل ثخنها مرتفعا جهة العلو .
(١٤) فسواها : فجعلها مستوية الخلق بلا عيب .
(١٥) أغطش ليلها : أظلمه .
(١٦) أخرج ضحاها : أبرز نهارها المضىء بالشمس .
(١٧) دحاها : بسطها وأوسعها لسكنى أهلها .
(١٨) مرعاها : أقوات الناس والدواب .
(١٩) الجبال أرساها : أثبتها فى الأرض كالأوتاد .

بإخراج ماكان مودعا فيها بالقوة إلى الفعل ، ولما أكملت صورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية دحيت بعد ذلك الأرض فأخرجت ماكان مودعا فيها وكلمة دحاها بالآية الكريمة تشير إلى أن الأرض كانت فى الأصل بيضاوية . والله أعلم .

بعد نزول القرآن الكريم مضت قرون وقرون .. أجريت خلالها العديد من التجارب والابحاث وأثبتت الكثير من النظريات .. وبعد مجهودات شاقة .. وقف العلماء وقالوا : الأرض كروية . ثم قالوا : إنها كروية ومسطحة بعض الشيء عند القطبيين .

وقد يكون الأمر كذلك بعد أن دحيت الأرض البيضاوية وفجرت ما بها وتكونت البحار والجبال وبسطت ومهدت فأخذت الشكل الكروى المسطح بعض الشيء عند القطبين .

وعلى كلٍ فالعلم مازال فى بحث دائب عن الحقيقة التى لم يصل إليها إلا بعد تجارب وأبحاث ومجهودات عديدة .. ولن يصل إليها بالفعل إلا عند الوصول إلى حقيقة ماأنزل إلينا من كلمات العليم الحكيم فى كتابه العظيم .

﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (جزء من آية ٥٤ بسورة الاعراف)

طواف آدم :

حين خلق آدم .. عاش فى الجنة .. سبح مع الملائكة وطاف معهم حول بيت الله فى السماء .. ثم كانت الخطيئة .. فأهبط إلى الأرض ومعه الحجر الأسود من الجنة .. كان الحجر وقتئذ أبيض .. ياقوتة بيضاء .. لكنه اسود فيما بعد من خطايا البشر .

قيل والله أعلم إن آدم حين أهبط من السماء بالحجر الاسود إنما أهبط بأرض الهند ، وقد كان طويلا ، شديد الطول .. رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ، ويأنس إليهم ، لكن الملائكة

ذعرت منه وتوجهت إلى ربها شاكية ، فخفضه الله تعالى إلى الأرض حزن آدم .. لقد فقد أصوات التسبيح والطواف .. فتوجه إلى ربه عز وجل شاكيا متوسلا . فقال الله : ياآدم إني قد أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي ، وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي .

فانطلق إليه آدم .. وخرج .. كان طويلا وخطواته واسعة فسرعان ما وصل إلى مكة ، وهداه الله تعالى إلى مكان البيت ، وأنزل له فيه ياقوتة من ياقوت الجنة ، وطاف آدم أبو البشر ومعه جواء حول قواعد البيت والياقوتة فى وسطه ، وطاف من بعده الانبياء . ولما أنزل الله الطوفان رفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله ابراهيم أبا الانبياء فرفع القواعد وبنى البيت بمعاونة ابنه اسماعيل الذى جاء من ذريته فيما بعد خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين . والعلم عند الله .

بناء إبراهيم عليه السلام للبيت :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يذهب ابراهيم عليه السلام بزوجته هاجر وابنهما اسماعيل إلى مكة ولم يكن بها يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، وتركهما هناك بعد أن زودهما ببعض التمر والماء ، ثم انطلق ابراهيم ﷺ عائدا .. تبعته هاجر تناديه : ياإبراهيم : أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شيء ؟!

قالت له ذلك مراراً وهي خائفة مذعورة ، وهو لايلتفت إليها .

وأخيرا سألته : أهذا أمر الله تعالى ؟ قال : نعم .

فاطمأن قلبهاوقالت:إذاًلايضيعنا،ثم رجعت وانطلق ابراهيم إلى حيث لاتراه هاجر .. استقبل بوجهه البيت ثم رفع يديه وأخذ يدعو ربه قائلا كما أخبرنا الله تعالى فى سورة ابراهيم آية ٣٧ : ﴿**ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم**(١) **وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**﴾ .

---

(١) تهوى إليهم : تسرع إليهم شوقا ووداداً .

جعلت هاجر تشرب وترضع اسماعيل حتى إذا نفذ الماء .. عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى .. لم تستطع رؤية ولدها وهو على هذى الحال .. ابتعدت عنه .. وانطلقت تبحث عن ماء .. وجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض فقامت عليه لتستنجد بأحد .. فلم تر أحدا .. هبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى .. سعت سعي الإنسان المجهد حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت علّها ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فعلت ذلك سبع مرات ، ولما أشرفت على المروة فى المرة السابعة سمعت صوتا .. فانتبهت .. سمعته مرة أخرى .. استنجدت به ، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم .. بحث بجناحه حتى ظهر الماء .. فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك :

لاتخافى الضيعة فإن ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت وقتئذ مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله . ظلت هاجر ووليدها وحدهما فى هذا المكان حتى مر بهما رفقة من الناس من جرهم ، فاستأذنوها ونزلوا عندها حيث أنست بهم ، وشب الغلام بينهم فأعجبهم ، ولما كبر زوجوه امرأة منهم ، وماتت هاجر .

وكان ابراهيم عليه السلام يطمئن عليهما بين الحين والآخر .. وفى ذات يوم ذهب إلى ولده فلقيه وقال له : ياإسماعيل إن ربك عز وجل أمرنى أن أبنى له بيتا ههنا .

وأشار إلى أكمة مرتفعة على ماحولها .

قال اسماعيل : أطع ربك عز وجل .

قال أبوه : انه قد أمرنى أن تعيننى عليه ., فقال : إذن أفعل .

وبدأ البناء .. جعل ابراهيم يبنى واسماعيل يناوله الحجارة حتى يرفعا القواعد من البيت وهما يتوجهان إلى الله عز وجل بالدعاء : ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا**

واجعلنا مسلمين[1] لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا[2] وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم[3] إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (البقرة — ١٢٧ : ١٢٩) .

استمرا فى البناء حتى ارتفع فأتى اسماعيل بحجر ليقوم ابراهيم فوقه ويستكمل البناء ، وقد سمى ذلك الحجر الذى قام عليه إبراهيم لبناء الكعبة مقام إبراهيم ، فجعل إبراهيم يبنى وهو واقف على المقام وابنه يناوله الحجارة ، كلما فرغ من جدار نقل المقام إلى الناحية التى تليها ، فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان : ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ .

ولما بلغا مكان الركن انطلق إبراهيم عليه الصلاة والسلام يطلب له حجرا .. وجاءه جبريل بالحجر الأسود .

هكذا بنيا الكعبة المشرفة وهما يطوفان حولها ويدعوان ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ . قيل والله أعلم إن ذا القرنين قدم مكة فوجد ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام يبنيان قواعد البيت من خمسة أجبل . فقال : مالكما ولأرضنا ؟

فقالا : نحن عبدان مأموران أمرنا ببناء هذه الكعبة .

---

(١) مسلمين لك : منقادين خاضعين مخلصين لك .
(٢) أرنا منا سكنا وعرفنا معالم حجنا . أو شرائعه .
(٣) يزكيهم : يطهرهم من الشرك والمعاصي .

قال : فهاتا بالبينة على ماتدعيان . فقامت خمسة أكبش فقلن : نحن نشهد أن إبراهيم وإسماعيل عبدان مأموران أمرا ببناء هذه الكعبة .

فقال : قد رضيت وسلمت .

وذكر الأرزقى فى تاريخ مكة أن ذا القرنين طاف مع إبراهيم عليه السلام بالبيت وهذا يدل على تقدم زمانه . والله أعلم .

محاولة أبرهة لهدم الكعبة

بعث النجاشى ملك الحبشة فيلا عظيما ضخما إلى أبرهة القائم بتدبير جيش الحبشة باليمن ، وكان أبرهة قد أقسم ليسيرن إلى مكة لتخريب بيت الله حجرا حجرا ، وكان معه عدد آخر من الأفيال ليهدم بها الكعبة بأن يجعل السلاسل فى الأركان وتوضع فى عنق الفيل ثم يزجر[1] ليلقى الحائط جملة واحدة .

تأهب أبرهة لهدم الكعبة وقتال من يتعرض له فى ذلك ، وسار فى جيش كبير لئلا يصده أحد عنه .

لما علم العرب بذلك ثاروا ، وخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر ، فجمع قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وإبعاده عن بيت الله ، لكن أبرهة هزمهم وأسر ذانفر .

سار أبرهة بجيشه إلى أن وصل بأرض خثعم حيث اعترض له نفيل بن حبيب فى قومه فقاتلوه وهزمهم أبرهة وأسر نفيل ابن حبيب واستصحبه معه ليدله فى بلاد الحجاز .

ولما انتهى قريبا من مكة أغار جيشه على سرح أهل مكة من الابل وغيرها فأخذوه ، وكان فى السرح مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم .

أمر أبرهة أن يؤتى إليه بأشرف رجال قريش ليخبره أنه لم يجىء لقتالهم إلا لو صدوه عن البيت . فجىء له بعبد المطلب بن هاشم وكان رجلا جسيما حسن المظهر ، لما رآه أبرهة أجله ونزل عن سريره وجلس معه على البساط وسأله : ماحاجتك ؟

(١) يزجر : يدفع بقوة .

قال : إن حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى .

فقال أبرهة : لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتنى .

أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه ؟! فقال له عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربا سيمنعه .

قال : ماكان ليمتنع منى . قال : أنت وذاك .

ويقال إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم ، ورد على عبد المطلب إبله ، ثم رجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن فى رءوس الجبال خوفا عليهم ثم قام عبد المطلب ومن معه من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده .

تهيأ أبرهة لدخول مكة ، فهيأ فيله وعبأ جيشه ، لما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه فأخذ بأُذُنِه وقال : ابرك وارجع راشداً من حيث جئت فإنك فى بلد الله الحرام ، فبرك الفيل ، وهرب نفيل حتى صعد الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا يحدث .

جعل أبرهة يضرب الفيل وينهره ليقهره على دخول الحرم لكنه أبى .. وجهوا الفيل عائدا إلى اليمن فقام يهرول .. وجهوه إلى الشام ففعل كذلك .. ثم وجهوه إلى المشرق ففعل .. لكن حين وجهوه إلى مكة برك وصاح حتى اقتدت به بقية الفيلة . بينما هم كذلك .. إذا بجماعات من الطيور يتبع بعضها بعضا .. فى مناقيرها وأظافيرها حجارة .. تأتيهم من كل مكان .. تصيح فوق رءوسهم .. وتقذفهم بالحجارة .. ثم بعث الله تبارك وتعالى ريحا شديدة فضربت الحجارة وزادتها شدة فأهلكوا جميعا .. منهم من هلك سريعا ، ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون مثل أبرهة الذى وصل إلى صنعاء مصابا فأخبرهم بما حدث لهم ثم مات .

وقد أنشد العرب وقتئذ العديد من الأشعار فى أصحاب الفيل ونقمة الله تعالى عليهم ومنها قول نفيل :

أين المفر والإلاه الطالب والأشرم[1] المغلوب ليس الغالب

كما أنشد عبد الله بن الزبعرى :

تنكلوا عن بطن مكة إنها كانت قديما لا يرام حريمها .
لم تخلق الشعرى[2] ليالى حرمت إذ لا عزيز من الأنام[3] يرومها .
سائل أمير الجيش عنها مارأى فلسوف ينبى الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم[4] بل لم يعش بعد الإياب سقيمها .
كانت بها عاد وجرهم قبلهم[5] والله من فوق العباد يقيمها .

هكذا عزم أصحاب الفيل على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود .. لم يتمكن أهل قريش ولاغيرهم من العرب التصدى لهم .. بل تصدى لهم الله سبحانه وتعالى بنفسه .. لما يريده من كرامة لذلك البيت العتيق[6] الذى زاد تكريما وتعظيما بذلك المولود الذى ولد فى نفس عام الفيل .. ذلك المولود هو محمد صلوات الله وسلامه عليه الذى بعث نبيا بل وخاتما للأنبياء .

إعادة بناء قريش للكعبة :

أعادت قريش بناء الكعبة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام بزمان طويل ، وقبل مبعث محمد ﷺ بخمس سنوات ، فكان له من العمر عامئذ خمس وثلاثون سنة ، وكانت قريش تسميه قبل نزول الوحى عليه (الأمين) . كانت الكعبة وقتئذ قد تصدعت وصلرت رضما فوق القامة بسبب السيول التى نزلت على مكة فى أوقات متقاربة غير تلك القرون العديدة ، فأرادت قريش رفعها وتسقيفها ، لكنهم هابوا هدمها .

(١) الأشرم : هو أبرهة الأشرم .
(٢) الشعرى : نجم .
(٣) الأنام يرومها : الأنام الخلق ، ويرومها يتطلع إلى ماهى عليه من رفعة وعلو .
(٤) يؤبوا أرضهم : آب : رجع ويقصد أنهم لم يرجعوا .
(٥) عاد وجرهم وقبلهم : هم قبائل .
(٦) البيت العتيق : قيل إنه العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة أو لأنه أول بيت وضع للناس .

كانت حية تخرج من بئر الكعبة فتشرف على جدارها ، ولا يدنو منها أحد إلا كشت وفتحت فاها ، فهابها الناس ، وفى ذات يوم بعث الله إليها طائرا فاختطفها وذهب بها ، فتفاءلت قريش أن يكون الله قد رضى بهدم الكعبة لإعادة بنائها من جديد .

عقدوا العزم على الهدم والبناء .. قام رجل من بنى مخزوم .. تناول حجرا من الكعبة .. لكنه وثب من يده حتى رجع إلى موضعه .. ارتعد الرجل وقال مناديا : يامعشر قريش لاتدخلوا فى بنيانها من كسبكم إلا طيبا .

ذهل الناس .. هابوا هدمها وتفرقوا .. وقف الوليد بن المغيرة قائلا : أنا أبدؤكم فى هدمها .. أخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير .. ثم هدم من ناحية الركنين .. فتربص الناس تلك الليلة وقالوا : ننظر .. فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله ماصنعناه .

فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس .. أساس ابراهيم عليه السلام .. أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة(١)أخذ بعضها بعضا .. قيل إن رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما .. لما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها .. ذعر الناس وانتهوا على ذلك الأساس .. وبدءوا البناء من فوقه .

بدأت قبائل قريش فى البناء .. جمعوا الحجارة كل قبيلة على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن وهو الحجر الأسود .. اختصموا فيه .. كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى .. تحاوروا وتخالفوا وأعدوا للقتال .. مكثت قريش على هذى الحال أربع ليال أو خمسا .. الله أعلم .. ثم اجتمعوا فى المسجد يتشاورون .. وأخيرا قرروا قبول تحكيم أول من يدخل من باب المسجد .. فإذا بمحمد ﷺ .. لما رأوه .. فرحوا وصاحوا : هذا الأمين رضينا .. هذا محمد .. ولما انتهى إليهم أخبروه بما حدث بينهم .. قال عليه الصلاة والسلام : هلمّ إلى ثوبا .

(١) كالأسنة : مدببة كأسنة الرماح .

فأتى به وأخذ الركن (يعنى الحجر الأسود) فوضعه فى الثوب بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا .. ففعلوا حتى بلغوا به موضعه .. فوضعه ﷺ بيده ثم بنى عليه .

هكذا تم لهم ماأرادوا ثم فرغوا من بنيان الكعبة المشرفة .

احتراق الكعبة وبناؤها على يد عبد الله بن الزبير .

كانت الكعبة فى عهد النبى ﷺ ثمانى عشر ذراعا ولم تزل على بناء قريش حتى احترقت بعد سنة ٦٠هـ فى آخر ولاية يزيد بن معاوية وأول إمارة عبد الله بن الزبير .

حار ابن الزبير أينقض الكعبة . ويبنيها من جديد أم يصلح ما وهى منها ؟ .

استشار الناس .. نصحه ابن عباس أن يصلح ماوهى منها ويدع بيتا أسلم الناس عليه ، وأحجاراً أسلم الناس عليها ، وبعث عليها النبى ﷺ .

فقال ابن الزبير : لو كان أحدهم احترق بيته مارضى حتى يجدده فكيف بيت ربكم عز وجل !، إنى مستخير ربى ثلاثا ثم عازم على أمرى .

فلما فعل .. عقد العزم على أن ينقضها .. لكن الناس هابوا أن ينزل بهم أمر من السماء ، حتى بدأ رجل منهم .. ولما رأى الناس أنه لم يصب بشىء تتابعوا ينقضون معه حتى إذا بلغوا قواعد ابراهيم عليه السلام .. وعلى تلك القواعد العتيقة بدأ البناء من جديد .

وقال ابن الزبير إنى سمعت عائشة رضى الله عنها تقول: إن النبى ﷺ قال : «لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة مايقوينى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع ولجعلت له بابا يدخل الناس منه ، وبابا يخرجون منه» .

لما سمع ابن الزبير ذلك الحديث الشريف من خالته قال : فأنا أجد ما أنفق ولست أخاف الناس . ونفذ ماورد بالحديث تلبية لرغبة رسول الله ﷺ .

أمر عبد الملك بن مروان بإعادة الكعبة كما كانت .

لما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما فعل ابن الزبير بالكعبة . فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شىء أما مازاد فى طوله فأقره ، وأما مازاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه وسد الباب الذى فتحه . فنقضه وأعاده إلى بنائه . وبينما كان عبد الملك بن مروان يطوف بالبيت قال : قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين ، يقول سمعتها تقول : قال رسول الله ﷺ : «يا عائشة لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت الكعبة حتى أزيد فيها من الحجر فان قومك قصروا فى البناء» .

فقال الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة : لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فإنى سمعت أم المؤمنين تحدث هذا .

قال عبد الملك لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على مابنى ابن الزبير .

كانت السنة إقرار مافعله عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما لأن ذلك هو ما أراد رسول الله ﷺ ولكن خشى أن تنكره قلوب بعض الناس لحداثة عهدهم بالاسلام وقرب عهدهم من الكفر . ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك بن مروان ، ولما تحقق من ذلك الحديث ندم على مافعل وود لو ترك الكعبة على مابنى ابن الزبير .

ولكن بعد أن رجع الأمر إلى هذا الحال كره بعض العلماء أن يغير مرة أخرى فذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدى أنه سأل الإمام مالكا عن هدم الكعبة وردها إلى مافعل ابن الزبير . فقال له مالك :

يا أمير المؤمنين لاتجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها . فترك ذلك الرشيد ..

إعادة بناء الكعبة على يد المصريين :

فى القرن الحادى عشر الهجرى أصيبت الكعبة بأمطار شديدة وسيول جارفة صدعت جدرانها حتى تساقطت حجارتها ؛ فأرسل والى مصر وهو محمد باشا الألبانى وقتئذ جماعة من المهندسين والبنائين المصريين فهدموا بقية

الجدران وبنوا الكعبة من جديد .

ولا تزال الكعبة هكذا حتى الآن .. وفى آخر الزمان يخربها ذو السويقتين(1) من الحبشة .. والله أعلم .

هدم الكعبة نهائيا فى آخر الزمان

تلك هى الكعبة العريقة .. وهذى قصتها .. هاهو ذا تاريخها الطويل يتكلم .. يقر ويعترف .. أنها بيت الله العتيق .. لم يسلط عليها أحد بنية الغدر إلا هلك .. تهدمت أكثر من مرة .. بنيت مرات .. لكن قواعدها عتيقة .. ثابتة لا تتحرك .. والطواف حولها دائم .. فى أية لحظة من لحظات العمر .. عمر الدنيا كله .. ليلا أو نهارا .. صيفا أو شتاء الطواف دائم .. وحين يتوقف طواف البشر فى أوقات الصلاة .. حين يقف أمامها البشر من جميع الجهات بنية الصلاة .. يطوف حولها من فوقهم حمام السلام .. هى كعبة لا .. ضيع وصفها بكلمة .. هى رمز يسمو فوق الكلمات . ثم .. ثم أجد قلمى يتعثر .. والسطور من تحته تتألم .. والورقة ترتعد من هول المأساة . استمع .. وأنصت إلى ماقاله أبو داود فى باب النهى عن تهييج الحبشة وكان ذلك عن النبى ﷺ . أتدرى ماذا قال ؟

قال عليه الصلاة والسلام : (اتركوا الحبشة ماتركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة) .

أتدرى كيف يستخرج هذا الكنز ؟! اليك ماثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة) .

أتخرب الكعبة من أجل كنز ! لا تتعجب ! بل استمع إلى المأساة الكبرى !

أتعلم ماذا قال الامام أحمد بن حنبل عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما !

قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يخرب الكعبة ذو السويقتين من

---

(1) ذو السويقتين : سويقتين تصغير ساقين أى دقيق الساقين .

الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها ، ولكأنى أنظر إليه أصيلع[1] أفيدع[2] يضرب عليها بمسحاته[3] ومعوله[4] .

وأكد ذلك البخارى حين روى عن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : (كأنى به أسود أفحج يقلعها حجرا حجرا) . أإلى هذا الحد تنزع الرحمة من قلب الانسان ! كيف تطاوعه يده أن يمس الكعبة بسوء ! كيف يطاوعه قلبه أن يرى الحبيبة تهوى امام عينيه حجرا حجرا ! فظيع ! .

ماكل هذا الجحود ! ماذلك العنف وتلك القسوة ! أيهدم بيت اللهويهدم قواعد أسسها الله ! أين الفطرة أيها الإنسان ؟! وأين الإيمان ؟!

لا أرى أمامى إلا ظلاماً يسود ذلك العالم البشرى فى ذاك الزمان .. حزن وشجن .. وسحابة من كآبة تغيم عبر الوجود .

أين أنت ياسماء ؟! وأين الأرض ؟! انطقى يادنيا .. سمعت ابن عباس يقول عنك : (لو لم يحج الناس هذا البيت لأطبق الله السماء على الأرض) .

تكلمى .. تحركى وثورى .. قولى شيئا لهؤلاء البشر الذين يستمتعون بظل سمائك .. ويعيثون فسادا فى أرضك .

أين أنت ؟! اعترضى ! قولى شيئا ! كفاك صمتاً ! وابكِ ! ابكِ يادنيا .. ابكِ .

---

(١) أصيلع : تصغير أصلع وهو من ذهب شعر مقدم رأسه .
(٢) أفيدع : تصغير أفدع . والفدع زيغ بين القدم وعظم الساق .
(٣) المسحات : جمع مسحاة وهى الفأس .
(٤) المعول : آله حديدية ينقر بها الصخر .

١١ ــ تتابع وشدة المطر والصواعق .. البراكين والزلازل

أ ــ المطر والصواعق :

وتبكى الدنيا .. ها أنا أنظر إليها عبر أزمان بعيدة .. لا يعلم مداها إلا الله تعالى .. هاهى ذى الدنيا وقد امتلأت أحزانا .. ضاقت بمن عليها .. سئمت الحياة .. تعبت .. ولم تعد تحتمل .. تود لو تموت .. لو تعترض أو تثور .. لكنها كبرت .. هاجمتها الشيخوخة بأمراضها .. أصابها الهرم .. وصل عمرها إلى ملايين .. بلايين .. أو مليارات من السنين .. العلم عند الله . مسكينة الدينا ! .. ! لم تعد قادرة على تخريب البشر فيها .. فيسير السحاب .. يغيم على الوجود .. يسير ثائرا مشحونا .. حائرا لا يهتدى إلى طريق .. ولا يدرى إلى أين المسير .. يصطدم .. ويرتطم بعضه ببعض .. وإذا بالسماء تبكى .. تبكى أحر بكاء وأشد بكاء بكته فى الوجود .. تسيل دموعها أمطارا غزيرة .. تغرق الأرض بما ومن عليها .. وإذا برعد وبرق .. فظيع ! هاهى ذى السماء ترسل صواعقها المتتالية على أهل الأرض .. إنهم يقعون صرعى .. قتلى .. آلاف .. ملايين من المخلوقات .. العلم عند الله .

تنبأ النبى الكريم بكل هذا عبر أزمان بعيدة مضت ، فقد روى عنه أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : (تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتى الرجل القوم فيقول من صعق قبلكم الغداة ؟ فيقولون صعق فلان وفلان) .

كما روى عنه أبو هريرة أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال : (لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطرا لا يكن منه بيوت المدر[1] ، ولا يكن منه إلا بيوت الشعر[2]) .

(١) لا يكن منه بيوت المدر : البيوت نوعان : إما مبنية أو خيام من شعر وغيره والمبنية تكون من المدر جمع مدرة وهى قطعة الطين . والعرب تسمى القرية مدرة .

(٢) بيوت الشعر : خيام نسجت من شعر كما تنسج من صوف .

والأرض تغلى من الأعماق .. تعيش فى قلق دائم .. تجيش بداخلها حركة مستمرة حائرة .. ويزيد عليها الضغط .. يشتد ويقوى .. فتئن وتتحرك .. تتلوى وتتألم .. فتجمع مقدارا هائلا من الطاقة .. تصل إلى أعماق الأعماق .. تتمنى لو تصرخ وتقول : كفاكم .. لم أعد أحتمل .. كفاكم ظلماً وفساداً .. سئمت الحياة .. سئمت وجودكم ، تود الأرض لو تقذف بهمومها وأحزانها .. وتستريح .. تستريح من عناء الوجود .. وتموت .

إلهى ! هاهى ذى الأرض وقد ثارت .. أصيبت بحالة انهيار حادة .. جمعت كل قواها وطاقتها وانفجرت .. انفجرت باكية صارخة بأعلى صوت .. ثم ارتعدت وارتجفت من هول مافعلت .. انطلقت منها البراكين .. شديدة حامية متتابعة .. أحدثت زلازل هائلة مروعة .. واهتزت الأرض بكل كيانها .. فنسفت بلاداً وبلاداً .. صرعت آلاف وملايين من البشر ومن غير البشر . هذا حال الدنيا فى اخر الزمان .. سيول من الأمطار الجارفة .. كوارث من الصواعق والبراكين والزلازل المدمرة المتتالية .. أجل .. لقد وقع ذلك بالفعل منذ بدء الخلق وإلى الآن وسيستمر حتى يصل إلى ذروته ويشتد بشكل مروع لا مثيل له فى آخر الزمان .

وصدق رسول الله ﷺ حين قال عن الساعة : «إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات : الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاث خسوف .. خسف بالمشرق .. وخسف بالمغرب .. وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من قبل عدن تطرد الناس إلى محشرهم» .

هكذا يمتد خسف ودمار العالم إلى جميع أنحاء الأرض من مشرقها إلى مغربها عن طريق الزلازل والبراكين والصواعق التى يسلطها الله تعالى على الكون حين يشتد غضبه على من يعيثون فيه فسادا .. أما خسف جزيرة العرب فلعله خسف من نوع آخر .. يعقب هدم الكعبة وخلع قواعدها العتيقة الممتدة إلى سابع أرض .. حيث يشتد غضب الله تعالى وينسف جزيرة العرب بأكملها

إيذانا بفناء العالم كله .. وقد ذكر عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :

«يغزو جيش الكعبة ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم» .

هل هذا هو المقصود بخسف آخر الزمان ؟ الله أعلم .

الآن .. وبعد أن أشرنا إلى علامات الساعة التى لابد واقعة قبل فناء العالم كما وردت كلها بالعديد من الأحاديث الشريفة ، وكما ورد بعضها بالقرآن الكريم ، نقول : إنه لا يعلم ترتيب وقوعها إلا الله ، ولكن من المؤكد أن آخرها النار التى تسوق الناس إلى محشرهم لأن ذلك ورد بالحديث السابق ذكره على لسان الصادق عليه الصلاة والسلام حيث ذكر علامات الساعة دون الإشارة إلى ترتيب حدوثها وفى النهاية قال : (... وآخر ذلك نار تخرج من قبل عدن تطرد الناس إلى محشرهم) .

قبل التحدث عن نار المحشر .. لى تأمل فى تلك الأرض التى تضطرم فى باطنها نار تتأجج فتنطلق البراكين وتحدث الهزات الأرضية .

أتعلم ماذا قيل عنها ؟ قيل : إن جهنم فى الأرض ، وإن البحر غطاء جهنم .

كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول فى قوله تعالى (وإذا البحار سجرت) أى أوقدت فصارت ناراً والله تعالى أعلم .

. ومن المحتمل أن تكون نار جهنم غير النار الموجودة فى قعور البحار ، وهذا أمر فى علم الله وكل مايعنينا فى ذلك هو الوصول إلى فكرة معينة وهى أن درجة الحرارة فى باطن الأرض مهما بلغت من ارتفاع فى الدنيا فإنها لن تصل إلى درجة حرارة نار جهنم الأبدية فى الآخرة سواء كانت هى فعلا نار جهنم أم لا ، وبالرغم من هذا أتدرى كم تبلغ درجة حرارة باطن الأرض التى تعيش على سطحها الآن ؟ .

تشبيه نار جهنم بباطن الأرض :

قد يشتد الحر فى بعض أيام الصيف وترتفع درجة الحرارة إلى ٤٠م .. فيضيق بها الانسان .. ويشبه ذلك الحر بنار جهنم .

إليك أيها الانسان الذى يعيش فوق القشرة الأرضية ، ويتذمر من درجة حرارة ٤٠ درجة مئوية !.. إليك درجات الحرارة فى طبقات الأرض المختلفة .. وإليك مدى عمق تلك الأرض التى قد تكون دار الخلود لكثيرين من الإنس والجان .. والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

الأرض عبارة عن القشرة .. تحتها الغلاف . ثم النواة ، والقشرة هى القسم السطحى للأرض الذى نعيش عليه ، سمكه يتراوح بين ٥ و ٥٠ كلم ، أما درجة الحرارة فى تلك القشرة فترتفع بنسبة تعمقنا فيها بمعدل ٣٠ْ م تقريبا للكيلو متر الواحد أى ٣ْ م كل ١٠٠متر ، أما لو تعمقنا إلى الغلاف والعياذ بالله فهو يمتد تحت القشرة على عمق يبلغ ٢٩٠٠ كلم تقريبا ، وبين القشرة والغلاف تقع صخور ذائبة وممتزجة بغازات على درجة عالية من الضغط ، وتكون مصدرا للنشاط البركانى ، فعند حدوث شقوق أو تصدع فى القشرة تجد الغازات والصخور الملتهبة طريقها إلى الانطلاق صعودا حتى السطح ، أتدرى كم تكون درجة الحرارة بغلاف الأرض ؟ إنها تتراوح مابين ١٢٠٠ْ م بالقسم العلوى منها و ٥٥٠٠ْ م كلما تعمقنا إلى أسفل . أما النواة الخارجية فسمكها يصل إلى ٢٢٠٠ كلم والنواه الداخلية أو البؤرة يبلغ شعاعها قرابة ١٢٠٠كلم ، ودرجة الحرارة فى تلك النواة حوالى ٤٥٠٠ْم .

اجمع كل تلك الأعماق وأضف إليها عمق البحر واعرف أن عمق نار جهنم لن يقل عن ذلك .. هذا مجرد تشبيه بسيط لنار جهنم من خلال الأرض التى نعيش على سطحها ونحن لا ندرى ماذا تحوى فى باطنها ولا ماذا يحدث بداخلها .

إنه تصور طفيف لنار جهنم ومدى شدة حرارتها وعمقها ، أما نار جهنم الحقيقية ومكانها وعمقها ودرجة حرارتها وكيفية الحياة الأبدية فيها فلا يستطيع أن يتخيله بشر ، وإنما علمه عند الله وحده لا شريك له* .



* مراجع هذا الجزء : الموسوعة العالمية ، النهاية . ابن كثير ، التذكرة ــ القرطبى ، القيامة رأى العين ــ محمد محمود الصواف ، أشراط الساعة واسرارها ــ محمد سلامة جبر .

الإنسان قطرة فى بحر عالم كبير لكن ..

سبق وقلنا ومازلنا نكرر ماثبت فى الصحيح : (أن الله لم يخلق داء إلا أنزل له شفاء) . تلك حقيقة واقعية ملموسة سواء على مستوى العالم ككل أو على مستوى الإنسان كفرد .. الإنسان الذى يمثل قطرة صغيرة فى بحر عالم كبير .. وعمره إنما هو أقل من لحظة إذا ما قورن بعمر الدنيا .. وعمر تلك الدنيا الزائلة كله لا يساوى شيئا إذا ماقيس بعمر العالم الآخر الأبدى .

تأمل نفسك .. بالرغم من أنك مجرد قطرة فى بحر كبير .. إلا أنك مخلوق عظيم .. خلقك البصير العليم .. الخبير الحكيم الذى لم ولن يخلق ذرة هباء .. فما بالك أنت .. وأنت أعظم مخلوقاته .. أنت الإنسان الذى فضله عن سائر المخلوقات ليكون خليفة له فى الأرض .

وبالرغم من أن عمرك لا يعادل ولو لحظة من عمر البشرية كلها .. إلا أنه يعنى الكثير سواء بالنسبة للدنيا التى أتيت إليها بحكمة جبارة من خالقك العظيم ، أو بالنسبة لك أنت كفرد لأنه عمرك أنت ، وحياتك كلها التى تعيشها وعلى أساسها تنتقل فيما بعد إلى دار الخلود ، إما للنعيم الأبدى أو الجحيم الأبدى .

فالإنسان هو روح ذلك الوجود .. بوجود الكون وتوافر أسباب الحياة فيه يتواجد الانسان .. بوجود الإنسان وصلاحه يعمر الكون .. بفساده يَفنى ويُفنى معه الكون .. فتنتهى أسباب الحياة وتزول الدنيا بأسرها لينتقل مَنْ عليها إلى عالم آخر أبدى .. إما فى الجنة أو فى النار .. والانتقال إلى العالم الآخر سواء فى الجنة أو النار ليس بالأمر السهل وإنما يقتضى عدالة إلٰهية جبارة ، وكى تسود تلك العدالة لابد من إجراء اختبارات عديدة .. تلك الاختبارات هى المواقف التى يوضع فيها الإنسان ، وبمعنى آخر هى الفتن التى تعترض البشرية .

الداء والشفاء على مستوى الإنسان كفرد

لولا تلك الفتن .. ولولا السيد إبليس ! لفتحت أبواب الجنة لكل الناس على السواء .. القوى المجتهد منهم والضعيف الكسول لأن الانسان بالفطرة إنما جُبل على الخير ، وهو قادر بإرادته واجتهاده وبعون الله تعالى أن يتغلب على شيطانه[1] وينمى ذلك الخير بداخله ، أما لو ضعف واستسلم لشيطانه ولم يلجأ إلى الله القادر المهيمن ، فإنه يهلك تدريجيا ، وإن استمر على الاستسلام ولم يراجع نفسه لابد وأن يصل إلى ذروة الهلاك حتى يقتل الفطرة الحلوة الكامنة بأعماقه ويحل محلها الشر والجحود .

فالفرق بين إنسان وآخر هو الفرق بين المجتهد والكسول ، والمسألة ببساطة شبيهة بما يحدث فى الحياة الدنيا حيث لا يستطيع الانسان الوصول إلى مايريد إلا بعد اجتهاد واجتياز عدة اختبارات .. فالمفروض أن الإنسان لا يمكنه الصعود إلى مرحلة دراسية أو الحصول على وظيفة أو مركز مرموق وما إلى ذلك الا بعد اجتياز عدة اختبارات مختلفة .. هذا هو قانون الحياة الدنيا ببساطة .. من جَدَّ وَجَد .. فما بال الحياة الآخرة الأبدية وما بال الجنة وعلو شأنها وشأن من يدخلها ! كيف الوصول إليها ؟ هى أيضا تخضع لقانون من جد وجد ولكن بدقة أكثر وعمق بالغ لأن الممتحن والمصحح والحاكم الآمر هنا هو الملك القدوس المهيمن .. هو الله .

فمن عدالة السماء أن تضع الصعاب أمام البشر حتى تبرز الخير المتدفق فى روح الانسان الطيب ، وترفعه إلى منزلة أعلى فى قلوب الآخرين وعند التواب العليم ، فتجعله جديرا بالجنة ، كما تفجر الشر الكامن من نفس الخبيث ، وتحط من قدره أمام الآخرين وعند القهار الحكيم فتجعله جديرا بالنار ! وامتحانات الله تعالى للانسان هى نفسها المحن والصعاب التى تعترض طريقه فى الحياة .

(١) شيطانه : قرينه من شياطين الجن الذى يحاول قيادته إلى الشر عن طريق الوسوسة التى قد لايفطن إليها الانسان .

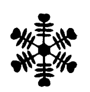
فالحياة بدون محن واختبارات هى ظلم للطيب وأمن للخبيث .. وعلى سبيل المثال : تخيل نفسك وأنت تعرف إنسانا ما على مدى سنوات عديدة .. الحياة بينكما ممهدة لا تعترضها الصعاب .. والحقيقة أنك لا تدرى أنك لا تعرفه مهما طال بكما الزمن إلا لو حدثت بينكما مواقف عدة .. أو موقف كبير حاسم وياحبذا لو كانت هناك مصلحة مشتركة بينكما .. هنا فقط تتكشف لك حقيقة هذا الإنسان .. من المؤكد أن كلا منكما سوف يتخذ موقفا معينا .. ومن خلال ذلك الموقف تستطيع الحكم على ذلك الشخص .. فإما أن تتقرب اليه حبا وتقديرا .. أو تبتعد عنه كرها وازدراء .. هذا يتوقف على موقفه إزاء المحنة .. وكيفية تَخَطِّيه للصعاب .

وهكذا نرى أن الصعاب التى تعترض حياة الإنسان هى فرصة ثمينة ليستطيع من خلالها استغلال قدراته وإثبات ذاته حتى تنتهى تلك الصعاب ويحل محلها الراحة والسعادة التى تعتبر فى حد ذاتها اختباراً من نوع آخر . والعكس صحيح . ولأن الله تعالى يعرف قدرات الإنسان المحدودة فإنه كما خلق الداء أنزل له الشفاء ، فما من مشكلة فى الدنيا إلا ولها حل .. وهذه هى الرحمة بعينها .

عد إلى الوراء .. ارجع بذاكرتك عبر سنوات مضت من عمرك .. ماذا ترى ؟

حياتك فى الدنيا ليست سعادة دائمة .. وليست شقاءاً مستمرّاً ! .. بل هى خليط بينهما .. لاتستطيع الحصول على كل ماتريد إنما تحصل على بعض ماتريد .. حياتك سلسلة ومزيج من الفشل والنجاح فى كل شىء .. تحفها المشكلات بكافة أنواعها والتى تختلف من إنسان إلى آخر لكن حلولها موجودة .. بها الصحة وبها المرض وعلاجه موجود .. فيها الموت وخلق معه الإيمان والصبر .. خلق الفقر وخلق معه العقل والعمل .. وجد الغدر لكن الوفاء موجود .. إحساسك بصعوبات الحياة هو الذى يعمق إحساسك بسعادتها فيما بعد .

الدنيا مليئة .. مليئة بالخير والشر .. بالمسرات والمضرات .. المهم نظرتك أنت إليها .. ومواقفك خلالها .. لا تحزن على مافاتك فيها .. بل قل : قدر الله وماشاء فعل .. وابدأ من جديد .. تعلم من تجاربك .. واحذر فيما بقى من عمرك .. لا تطلب من الدنيا أن تصير لك جنة .. واعلم أن الحياةاختبارات ومواقف .. والإنسان العاقل هو من يستطيع اجتياز تلك الاختبارات بتفوق .. الإنسان العاقل هو من يخرج من الدنيا منطلقا إلى سعادة أبدية دائمة فى العالم الآخر .. فى جنة الخلد الحقيقية .



الداء والشفاء على مستوى البشرية ككل

سبق وتحدثنا عن الفتن وضرورة وجودها فى الحياة ، ووجود هدنة عقب كل فتنة .. تلك الهدنة التى تعتبر فى حد ذاتها امتحانا من نوع آخر ، وذكرنا علامات الساعة وهى حق لا ريب فيه لأنها وردت كلها على لسان الصادق .. أحمد عليه الصلاة والسلام .. كما ورد بعضها بالقرآن العظيم .. والمؤمن يصدق الأحاديث الشريفة الصحيحة كما يصدق القرآن الكريم .. وإنما ترتيب وقوع بعض مالم يقع منها بعد هو ماحدث فيه الخلاف لأنه لم يرد صريحا بقرآن أو سنة .. وهنا فقط يصح الاجتهاد والاختلاف فى الرأى .. ولنتأمل تلك العلامات الكبرى التى لم تقع بعد .. ولنتأمل من خلالها مدى رحمة الله تعالى بالبشر .

تعيش البشرية فى صراع دائم بين إبليس وآدم .. بين الشر والخير .. وفى لحظة .. يسود الفساد ويطغى الظلم .. تختفى المعانى الحلوة .. وتضيع .. كل هذا والبشرية فى عناء مستمر حتى تكاد تفقد قدرتها على المقاومة .. وهنا يشع نور الرحمة الإلهية .. ويظهر المهدى المنتظر .. فيعم الخير .. وتسترد البشرية جمالها المفقود .. تستريح وتهدأ حتى تتهيأ للامتحان الأصعب .. فيخرج الدجال بفتنه الرهيبة .. أتعتقد أن فتن الدجال شر ؟ لا .. هى شر فى ظاهرها إنما فى حقيقتها خير .. أتدرى كيف ؟

قد تتخيل فى نفسك أنك تعرف تماما من أنت بالتحديد وماتريد .. لكن لو تعمقت فى حقيقة ذاتك وحقيقة مشاعرك لاكتشفت أنك لاتعرفها بقدر مايعرفها خالقك وموجدك .

ويؤكد ذلك مارواه أحمد عن أبى رزين العقيلى أنه سأل عبد الله عليه الصلاة والسلام عدة أسئلة وهو يجيب وكان آخرها أنه قال : يارسول الله كيف لى بأن أعلم أنى مؤمن ؟ قال : (ما من أمتى (أو هذه الأمة) عبد

يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن الله جازيه بها خيرا ، ولا يعمل سيئة فيعلم أنها سيئة ويستغفر الله منها ، ويعلم أنه لا يغفر إلا وهو مؤمن) .

فقد يتصور إنسان فى نفسه أنه قوى الإيمان وأنه قادر على مواجهة الدجال .. وبمجرد حدوث تلك المواجهة .. يفتن به وينهار إيمانه فيكفر والعياذ بالله .. كيف ؟

هذا الإنسان فى حقيقته ليس بمؤمن بالرغم من أنه قد يؤدى فرائض الله معتقداً أن هذا هو الإيمان بعينه وانتهى الموضوع .. لكن الإحساس الفطرى بوجود الله وحب الله لم يعد له وجود حقيقى فى أعماقه ، وهو نفسه لا يعلم ذلك إنما يعلمه الله .. وعند مواجهة الموقف العصيب .. تنكشف الحقيقة .

وبالعكس قد تجد إنسانا آخر يبدو فى ظاهره وكأنه ضعيف الإيمان وعند مواجهته للدجال .. يتحرك الإحساس الفطرى الكامن بالأعماق .. فيرفض الدجال .. وينفى فكرة ألوهيته .. ويلجأ إلى الإله الحقيقى مقيما لفرائضه .. لائذا مستنجدا به .. وهذا الإنسان لم يكن ليعرف ذلك فى نفسه إنما يعرفه الله .. وعند مواجهته للموقف العصيب تتكشف حقيقته .. ويكون ذلك خيرا له مهما وجد من صعاب فى الدنيا تجاه موقفه هذا وبقدر معاناته بقدر ما يضاعف الله له حسناته ويحسن ثوابه فى الآخرة .

فالدجال لا يستطيع أن يفتن من كان فى قلبه ذرة من إيمان ، والمؤمن الحقيقى هو من يقيم فرائض الله تعالى مع شعور ويقين تام بوجوده وحب حقيقى صافٍ لذاته سبحانه وتعالى . وأذكر فى هذا الصدد ماورد فى الصحيح أن رجلا من الأعراب سأل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال : «إنها كائنة فما أعددت لها ؟ فقال الرجل : يارسول الله لم أعد لها كثير صلاة ، ولا عمل ، ولكننى أحب الله ورسوله . فقال : «أنت مع من أحببت» .

فما فرح المسلمون بشىء بقدر فرحهم بهذا الحديث .

تسود البشرية فترة عصيبة إلى أبعد الحدود أيام الدجال .. حتى تصير على أبواب الانهيار .. وفجأة .. تهبط الرحمة من السماء .. وينزل عيسى عليه

السلام بالهدى والأمان .. يقتل الدجال .. وتعم فترة من الخير تلتقط فيها البشرية أنفاسها استعدادا للأهوال القادمة .. فيخرج يأجوج ومأجوج .. يعبثون فى الأرض فسادا .. ولا طاقة لأحد على قتالهم .. بدعوة خالصة من عيسى عليه السلام لرب العالمين .. يموتون أجمعين .. وتستعيد البشرية حياتها وجمالها من جديد .. إلى أن يموت عيسى عليه السلام .

تلك العلامات ستقع بإذن الله تعالى متتابعة هكذا كما ورد بالأحاديث الشريفة التى ذكرناها مسبقا .. يظهر الدجال ثم ينزل عيسى ليقتله ويخرج يأجوج ومأجوج ثم يموتون وتعم فترة خير وسلام حتى يموت عيسى .

وهنا ورد تساؤل : هل طلوع الشمس من مغربها يسبق تلك الأحداث أم يعقبها ؟ الإجابة أنه بمجرد طلوع الشمس من مغربها يغلق باب التوبة إلى حين قيام الساعة . وبالتالى فهى تلى هذه الأحداث المتتابعة ، وإلا مامعنى وجود فتنة واختبار أيام الدجال ، وما معنى هبوط عيسى بالهداية وأبواب التوبة مغلقة ؟!

بعد وفاة عيسى عليه السلام .. ينسى الناس ويبدأ العلم والمعانى الحلوة فى الاختفاء من جديد .. ورحمة بالمؤمنين من الانقياد إلى تيار الشر .. يظهر اليقين وتطلع الشمس من مغربها .. فيغلق باب التوبة .. ثم تخرج دابة الأرض بعد ذلك مباشرة وتختم الأعمال . واختلف بعض العلماء حول طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض أيهما يسبق الآخر ؟ والرأى الراجح والله أعلم أنه بطلوع الشمس من مغربها يغلق باب التوبة ، أما بخروج دابة الأرض تختم الأعمال نهائيا .. فكيف تختم الأعمال والتوبة مازالت مقبولة ؟! وبمعنى آخر كيف تخرج الدابة لتميز المؤمن من الكافر قبل إغلاق باب التوبة أى قبل ظهور آية الشمس ؟!

يستمر الفساد فى الأرض ، وعقابا للمفسدين تأتى السماء بدخان مبين .. شديد مهول .. يملأ الدنيا كلها ما بين السماء والأرض .. فيصيب الكافر بإصابات عسيرة لا مثيل لها ، أما المؤمن فيصيبه بمجرد زكام ، وهذا يدل على وجود المؤمنين وقتئذ وبالتالى فإن الريح الطيبة تكون بعد الدخان .

وإتيان السماء بدخان شديد فى آخر الزمان قد يشير الى اختلال ما فى نظام الكون العلوى على أساس أن السماء أصلها دخان حيث قال تعالى : ﴿ثم استوى الى السمء وهى دخان﴾ . وقد ثبت أن أول الآيات المؤذنة باختلال الكون العلوى هو آية الشمس ويليها مباشرة خروج الدابة التى تعتبر مكملة لها ، وبالتالى يكون الدخان بعد ذلك .

يعيش المؤمنون وقتذاك فى عناء مستمر من الظلم والطغيان السائد على وجه الأرض .

وقد روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : «كيف بكم ، وبزمان أو يوشك أن يأتى زمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم ، واختلفوا فكانوا هكذا» وشبك بين أصابعه ، قالوا : كيف بنا يارسول الله ؟ قال : (تأخذون بما تعرفون ، وتدعون ماتنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم ، وتدعون أمر عامتكم) .

هذا هو حال الناس فى آخر الزمان .. قلة مؤمنة فى وسط كثرة كافرة ظالمة .. فيكون العلاج لذلك الداء هو ريح طيبة تقبض أرواح المؤمنين . وأعتقد — والله أعلم — أن الريح الطيبة بعد آية الشمس التى يغلق بها باب التوبة ، وبعد خروج الدابة التى تختم الأعمال وتميز المؤمن من الكافر وهذا يدل على وجود المؤمن وقتئذ ، ولكن بعد إغلاق باب التوبة وختم الأعمال لم يعد هناك مبرر لوجود المؤمنين فى عذاب مستمر فى وسط عالم فاسد ، خاصة وأن أعمالهم الطيبة سوف لا تنفعهم بعد ذلك ، فتقتضى الرحمة الإلهية موت من يبقى فى قلبه مثقال ذرة من إيمان .

وبناء على هذا يصح القول بأن الريح بعد موت عيسى عليه السلام ، لأن موته هو انتهاء آخر أشراط الساعة الدنيوية التى تقبل خلالها توبة تائب وإيمان كافر ، بعد ذلك تطلع الشمس من مغربها ويغلق باب التوبة ، فتكون تلك هى أول العلامات الدالة على حدوث خلل فى نظام الكون العلوى إيذانا لقيام الساعة بسبب غضب الله تعالى على أهل الأرض .. وبعد آية الشمس تتتابع سائر العلامات سريعا .. سريعا حتى يفنى العالم .

وقيل : إنها ريح واخدة تخرج من اليمن والشام وتنتشر فى سائر بقاع الأرض ، كما قيل : إنهما ريحان . ولم يرد نص صريح بالقرآن أو السنة بشأن هذا وبالتالى فإن الاسترسال فى مثل تلك الأمور لا يجدى لأن العلم عند الله وحده ، ومايعنينا هو أن الريح تقبض أرواح المؤمنين حتى تقوم الساعة على شرار الناس . وهذا لا ينافى ماقاله محمد عليه الصلاة والسلام .

كل هذا والعلم فى ارتفاع مستمر عبر الزمن إلى أن يرتفع نهائيا عند آخر آخر الزمان .

وأعتقد أن رفع القرآن والخير كلية من على وجه الأرض إنما يكون بعد موت المؤمنين لأنه طالما وجد الايمان ولو بنسبة ضئيلة إذاً فالخير والعلم مازال لهما وجود .

آن الأوان للكلام عن الحبيبة الغالية .. الكعبة .

اختلف العلماء حول موعد هدمها .. أذكر منهم على سبيل المثال كعب الأحبار حين روى قصة يأجوج ومأجوج ثم تحدث عن البركة التى تعم الناس فى زمن عيسى عليه السلام بعد موت يأجوج ومأجوج ثم قال : فبينما الناس كذلك إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده قال فيبعث عيسى بن مريم طليعة سبعمائة أو بين السبعمائة والثمانمائة حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة فيقبض فيها روح كل مؤمن ثم يبقى عجاج الناس ..)

ثم ذكر أن الساعة تقوم على شرار هؤلاء الناس . ثم قال كعب : (فمن قال بعد قولى هذا شيئا أو بعد علمى هذا شيئا فهو المتكلف) .

وأثنى ابن كثير على سياق كعب فأشار إلى أنه أحسن سياقات كعب الأحبار لما شهد له من صحيح الأخبار . ثم ذكر أنه ثبت فى الحديث أن عيسى ابن مريم يحج البيت العتيق .

فقد روى الإمام أحمد عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : «ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج» .

وبناء على هذا رجح ابن كثير أن ذا السويقتين يظهر فى زمن عيسى عليه السلام ، لكن خراب الكعبة لا يكون إلا بعد موته ، وصلاة المسلمين عليه ودفنه بالحجرة النبوية مع رسول الله ﷺ .

والآراء كثيرة فى هذا الموضوع ، ولكنى أرجح والله أعلم أن الكعبة التى يمتد أصلها إلى ماقبل خلق الكون ليس من السهل أن تهدم ، ويظل الكون بعدها فترة ما من الزمن خاصة وأنه قد قيل عنها : إنها المركز الذى من عنده دُحِيَت الأرض ، وأن قواعدها ممتدة إلى سابع أرض ، وحين حاول رجل من قريش خلع حجر أساسها لم يستطعَ بل انتفضت مكة بأسرها . فَتركَ الأساس على حاله وبَدَأَ البناء من فوقه .

وهذا يدل — والله أعلم — أن هدم الكعبة بقواعدها معناه اهتزاز الأرض بأسرها (لأنها المركز) ويكون ذلك إيذانا بهدم الكون وقيام الساعة ، ولذلك رَجَّحْت شدة البراكين والزلازل والصواعق المروعة المتتالية بصفة مستمرة بعد هدم الكعبة مباشرة حيث تخرج النار بعد ذلك لتحشر شرار المخلوقات الكائنة على وجه الأرض إلى محشرهم ، حيث يجتمعون فى مكان واحد لايعلمه بالتحديد إلا الله ، وعليهم تقوم الساعة فتروعهم أهوالها العظمى .

والساعة هى ساعة النفخ فى الصور .. والنفخ فى الصور كما ورد بالأحاديث الشريفة ثلاث نفخات .. نفخة الفزع ثم تطول حتى تليها نفخة الصعق حيث يصعق الكون بكل ما ومن عليه ويشاهد الناس تلك اللحظة بكل مافيها من تكوير للشمس وتساقط سائر النجوم والقمر وسائر الكواكب على الأرض وفى البحر ومايتبع ذلك من تسجيره واحتراقه نارا وما إلى ذلك من أهوال الساعة المروعة التى لاتقع إلا على شرار شرار المخلوقات من الإنس والجان وغيرهم .. يستمر ذلك إلى أن ينتهى صعق الكون كله بما ومن عليه بمخلوقات الأرض والسماء ثم يطوى الله السماوات والأرض كطى السجل[1] للكتب[2] .

---

(١) السجل : الصحيفة التى يكتب فيها .
(٢) للكتب : على ماكتب فى السجل .

وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (يقبض الله الأرض ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الجبار ، أين ملوك الأرض ، أين الجبارون ، أين المتكبرون) .

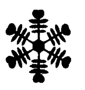
وقال تعالى فى سورة الزمر (آية ٦٧، ٦٨) (وما قدروا الله[١] حق قدره والأرض جميعا قبضته[٢] يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه[٣] سبحانه وتعالى عما يشركون ، ونفخ فى الصور[٤] فَصَعِقَ[٥] من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) .

وبعد النهاية يبدل الله سبحانه وتعالى الأرض غير الأرض والسماء غير السماء ، وتكون النفخة الأخيرة وهى نفخة البعث والقيام حيث يبعث الله تعالى مخلوقاته بنشأة جديدة فى كون جديد لا يعلمه إلا هو .. وحده لا شريك له . قال تعالى : (يوم تبدل الأرض غير الأرض ؛ والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) .

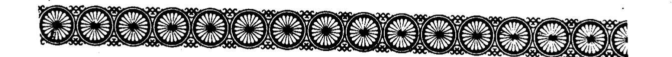
وتلك النفخات الثلاث عند العلى القدير إنما تعتبر نفخة واحدة نظرا للقرب المتناهى بينها إذا ماقيس بمقاييس الآخرة .. مقاييسه هو سبحانه وتعالى .. ولذا فقد سميت عنده عز وجل بيوم القيامة أو الساعة أو الحاقّة أو الواقعة وما إلى ذلك من مسميات ذلك اليوم العصيب الذى يبدأ بنفخة الفزع وينتهى بانتهاء يوم القيامة وما يؤكد ذلك قوله تعالى : (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر[٦] أو هو أقرب) (النحل — ٧٧) وقال أيضا : (فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة[٧] ، وحملت الأرض [٨] والجبال فدكتا [٩] دكة واحدة ، فيومئذ

(١) ماقدروا الله : ماعرفوه . أو ماعَظَّمُوه .
(٢) قبضته : ملكه وفى مقدوره وتصرفه
(٣) مطويات بيمنيه : بقدرته كطى السجل للكتب .
(٤) الصور : القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل .
(٥) فصعق : مات وهى النفخة الأولى .
(٦) كلمح البصر : كخطفة بالبصر واختلاس بالنظر .
(٧) نفخة واحدة : النفخة الأولى لخراب العالم .
(٨) حملت الأرض : رفعت من أماكنها بأمرنا .
(٩) فدكتا : فدقتا وكُسِّرَتَا . أو فسويتا .

وقعت الواقعة [1] ، وانشقت السماء [2] فهى يومئذ واهية [3] والملك على أرجائها [4] ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون [5] لاتخفى منكم خافية) (الحاقه ــ ١٣ : ١٨) .



(١) وقعت الواقعة : قامت القيامة .
(٢) انشقت السماء : تَفَطَّرَتْ وتصدعت من الهول .
(٣) واهية : ضعيفة متداعية بعد الإحكام .
(٤) على أرجائها : جوانبها وأطرافها .
(٥) يومئذ تعرضون : بعد النفخة الثانية للحساب والجزاء .



ثالثا : قيام الساعة
تأملات فى الكون من خلال علم الله وحكمته

أشرنا فيما سبق إلى علامات الساعة وإلى فناء الكون بأسره وقت قيام الساعة ، وبقى تساؤل : كيف يفنى الكون ؟ وحتى نستطيع الإجابة على ذلك لابد وأن نعرف أولا كيف خلق الكون ؟ والإجابة عن هذا السؤال وغيره من التساؤلات العديدة التى تطرأ بأذهاننا موجودة بكتاب الله العظيم .

وباختصار شديد نذكر بعض ماورد بالقرآن الكريم بخصوص هذا الموضوع :

قال تعالى فى سورة هود (وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم[1] أيكم أحسن عملا[2]) (بعض الآية رقم ٧) .

وفى صحيحى مسلم والبخارى ورد حديث بألفاظ كثيرة منها : أن الناس سألوا رسول الله ﷺ قالوا : أخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان ؟

قال : (كان الله قبل كل شىء ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى اللوح المحفوظ ذكر كل شىء) .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ :

(إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء) .

(١) ليبلوكم : ليختبركم وهو أعلم بأمركم .
(٢) أحسن عملا : أطوع لله وأورع عن محارمه .

قال العلماء — والعلم عند الله — انه لما أراد تعالى آن يخلق الخلق أيبس الماء وجعله شيئا واحداً .. خلق الأرض وقدر أقواتها .. ثم تصاعد كثير من بخار الماء .. فثار منها دخان .. ارتفع فوقها وسما عليها .. فسماه الله سماء ، ثم فصل عز وجل بين السماء والأرض بالهواء .

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا[1] ففتقناهما[2] وجعلنا من الماء كل شيء حي[3] أفلا يؤمنون[4]﴾

فالماء هو أصل الوجود .. خلق منه كل شيء حي .. كما خلق منه كل شيء مسبب للحياة .. خلق منه الكون ومن عليه والله أعلم ، ثم استوى رب العرش إلى السماء وهي دخان وفتق السماء إلى سبع سموات وخلق في كل سماء خلقها وزين السماء الدنيا بالكواكب كما فتق الأرض أيضا وجعلها سبع أرضين . ويفسر عز وجل ذلك في سورة فصلت آية ١١ ، ١٢ : ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان[5] فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أوكرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ .

ثم دحيت الأرض .. ففجرت كل ماكان مودعا فيها .. فأخرج منها الماء ، وشقق فيها الانهار ، وجعل فيها الرمال والجبال والطرق .. فبسطت واتسعت وصارت ممهدة لسكنى أهلها .. وأمطرت السماء فأنبتت الأرض ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضره﴾ (الحج — ٦٣) .

وقال تعالى في سورة النازعات آية ٣٠ : ٣٣ **﴿والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعا لكم ولأنعامكم﴾** .

---

(١) كانتا رتقا : كانتا ملتصقتين بلا فصل .

(٢) ففتقناهما : ففصلنا بينهما بالهواء .

(٣) وجعلنا من الماء كل شيء حي : أي الماء أصل كل الأحياء ومنه خلق كل شيء نام حيوانا أو نباتا .

(٤) الانبياء — ٣٠ .

(٥) وهي دخان ، وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض .

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : (لما خلق الله الأرض جعلت تميد[1] فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت ...) .

فحين خلقت الأرض .. جعلت تضطرب ولا تثبت .. فأرساها عز وجل وثبتها وثقلها بجبال كى لا تميد بالناس ، وقد ثبت فيما بعد أن السلاسل الجبلية تنعرز جذورها فى طبقات الأرض السفلى ، أتدرى أى الطبقات ؟ بالغلاف .

تصور تلك الأرض كلها .. أرض العالم كله .. انفجرت منها براكين هائلة فى آن واحد .. فزلزلت الأرض وخلعت هذى الجبال بأكملها من جذورها ونسفتها نسفا .. ماذا يحدث للأرض بعد ذلك ؟ أيمكنها الاستقرار بأهلها ؟

قال تعالى فى سورة الأنبياء — ٣١ :٣٣ ﴿**وجعلنا فى الأرض رواسى[2] أن تميد بهم[3] وجعلنا فيها فجاجا سبلا[4] لعلهم يهتدون ، وجعلنا السماء سقفا محفوظا[5] وهم عن آياتها معرضون ، وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل[6] فى فلك يسبحون[7]**﴾ .

كما قال ايضا فى سورة الرعد ﴿ **والله الذى رفع السموات بغير عمد[8] ترونها ثم استوى على العرش[9] وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر[10] الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون**﴾ .

فالكون فى حالة دوران مستمر .. الأرض تدور حول الشمس .. والقمر يدور حول الأرض ولكن بشكل أسرع بكثير من دوران الأرض .. حتى

(١) تميد : تضطرب ولا تثبت .
(٢) رواسى : جبالا ثوابت .
(٣) أن تميد بهم : لئلا تضطرب بهم فلا تثبت .
(٤) فجاجا سبلا : طرقا واسعة مسلوكة بين الجبال .
(٥) سقفا محفوظا : مصونا من الوقوع أو التغير .
(٦) كلٌ : من الشمس والقمر .
(٧) فى فلك يسبحون : يدورون أو يجرون فى فلك السماء .
(٨) بغير عمد : بغير دعائم وأساطين تقيمها .
(٩) استوى على العرش : استواء يليق به سبحانه .
(١٠) يدبر الأمر : يصرف العوالم كلها بقدرته وحكمته .

الشمس .. الشمس التى قيل عنها فيما مضى انها تبقى ثابتة وسط مجموعة السيارات .. تبين من خلال دراسة تنقلات البقع الشمسية المظلمة الموجودة بها أنها تدور هى أيضا على ذاتها . ﴿**والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ (يس ــ ٣٨) .

قال عز وجل فى سورة إبراهيم ــ ٣٣ (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين[١] وسخر لكم الليل والنهار) .

وهكذا يتعاقب الليل والنهار .. تمر الأيام والأسابيع .. وتمضى الشهور والأعوام . ولنتأمل سويا مارواه الإمام أحمد عن أبى هريرة حين قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كإحراق السعفة) .

لوعدنا إلى الماضى البعيد لوجدنا أن الأعمار كانت طويلة ، والأيام أيضا كانت طويلة ، ورويدا .. رويداً بدأت سلالة آدم تضعف .. قصرت الأعمار ، وقصرت معها الأيام . ترى ! مامعنى هذا ؟! وما المراد بالحديث الشريف ؟! أيعنى سرعة دوران الكون حتى يتعاقب الليل والنهار بصفة أسرع ؟! ومتى يحدث ذلك بصفة واضحة جلية ؟! أبعد طلوع الشمس من مغربها وبدء اختلال نظام الكون ؟! العلم عند الله . (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل[٢] لتعلموا عدد السنين والحساب) (يونس جزء من آية ٥) اقرأ معى الآيات الكريمة الآتية ، علّنا نعرف لماذا ميز الله ضوء الشمس عن نور القمر وعبر عن الأول بالسراج والآخر بالنور ؟ .

﴿**ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا[٣] ، وجعل القمر فيهن نورا[٤] وجعل الشمس سراجا[٥]**﴾ . (نوح ــ ١٥ ، ١٦) . ﴿**تبارك الذى**

(١) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين : يسيران لا يفتران ليلا ولا نهارا ، دائمين فى منافعهما لكم .
(٢) قدره منازل : صير القمر ذا منازل يسير فيها .
(٣) سماوات طباقا : كل سماء مُقَبَّبَةٌ على الأخرى .
(٤) نورا : منورا لوجه الأرض فى الظلام .
(٥) الشمس سراجا : مصباحا مضيئا يمحو الظلام .

(۱) **جعل فى السماء بروجا(۲) وجعل فيها سراجاً وقمرا منيرا﴾** . (الفرقان — ٦١) .

﴿وبنينا فوقكم سبعا شدادا(۳) ، وجعلنا سراجا وهاجا(٤)﴾ . (النبأ — ١٢ ، ١٣) .

ثبت أن الشمس نجم يشع ضوءه وهى مصدر الحرارة والطاقة والحياة فى الوجود أما القمر فهو كوكب لا يشع بواسطة ضوئه الخاص ، انما يعكس أشعة الشمس .

ولننتقل إلى نقطة أخرى :

قال تعالى فى سورة القيامة (٥ — ١٠) : ﴿**بل يريد الانسان ليفجر أمامه(٥) ، يَسْئَل أيان يوم القيامة ، فإذا برق البصر(٦) ، وخسف القمر(۷) ، وَجُمِعَ الشمس والقمر(۸) ، يقول الانسان يومئذ أين المفر(۹)**﴾ .

كيف يخسف القمر ؟ ومتى يجمع الشمس والقمر ؟ .

خلال دوران القمر قد يحدث أن يمر بين الشمس والأرض تماما ، وحينئذ يحجب قرص نور الشمس عن الأرض ويحدث الظلام فجأة ، وهذا هو كسوف الشمس ، وبالعكس قد يمر القمر فى منطقة الظلام التى تحدثها الأرض فلا تستطيع أشعة الشمس أن تصل فيحصل خسوف القمر .

---

(۱) تبارك الذى : تعالى وتمجد أو تكاثر خيره .
(۲) بروجا : منازل للكواكب السيارة .
(۳) سبعا شدادا : سماوات قويات محكمات .
(٤) سراجا وهاجا : مصباحا منيرا وقادا (الشمس) .
(٥) ليفجر أمامه : ليدوم على فجوره مدة عمره .
(٦) برق البصر : دهش وتحير فزعا مما رأى .
(۷) خسف القمر : ذهب ضوءه .
(۸) جمع الشمس والقمر : قيل فى الطلوع من المغرب مظلمين والله أعلم .
(۹) أين المَفَرّ : المهرب من العذاب أو الهول .

تلك هى ظاهرة الكسوف أو الخسوف فى الدنيا .. لكن كيف يخسف أو بمعنى آخر كيف يذهب ضوء القمر عند قيام الساعة ؟ وكيف يجمع بين الشمس والقمر ؟ أيكون ذلك نتيجة لاختلال فى نظام حركة الكون ؟ أم هناك سبب آخر ؟ أم هى عدة أسباب مجتمعة ؟ .

وصل العالم الفلكى الهولندى (جيرار كويبر) إلى أن النظام أو المجموعة الشمسية قد تكونت من غيمة غازية هائلة ومن الغبائر التى كانت تحومّ فى الفضاء إذ تكاثف قسم من هذه المواد ومنها الهيدروجين ليشكل الشمس الهائلة ، والقسم الآخر قد تبدد بعكس الأول وكون تكتلات كثيرة من الغبائر والغاز ومنها الأرض .

المهم أن العلماء توصلوا إلى أن ذرات الهيدروجين هى المكونة لغالبية كتلة الشمس الغازية ، حيث انجذبت باتجاه مركزها بسرعة فائقة بفعل الجاذبية ، وأثناء عملية الجذب تولدت حرارة شديدة ، وبدأت ذرات الهيدروجين تتحول إلى ذرات هليوم تحرر طاقة شعاعية أقوى من احتراق هيدروجين الهواء بتسعين مليون مرة .

أتعلم أن حرارة الشمس السطحية تصل إلى (٥٨٠٠ درجة مئوية !) وحرارتها الجوفية (١٥ مليون درجة مئوية !) .

وأضاف العلماء أن رحلة النور من الشمس إلى الأرض (٨ دقائق ونصف تقريبا) ، فلو فرضنا أنها انطفأت ، فان آخر خيوطها الضوئية تصل إلى الأرض بعد ذلك (بـ ٨ دقائق) ، وتبدأ الأرض مرحلة الاحتضار .

ولكن هل يحتمل أن تنطفىء الشمس يوما ؟ أجل . ويكون ذلك بعد أن تتحول كل كمية الهيدروجين الموجودة فيها إلى هليوم .

ماذا يحدث حينئذ ؟ ماذا لو انطفأت الشمس وفقدت جاذبيتها التى تعادل ٢٨ ضعف جاذبية الأرض ؟ أيختل نظام الكون كله وينطفىء القمر وسائر الكواكب ؟ أتتناثر وتتساقط جميعا فى كل اتجاه ؟ أهكذا .. يخسف القمر ويجمع مع الشمس ؟ العلم عند الله .

قال تعالى فى سورة التكوير (١ — ٢) : ﴿**إذا الشمس كورت**[١] ، **وإذا النجوم انكدرت**[٢]﴾ .

ولنتأمل الشمس التى سوف تقع فى يوم ما على كوكبنا الأرضى : حجمها يساوى مليون و ٣٠٠ ألف مرة حجم الأرض وقطرها ١٠٩ أضعاف قطر الأرض أما كتلتها ٣٣٣٠٠٠ ضعف كتلة الأرض ، تلك الشمس الهائلة العظيمة تبعد عن الأرض بما يقرب من (١٥٠ مليون كلم) . أى مايوازى ٤٠٠ ضعف المسافة بين الأرض والقمر ، وبمعنى آخر فهى تبعد عن كوكبنا على مسافة ١٧ سنة من الطيران المتواصل بواسطة أسرع طائرة ركاب . تخيل لو أن هذه الشمس فقدت ضوءها وضاعت جاذبيتها ، تكورت .. ووقعت على الأرض .. ماذا يحدث فى الكون ؟

ماذا يحدث مهما فقدت من وزنها أو قل حجمها وما إلى ذلك ؟ وماهى الكوارث التى عساها أن تقع على الأرض بمن عليها ؟

مهلا عزيزى القارىء .. لا تنزعج .. الساعة لا تقوم عليك .. ألم أقل لك إنها لن تقوم إلا على شرار الناس ؟!

تصور أن الاخصائيين أعطوا الشمس عمرا يزيد عن ٤ مليارات من السنين ؟! ماذا لو علمت الشمس بهذا ؟! وأكدوا أنها لن تنطفىء إلا بعد أن تتحول كل كمية الهيدروجين الموجودة فيها إلى هليوم وذلك لن يحدث إلا بعد انقضاء حوالى ٤٠ مليار سنة أخرى ، لكنها لابد وأن تنطفىء قبل ذلك بكثير .. بكثير جدا .. سواء لهذا السبب أو لغيره ، لأن قيام الساعة قريب .. قريب نسبيا .. بالنسبة إلى مامضى من عمر الدنيا ، وأقرب بكثير من ٤٠ مليار سنة ، لكن علمها عند الله تعالى وحده لا شريك له حيث أخبر أنها آتية وانها لا تأتى إلا بغتة ، ولا يعلم وقتها على التعيين إلا الله تعالى) .

كيف تقول مضى من عمر الشمس ٤ مليارات من السنين وبقى ٤٠ مليار سنة !

---

(١) الشمس كورت : أزيل ضياؤها أو لفت وطويت .

(٢) النجوم انكدرت : تساقطت وتهاوت .

كيف تؤكد أن عمر الشمس أو غيرها من مخلوقات الله تعالى بقى منه أكثر مما مضى ! وقد قال رسول الله ﷺ : (الا ان آجالكم فى آجال الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس)[1] . هذا ماقاله الرسول عليه الصلاة والسلام منذ قرون مضت ، فماذا نقول — نحن — اليومَ ؟ وقد قال تعالى : (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) .

يكاد عقلى ينفجر .. تساؤلات عديدة تقفز إلى ذهنى ثم تعود .. تقفز وتعود .. أعلم أنى لن أستريح إلا لو عرضتها عليك .. ورب تساؤل يؤدى إلى فكرة لم نصل بها اليوم إلى شىء وقد توصلنا فى الغد إلى أشياء .

بعد الوصول إلى النهاية اسمح لى أعود إلى البداية .. بداية خلق الكون .. فكر معى .. أحقا خلق من ماء كما فسر بعض العلماء ؟ سبق وذكرنا ماقاله الله تعالى : (وكان عرشه على الماء) . أيعنى العلى القدير بذلك أن الكون كان أصله ماء ؟

ذكرنا أيضا قوله عز وجل : ﴿**وجعلنا من الماء كل شىء حى**[2]﴾ .

كلام الله تعالى حق لا ريب فيه .. ولا يحتاج إلى دليل أو إثبات .. وإنما يحتاج إلى تفسير دقيق .. وبالرغم من هذا فقد ثبت بالفعل أن الماء يدخل فى تكوين كل جسم حى سواء كان إنسانا أو حيوانا أو نباتا وما إلى ذلك من سائر الكائنات الحية . بقى تساؤل : مم يتكون الماء ؟ يتكون من عنصرى الهيدروجين والأكسجين ، ماذا لو تفككت عناصر الماء ؟ لو انفصل الأكسجين عن الهيدروجين واتحد كل منهما مع عناصر أخرى ؟ لو حدث ذلك لتحولت المادة الأصلية وهى الماء إلى مواد أخرى مختلفة تماما فى خواصها عن المادة الأصلية .. أى عن الماء .. لو ثبت أن أجسام الكون المختلفة تحتوى على أحد عنصرى الماء وهما : الهيدروجين ، أو الأكسجين ، أيرجح ذلك احتمال أن الكون كان أصله ماء ؟ سبق وقلنا : إن ذرات الهيدروجين هى المكونة لغالبية كتلة الشمس الغازية ، كما ثبت أن الغلاف الجوى يدخل فيه

(١) رواه الإمام أحمد عن ابن عمر .

العديد من العناصر ومنها الأكسجين والهيدروجين .. ثبت .. وثبت .. دعك من كل هذا .. وفكر فيما ثبت من أن الماء نفسه كان أصله هيدروجين .. الهيدروجين الذى هو أصل كل العناصر .. العناصر التى كونت المواد المختلفة .. تأمل معى : الكون كله أصله ذرة واحدة .. ذرة هيدروجين .. ترى ! ماسر هذا ؟

لا يسعنى إلا أن أقول : سبحان الله .. الواحد .. الأحد .



* أهم مراجع هذا الجزء : معجم القرآن ، التفسير ، الموسوعة (عربية عالمية) .. الناشر : شركة ترادكسيم بجنيف .

الوصول إلى آخر آخر الزمان

نعود إلى الإنسان .. إلى البشر .. نصل معهم إلى آخر آخر الزمان .. يتمثل لهم الشيطان .. ينادى : ألا تستجيبون ؟ يصغون إليه .. فيأمرهم بعبادة الأوثان .. وتصير الشياطين ظاهرة فى الأرض حتى يشير الإنسان إلى شيطانه ويقول : هذا قرينى الذى يغوينى .. وينطق الحيوان .. يكلم الإنسان .. وحتى الجماد .. الجماد أيضا يتكلم .

وقد روى الإمام أحمد عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى يخرج الرجل من أهله ، فيخبره نعله ، أو سوطه ، أو عصاه ، بما أحدث أهله بعده) .

كما روى أيضا عن سعيد عن النبى ﷺ أنه قال : (والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ...) . إلى آخر الحديث .

هكذا تعيش مخلوقات الله فى آخر آخر الزمان .. ويعيش الإنس مع الجان فى محبة ووئام ! وتسود الحرية !.. الحرية المطلقة .. حرية بلا قيود ولا حدود .. فلا أمان لها ولا استقرار بها ! فتكثر جرائم القتل .. عفوا سيدى الإنسان ! أقصد وقائع القتل ! اقتل من تشاء .. وقتما تريد .. أنت حر ! ، اشرب الخمر .. اسكر وافرح .. العب الميسر .. ! اسرق وانهب .. أنت حر ! ، سر فى الطرقات والشوارع .. اجر وكسِّر .. اضحك واصرخ .. العب واله .. خرب .. دمر واهدم .. اشتم واضرب .. لا تبال بأم أو أب .. أخ أو أخت .. ولا صديقة أو صديق .. الكل سواء .. لا يهمك شىء .. دمر من تريد .. فأنت بطل جسور .. أنت حر ! افعل ما تشاء كيفما تشاء ، فالأرض أرضك ، والحياة حياتك ، وأنت حر !

مسكين أنت أيها الإنسان .. إنسان ذاك العصر والأوان .. لا تصدق إلا من يأخذك على هواك .. ونسيت .. نسيت يامسكين أنك لست قاهرا .. إنما

أنت مقهور .. مقهور بقدرة الله تعالى الذى استوى على العرش .. (لا تأخذه سنة[1] ولا نوم)[2] .. يراقب كل أفعالك فلا يغفل ولا ينام .. (وسع كرسيه السماوات والأرض)[3] .. هذا كرسيه .. فما بال عرشه ! .. صدقنى أيها الإنسان أنت أقل من قطرة فى بحر عالم واسع عظيم .. مهلا لاتثر وهاك الدليل :

عندما سأل أبو ذر الغفارى النبى عليه الصلاة والسلام عن الكرسى ، أتدرى ماذا قال ؟ قال رسول الله ﷺ : (والذى نفسى بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة[4] ، وإن فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة) .

فما بالك أنت أيها المسكين ! ماتكون وسط هذا الملكوت الواسع العظيم ! تتساءل : ماالكرسى وما العرش ؟ . وأجيبك :

عن ابن عباس قال : سئل النبى ﷺ عن قول الله عز وجل (وسع كرسيه السموات والأرض) قال : (كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل) . ولتعلم أن العرش هو أعظم مخلوقات الله تعالى .. هو سقف كل المخلوقات .. لتعلم أن جميع الخلائق من السموات والأرض .. وما بينهما وماتحتهما .. تحت العرش .. مقهورين بقدرة الله تعالى .. الله الذى يحيط علمه بكل شىء .. وقدره نافذ فى كل شىء .

ومع ذلك فمن رحمته تعالى أن ..لا .. لن أقول لك .. بل اقرأ مارواه الإمام أحمد عن أنس قال:قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله) . ومارواه أيضا عن أنس قال:قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله) .

---

(١) (جزء من آية ٢٥٥ ـــ البقره) .
(٢) سنة : نعاس وغفوة .
(٣) البقرة ـــ جزء من آية الكرسى ٢٥٥ .
(٤) فلاة : صحراء

أإلى هذا الحد تمحى الفطرة من تاريخ الإنسان ؟ يفسد ويصاب بالعصيان ؟!

أيأتى زمان لا يعرف فيه اسم الله ! ماذا لو تفشى الجهل ! ونسى اسم الله ! ورفع من عالم الدنيا !

عن أنس عن النبى ﷺ : (لا يزداد الناس إلا شحا ، ولا يزداد الزمان إلا شدة ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس) .

سيقوم البشر بأفعال كثيرة .. كثيرة .. ذكرنا العديد منها سابقا ولا داعى للتكرار .. إنما كل ماذكرناه من فسق وفساد سوف يزداد ويزداد إلى أن يفوق حده فى ذاك الزمان ، وينسى حتى اسم الله .

أتتكبر أيها الانسان أن تسجد لله وتسبح له ؟! أتنساه ؟! وهو الذى (يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر)[1] !

انتهى كل شىء أيها الإنسان .. إنسان آخر آخر الزمان .. فلتفعل ماتريد .. لم تعد هناك جدوى فى إصلاحك .. لا أمل ولا رجاء منك .. المجهود الذى يضيع من أجلك إنما يضيع سدى .. فتحمل مسئولية أفعالك فيما بعد .. فإنى أحذرك .. القيامة قائمة .. قائمة .. فلا تبك ولا تصرخ .. لاتندم .. لاتفزع يوم تسمع الصوت العظيم .. صوت النفخ فى الصور .. لا تتحسر يوم تقع عليك الأهوال العظمى .. أهوال الساعة الكبرى .. (يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا[2]) .

لآخر مرة أحذرك .. أقول لك : إن إسرافيل الملك الضخم العظيم .. الذى خلقه الله العلى القدير كما خلق سائر المخلوقات .. إسرافيل الذى لا تراه .. يمسك بالصور .. ينتظر الأمر بالنفخ فى أية لحظة .

---

(١) الرعد جزء من آية ١٥ .

(٢) طه — ١٠٢ ، زرقا : قيل معناه زرق العيون من شدة ماهم فيه من الأهوال ، أو عميا ، أو عطاشا .

روى مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ) .

روى الإمام أحمد عن ابن عمرو قال:قال أعرابى : يارسول الله : ماالصور ؟ قال :(قرن ينفخ فيه) .

ونتساءل كالمعتاد .. مجرد سؤال ! متى خلق الصور ؟ أجيبك : لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور .. وهو قرن عظيم .. الدائرة منه بقدر السموات والأرض .. لما خلقه عز وجل أعطاه لإسرافيل .. فهو واضعه على فيه .. شاخصا بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر .

عن أبى هريرة قال:قال رسول الله ﷺ : (ما أطرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دُرِّيَّانِ[1]) .

وروى الإمام أحمد عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال : كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن ، وحنى جبهته ، وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر) .

قال المسلمون : يارسول الله فما تقول ؟ قال : (قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا) . اقرأ واتعظ .. اتعظ من أحاديث النبى الكريم .. هذا حديث شريف قاله منذ مئات السنين .. كان الرسول عليه الصلاة والسلام حذراً .. مشفقا منذ ذلك الحين هو وأصحابه من أهوال ذاك اليوم العصيب .. وها أنا أتوجه إليك عبر قرون أخرى قادمة لا يدرى مداها إلا الله .. صدقنى ايها الإنسان .. إنسان آخر آخر الزمان : عليك أنت تقوم الساعة .. إلهى ! لمن أتحدث ! إنى أتعجب من أمرى وأضحك من نفسى حين أذكر الحديث الشريف الذى رواه الطبرانى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

(من أشراط الساعة أن تغرب العقول ، وتنقص الأحلام) .

أإليك أنت إنسان آخر آخر الزمان أقول ! أنت لا تسمع ولا تستجيب .. أنت حر !

---

(١) كوكبان دريان : دُرِّىّ منسوب إلى الدر فى لمعانه وشدة توهجه وتوقده ودريان مثنى درى .

١٢ ـــ نار المحشر[١]

تكلمنا عن علامات الساعة .. ولم يبق لنا إلا العلامة الأخيرة .. النار التى تسوق الناس إلى محشرهم .

سبق وذكرنا حديث رسول الله ﷺ عن علامات الساعة حيث قال : (إنها لن تقوم حتى تروا عشر آياتٌ ، الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاث خسوف .. خسف بالمشرق .. وخسف بالمغرب .. وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من قبل عدن تطرد الناس إلى محشرهم) .

ولكن أحمد روى عن أنس أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله ﷺ عن أول أشراط الساعة فقال : (نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب) .

قد تعتقد أن هناك تناقضاً بين الحديثين مع أن الجمع بينهما جائز جدا ، فقد يشير الحديث الأول إلى أن خروج نار المحشر آخر العلامات التى ذكرت معها بنفس الحديث ولا ينفى ذلك ماورد بالحديث الثانى من كونها أول العلامات ، فقد يكون المراد بهذا أنها أول علامات الآخرة الدالة على لحظة قيام الساعة حيث يعقبها مباشرة النفخ فى الصور ، وبناء على هذا تعتبر نار المحشر هى آخر علامات الساعة وأول أهوالها العظمى .

ماهى تلك النار ؟ كيف تسوق الناس ؟ وإلى أين ؟ ولماذا ؟

عند نهاية الزمان .. يزداد الفسق والعصيان .. ويسود الظلم والفساد .. بلا حدود ولا قيود .. والرب سبحانه وتعالى على عرشه فوق كل العباد .. يراقب فيشتد سخطه وغضبه .. لم يعد هناك جدوى من إصلاح هؤلاء

(١) المراجع : التفسير ونهاية البداية والنهاية ـــ ابن كثير ، المسيخ الدجال وأسرار الساعة ـــ السفاريني ، أشراط الساعة وأسرارها ـــ محمد سلامة جبر ، قصص الانبياء ـــ عبد الوهاب النجار ، الأطلس العربى .

البشر .. وجودهم على الأرض أصبح مشكلة .. مشكلة كبيرة لابد لها من علاج .. ولا علاج سوى أن تتهدم تلك الدنيا على من فيها .. صدقنى ! هذا هو الحل الوحيد ولا حل غيره .. ليكون بعد ذلك الانتقال .. الانتقال إلى عالم جديد حيث يستبعد الشر والفساد إلى الجحيم الأبدى ليبقى الخير والجمال .. النقاء والإيمان .. والحب والصفاء .. ويعيش .. يعيش على الدوام فى عالم آخر .. لا شقاء فيه ولا فساد .. بل نعيم .. نعيم دائم فى جنة الخلود .

عند نهاية الزمان يصاب البشر بداء الغرور والعناد .. التكبر والفساد .. يسخر الإنسان حتى من فكرة وجود الخالق القهار .. ويتصور فى نفسه أنه هو الملك الجبار المهيمن على كل شىء فى الوجود .. والقاهر لكل العباد .. يتخيل المسكين كل هذا ويسير .. يسير ماشيا أو راكبا .. راكبا فى البر أو عبر البحار .. أو طائرا فى الجو .. وإذا بغضب الرب يأتيهم من كل مكان .. انها نار .. نار عارمة مروعة .. تخرج من عدن .. تنتشر فى كل مكان وتحيط بالانسان وبكل المخلوقات .. تحشر الناس شرقا وغربا .. إلهى ! إنها نار لها بين السماء والأرض دوى كدوى الرعد القاصف تحشر حتى من فى الجو ومن فى البحار .. تسوق الناس إلى حيث لا يدرون .. تحيطهم من كل مكان .. تأكل البيوت والأموال وكل الأشياء .. اجر ياإنسان .. اجر .. لا تتعثر وإلا أكلتك النار .. اجرِ على قدميك أو ببعير .. اجرِ بسيارة أو بقطار .. اركب طائرة فى الجو أو سفينة عبر البحار.. اجرِ إجرِ ياإنسان من كل مكان .. هاجر واذهب لبلاد الشام .. لا تتخلف وإلا أكلتك النار .

لا اقول شيئا من عندى وإنما هى نصيحة من رسول الله ﷺ فقد أخرج الإمام أحمد والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا : (ستخرج نار من حضر موت أو بحضر موت قبل يوم القيامة تحشر الناس) قالوا يارسول الله فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام) . يعنى وهو المراد بمهاجر إسماعيل .

كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال:قال رسول الله ﷺ : (يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين ، وراهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وعشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت

معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا) .

أول خروج النار يكون من اليمن ، ثم تنتشر من المشرق إلى المغرب حتى تحيط بجميع أنحاء العالم مابين السماء والأرض ، تحرق كل مايقابلها من أشياء ، وكل من يحاول التخلف أو الهروب من مخلوقات الله تعالى ، فهى من ورائهم وحيطة بهم تسوقهم إلى أرض المحشر .. تسوقهم حتى تجمعهم جميعا ببلاد الشام .. بلاد الشام التى تعتبر مشرقاً بالنسبة لبعض بلاد العالم ومغرباً بالنسبة لبلاد أخرى .

تستمر النار .. تحشر فى المخلوقات أياماً وأياماً لا يعلم مداها إلا الله .. لا تهدأ و لاتخمد ليلا أو نهارا إلا بعد تمام حشر جميع المخلوقات وجمعهم فى مكان واحد .. تسوق الانس مع الجان والقردة والخنازير والحشرات والوحوش والطيور وسائر خلق الله .. لاتدع مخلوقا واحدا إلا حشرته رغم أنفه أو أكلته .. فمات .

فظيع ! الناس يخرجون من كل مكان ويأتون من كل فج عميق .. يحشرون فى وسط الوحوش والجن والحشرات .. يموج بعضهم فى بعض وتعلو الصيحات .. يصرخ الانسان وسائر المخلوقات .. أصوات .. أصوات مدوية فى كل مكان .. أصوات تستجير وتستغيث .. ولا من مجيب .

ألم أقل لك أيها الانسان ! الآن تصرخ ! تبكى وتندم !

اقرأ مارواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (إنها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز الناس إلى مهاجر ابراهيم(١) لايبقى فى الأرض إلا شرار أهلها تلفظهم(٢) أرضهم وتقذرهم(٣) نفس الرحمن تحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف(٤)) .

---

(١) مهاجر ابراهيم هى بلاد الشام .

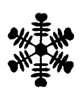
(٢) تلفظهم أرضهم : تضيق بهم أرضهم وتطردهم .

(٣) تقذرهم نفس الرحمن : يزداد سخط الله تعالى وغضبه عليهم .

(٤) تأكل من تخلف : تحرقه وتقتله فيموت .

هكذا تسوق النار كل الموجودين فى آخر الزمان من سائر أقطار الأرض إلى أرض الشام منها وهى بقعة المحشر .

﴿يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا(١) من أقطار السموات والأرض فانفذوا(٢) لاتنفذون إلا بسلطان(٣) ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ(٤) من نار ونحاس (٥) فلا تنتصران ، فبأى آلاء ربكما تكذبان(٦)﴾ .



---

(١) الرحمن ـــ ٣٢ ـــ ٣٦ .
(١) تنفذوا : تخرجوا هرباً من قضائى .
(٢) فانفذوا : فاخرجوا (أمر تعجيز) .
(٣) بسلطان : بقوة وقهر ، وهيهات ..!
(٤) شواظ : لهب خالص لا دخان فيه .
(٥) نحاس : صُفْرٌ مذاب أو دخان بلا لهب .

﴿**يوم نطوى السماء كطى السجل[1] للكتب[2] كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين[3]**﴾ .

النفخ فى الصور

سبق وقلنا : إن قيام الساعة يكون على ثلاث مراحل تبدأ بالنفخ فى الصور حيث نفخة الفزع التى تعتبر أول مبادىء يوم القيامة .. تطول نفخة الفزع وتدوم لفترة لايعلمها إلا الخبير الحكيم حتى تكون نفخة الصعق . وقد قال تعالى : ﴿**وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق**﴾[4] . ثم يمر زمن لايعلمه إلا الله .. قد يكون زمنا طويلا إذا ماقيس بمقاييس الدنيا .. ولكنه قصير إذا ما قيس بمقاييس الآخرة .. بعد ذلك تكون النفخة الأخيرة وهى نفخة البعث والقيام للحساب والجزاء .

وما نحن بصدد الحديث عنه الآن إنما هو مبادىء يوم القيامة ، أو بمعنى آخر أول مراحل يوم القيامة ، أى نفختى الفزع والصعق حيث يفنى العالم بكل ما ومن عليه .

وقد أخرج الامام أحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ « إذا الشمس كورت - وإذا السماء انفطرت — وإذا السماء انشقت» .

وقال تعالى فى سورة النمل ﴿**ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله**﴾ جزء من آية ٨٧ .

---

(١) الأنبياء — ١٠٤ .

(٢) السجل : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٣) للكتب : على ماكتب فى السجل .

(٤) ص — ١٥ .

وقد أشار النبى عليه الصلاة والسلام إلى أن المستثنى من الفزع فى الآية الكريمة : إنما هم الشهداء على أساس أنهم أحياء عند ربهم يرزقون .. فوقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه لأنه عذاب يبعثه فقط على شرار خلقه .

هيا معى ننطلق إلى الملكوت الأعلى .. تخيل نفسك كأنك بجوار الشهداء .. ترى وتسمع كل الأهوال بلا خوف أو فزع .. اتفقنا ؟ هيابنا :

هذى أرض الشام .. يعيش عليها أهلوها .. يعيثون فساداً فى فساد .. وتلك سائر بقاع الأرض فى كل مكان .. وقد امتلأت ظلما وطغيانا .. سئمت الأرض .. تعبت وضاقت بمن عليها .. فاشتعلت نارا .. طردتهم وساقت كل المخلوقات .. جمعتهم ببلاد الشام .. فازدحمت الشام بجميع المخلوقات وفرغت سائر بقاع الأرض فى كل مكان .. تعبت المخلوقات من هول الحشر .. بدأت تفكر فى الاستقرار والعودة إلى الشر والطغيان .

أف لذلك العالم ! أيعجبك هذا الحال ! لم أعد أطيق هؤلاء البشر ولا تلك المخلوقات ! ألست كذلك !

انظر ! .بقعة الأرض محدودة والزحام عليها شديد .. تتكدس عليها كل المخلوقات وتموج فى بعضها .. هاك إبليس ظاهرا .. وتلك شياطين الجن .. يأمرها أن تسير فى الطرقات بين المخلوقات .. وتضيع الأنساب .. لا يميز الإنسان بين أمه أو أخيه أو زوجته أو حتى بنيه .. ولا يفكر فى مجرد السؤال عنهم أو التعرف عليهم فى وسط الموجودين .. وقد يلقاهم ويتعامل معهم دون أن يعرفهم .

إنى أرى إنسانا أو إنسانة لا أتبين بالتحديد .. المهم أنه مجهد وتعبان .. يريد أن ينام فلا يجد له مكانا .. هاهوذا وقد لمح آخر مكوما هناك على الرصيف .. إنه يحاول الوصول إليه فى وسط الزحام .. وصل .. وهجم عليه ليفسح له المكان .. تشاجر معه .. آه ! لقد قتله وتكوم مكانه .. ماهذا ! ثعبان ! الثعبان ينقض عليه .. يريد هو أيضا أن يفسح لنفسه المكان .. الثعبان قتل الإنسان .. فالتفت حوله الوحوش .. واجتمعت فوقه الحشرات .. الكل يأكل بشراهة .. وبسرعة .. انتفى أثر الانسان !

ذاك إنسان آخر جوعان أو إنسانة .. ها هو يتوجه لأحد تجار الشام ليطلب الطعام .. لكن التاجر يطالب بالثمن .. يبحث الانسان فلا يجد معه إلا بضع نقود .. يعطيها للتاجر .. فيرفض ويقول : ارتفعت الأسعار ، يصرخ الانسان : أنا جوعان وأموالى أكلتها النار .. أريد ولو قطعة خبز . رفض التاجر واستغل الموقف .. قال : أسعار اليوم ليست كأسعار الأمس .

ثار الإنسان .. هجم عليه وقتله .. أخذ اللقمة .. اقتربت من فيه .. لكن الذباب أيضا جوعان .. يتطاير فوق اللقمة .. والطائر يحوم حول المكان .. ها .. خطف اللقمة .. وطارت اللقمة ياإنسان ! حاسب .. حاسب ياإنسان .. الأسد يئن من الجوع .. انقض على الانسان .. مزقه .. أكله .. وضاع الانسان . انظر !

هؤلاء الناس أكلت النار بعض ثيابهم .. يبحثون عن نقود فلا يجدون .. يهجمون على محل .. يقتلون من فيه ويسطون عليه .. ومن ورائهم سائر المخلوقات .. وتعيش يا إنسان فى وسط الحيوانات والوحوش والجن والحشرات والطيور .. تأكل معهم يامسكين وتنام .. بل ويشاركونك كل شىء فى حياتك .. لا .. لست أعنيك أنت ياإنسان اليوم .. إنما أعنى إنسان آخر آخر الزمان .. فأنت كما اتفقنا معى بجوار الشهداء نتخيل ونرى سويا مايحدث فى ذاك الزمان كما قلت لك مسبقا ولا تأخذ أية كلمة عليك بعد ذلك فلن أكرر وأشرح هذا بعد الآن .. ولنعد إلى موضوعنا :

ويحوم النمل والبعوض وسائر الحشرات حول باقى المخلوقات .. تهجم عليهم جماعات جماعات .. فيضيق الانسان وتنبح الكلاب وتعوى الذئاب كذلك القردة والخنازير وجميع الحيوانات والوحوش والابل والبعير والطيور كلها تموج فى بعضها وتتحول إلى وحوش كاسرة .. تتشاجر وتفترس بعضها بعضا .. الكل يريد أن يعيش ولو على حساب الآخرين .

والجن مسرور وفرحان .. ينتشر ظاهرا وسط الزحام .. يشعلها نارا بين المخلوقات .. ثم يتأملهم وهو يضحك فى سعادة وهناء !

والرب .. الرب على عرشه فوق كل العباد .. يراقب أفعال جميع المخلوقات .. لا يغفل لحظة ولا تفوته هفوة .. اشتد غضبه وزاد سخطه.

وإسرافيل مازال ممسكا بالصور وواضعه على فيه .. شاخصا بصره إلى العرش .. ينتظر الإشارة من رب العالمين بالنفخ فى أية لحظة . أخيرا أتى أمر الله .. أمر إسرافيل بالنفخ فى الصور .. فنفخ النفخة الأولى .. وإذا بصوت قوى شديد يدوى فى كل مكان .. إذا بالفزع يسود الوجود .. وفجأة ! ساد الصمت على وجه الأرض .. توقف القتل والشجار .. فارتفعت يد القاتل عن المقتول .. ونزل النمر عن فريسته .. كش الثعبان .. وتوقفت الحشرات .. ذهلت كل المخلوقات .. حتى اللقمة .. اللقمة لم تبتلع فى فم الانسان أو غيره من المخلوقات .. الكل توقف وساد الوجوم .. كل ينظر حوله ويرفع رأسه إلى السماء ليبحث عن مصدر الصوت الرهيب .. ويتساءل فى صمت وذهول .. ماهذا الصوت ؟! ماهذا الصوت ؟!

حانت اللحظة الأخيرة..لحظة الاحتضار..هاهى ذى الدنيابأسرهاتحتضر وهذى الجبال التى تنتشر من حول زحام المخلوقات وفى وسطهم وفى سائر بقاع الأرض .. الجبال الراسية الشامخة .. تهتز .. تقتلع تماما من جذورها .. ترتفع عن الأرض وتسير عبر الزحام .. تخالها جامدة لكنها تمر مر السحاب .. تتفجر قوية مدوية فى كل مكان .. لقد نسفها رب العالمين نسفا .. فصارت هباء منبثا .. واستوت الأرض فلم يعد فيها جبال ولا اعوجاج .. لكنها ترتج .. تهتز وترتجف .. زلازل .. زلازل رهيبة .. الأرض تميد بأهلها وكأنها سفينة فى وسط بحر هائج تضربها الأمواج من كل اتجاه .. تضطرب بهم وتكفئهم على وجوههم فوق بعضهم .. فتعلو الأصوات .. تعلو وتعلو بالصراخ والفزع .. من شدة الخوف والرعب .. وتضع كل ذات حمل حملها .. ويشيب الإنسان .. وتتساقط بعض المخلوقات صرعى من هول الفزع .

بينما هم على هذى الحال إذا بظلام دامس يعم الوجود .. ماهذا ! .. لقد انطفأ نور الشمس وكذلك القمر وسائر الكواكب .. لم يعد هناك ليل أو

نهار .. الدنيا ظلام فى ظلام .. ماجت المخلوقات فى بعضها .. ضاعت منها الوحشية وأتلفت .. ففزع الجن إلى الإنس وائتنس به وكذلك سائر المخلوقات .

رباه ! ماهذا ! ياهول انتقامك ! سبحانك يا الله .. ياقادر ياجبار ! السما أيضا تحتضر ! تتشقق ! تتكور منها الشمس وتظل تهوى !.. تهوى عبر بعد سحيق ! ويقع القمر ! وسائر الكواكب ، حتى النجوم التى لا تقع فى مجموعتنا الشمسية ؛ تتناثر فى كل اتجاه وتتساقط .. تصيب بعض المخلوقات .. وتصرع آخرين .. تشتعل النيران وينتشر الدخان .. وعلى ضوء النيران تشهد المخلوقات كل الأهوال .

يفزع الانس إلى الجن والجن إلى الانس .. الكل يتساءل فى حيرة وقلق .. ما الحل ؟ ماذا عسانا أن نفعل ؟ وأخيرا اقترح الجن على الإنس أن ينطلقوا الى ماء البحر علهم يجدون سبيلا للخلاص .. والأرض مازالت تميل بهم فى كل اتجاه .. فانطلق الجن على رأسهم إبليس .. تبعهم الانس .. منهم من يتعثر فى الطريق .. ومنهم من تكفئه الأرض على وجهه فيسير زاحفا .. ومنهم من يحاول الاستناد على أخيه حتى يصلوا إلى ماء البحر بسلام .. وهاهم قد وصلوا فى النهاية إلى ماء البحر المنشود .. وإذا بالمفاجأة الكبرى .. مفاجأة لم تخطر لهم على بال .

إلهى ! حتى البحار أيضا تحتضر ! تفجرت كل الحواجز التى بينها .. لقد صارت البحار بحرا واحدا هائلا عظيما مملوءاً بالمياه عن آخره .

وقف الجميع أمام البحر .. وقفوا مشدوهين فى ذهول الحيارى المقهورين .. ياللهول ! النجوم والكواكب تتساقط أغلبها فى البحر .. والقمر أيضا .. هاهى ذى الشمس وقد وقعت هى الأخرى من على بعدها السحيق .. وانطلقت البراكين مدوية هائلة من قاع البحر .. وانفجرت ذرات الماء .. انفجارا هائلا مروعا .. مدويا فى كل مكان .. واشتعلت النار .. نار شديدة لا مثيل لها فى الوجود .. اشتعلت من تحت قعر البحر .. من أعماق أعماق الأرض .. انتشرت .. ظلت تعلو وتعلو .. حتى غدت نارا ذات عمق

سحيق .. سحيق . وضاع الأمل الأخير .. وقف الإنس مع الجن حيارى مقهورين .. الجميع يتساءل فى ذهول ! أهذا ماء البحر ؟ أهذا الماء الذى جئنا نلتمس منه الخلاص ! أهكذا يسجر البحر ! .. يتحول ماؤه إلى نار تتأجج ! فظيع مانرى ! فظيع !

زلزال الأرض مازال يشتد ويشتد .. وصوت النفخ فى الصور مازال دائما لم يفتر بعد .. والنار من أمام الجميع تشتعل بهولها المريع .

وهاهو إبليس .. يجرى فى كل اتجاه .. تميد به الأرض .. يتعثر تارة ويزحف أخرى .. والنار من أمامه تتأجج لم ير لها مثيلا فى عالم الدنيا .. فتعود به الذكرى إلى الماضى البعيد .. يوم تحدى رب العالمين .. يوم توعده الحكيم القهار بنار الجحيم .. انهار إبليس .. اشتعلت نيران الحسرة والندم فى أعماق أعماقه .. هاهو يصرخ ثائرا : لا .. لا يارب العالمين .

لقد خر إبليس ساجدا ! . متوسلا متذللا !. إنه يبكى ويصرخ ! ينادى ويقول : ربى ! مُرنى أن أسجد لمن شئت .

ذهلت الشياطين .. واجتمعوا حوله يتساءلون : ياسيدنا : إلى من تفزع ؟! إلتفت إليهم ابليس منهارا باكيا : إلى رب العالمين .. أتسمعون ! إلى رب العالمين الذى أنظرنى إلى يوم القيامة . وهذا هو اليوم المعلوم .

الجميع يرددون فى ذهول (الإنس منهم والجان) : اليوم المعلوم ! رب العالمين ! إذن الله موجود ! العالم الآخر حق ! البعث والجزاء أيضا حق ! ومانراه اليوم من أهوال إنما هى بعض أهوال يوم القيامة ! ونحن ! نحن اليوم فى يوم القيامة ؟! مع كل تلك الأهوال مازلنا فى أول يوم القيامة ؟! فما مصيرنا بعد ذلك ؟! أما من مفر يخلصنا من ذلك الجحيم المحتوم ! أحقا جاء وعد الله ! أحقا انتهى كل شىء ! الموت علينا محتوم ومصيرنا ليس إلا الجحيم والعذاب الأبدى ! ضيعت نفسك يا إبليس .. ضيعت نفسك ياملعون وضيعتنا معك .

وإذا بصوت ينادى ويقول : يأيها الناس : ﴿**أتى أمر الله فلا تستعجلوه**﴾ وينهار الجميع .. تملأ الحسرة والندم أعماق كل الموجودين .. والأرض مازالت

تميد بهم .. يتعثرون ويعتدلون .. والصوت مازال مدويا فى أرجاء المكان .. وتتعالى الصيحات : لا .. لا يارب .. أعطنى فرصة .. فرصة أخيرة .. لا أريد الموت .. إنى أريد الحياة .. أود لو أعيش .. لو عادت إلى الحياة من جديد سأفعل كل ما تأمرنى به .. أى شىء .. مرنى ياربى بما تريد ولو ألقى بنفسى فى أحضان تلك النيران المتأججة .. اود لو أموت وأبعث إلى النعيم .. لا أريد الجحيم الأبدى .. لا أريده .. أخشاه وأمقته .. أرجوك ياإلهى : تَقبَّل دعوات عبد ذليل يتوسل إليك .. فرصة ! فرصة أخيرة ياأرحم الراحمين،أنا لا أحتمل النار .. لا أحتمل عذابها .. ارحمنى .. ارحمنى برحمتك ياإلهى ياعظيم .. لقد آمنت بك .. أجل .. أنت ربى .. بل ورب العالمين .

وإبليس ما زال ساجدا .. يصلى ويدعو .. يصرخ باكيا منهارا : مرنى يارب أن أسجد لمن شئت .. مرنى أن أسجد لمن شئت . وإذا بالنفخة الثانية صوتها يدوى فى كل مكان .. يعلو ويعلو .. إنها نفخة الصعق وإذا بالسماء تتصدع كلها صدعة واحدة إلى السماء السابعة .. إنها تهوى على الأرض .. والأرض أيضا .. ها هى تتصدع صدعة واحدة وتنشق إلى سابع أرض .

إلهى ! ماهذا ! الملائكة تتطاير من السماء بأشكال مخيفة مروعة .. ترفرف بأجنحتها .. وتصل إلى الأرض .. إنها تنزع أرواح المخلوقات .. تنزعها نزعا مهينا مؤلما .. الجميع يتألم .. الكل يصرع ويموت .. وانطبقت السماء على الأرض .. احتضرت الدنيا .. وانتهى كل شىء .. وماتت جميع المخلوقات .. صعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله .

هكذا انتهى الصراع .. الصراع بين إبليس وآدم .. محى الشر وأبيد الفساد .. ومات إبليس . وانتهت الأسطورة .. أسطورة خلافة الإنسان على الأرض .. مات الإنسان .. وضاعت الخلافة .. واحتضرت الأرض .. محى العالم بأسره .. صعق الوجود وفنى فأمسى لا وجود .

وبقى عالم الملكوت الأعلى .. فجاء ملك الموت إلى الجبار .

قال : يارب ! مات أهل السموات والأرض إلا من شئت .

فيقول الله وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟

يجيب ملك الموت : بقيت أنت الحى الذى لا تموت ، وبقيت حملة عرشك ، وبقى جبريل وميكائيل ، وبقيت أنا .

فيقول الله عز وجل : فليمت جبريل وميكائيل .

يذهل العرش .. ينطقه الله تعالى .. فيتساءل : يارب : يموت جبريل وميكائيل ؟! فيقول الرب : اسكت ! فإنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى .

فيموتان ، ثم يأتى ملك الموت إلى المهيمن الجبار فيقول :

قد مات جبريل وميكائيل ، ولم يبق إلا أنت الحى الذى لاتموت ، وبقى حملة عرشك ، وبقيت أنا . فيقول الخبير الحكيم : فليمت حملة عرشى .

فيموتون ، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ، ثم يأتى ملك الموت إلى الملك القدوس ويقول : يارب قد مات حملة عرشك .

فيقول الله سبحانه وتعالى وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟

يجيب ملك الموت : يارب بقيت أنت الحى الذى لا تموت ، وبقيت أنا .

فيقول الله : أنت خلق من خلقى ، خلقتك لما أردت فمت . فيموت .

هكذا يفنى العالم كله .. يفنيه الله الذى لا يموت أبدا .. الذى كان آخرا كما كان أولا .. فلم يبق إلا هو .. الله الذى أوجد الوجود ثم أفناه وأعاده كما كان .. الله الواحد القهار .. الأحد الفرد الصمد .. الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .. فيطوى السماوات والأرض بكل ماحوتا من مخلوقات فانية ميتة لا حياة فيها كطى السجل للكتاب .. فيقبض الأرض جميعا .. والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى .. ويتجلى بعظمته وجبروته .. ينادى بمنتهى القوة والعظمة الإلهية الجبارة .. ينادى الملك القدوس المهيمن

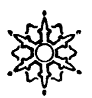
ويقول : أين ملوك الأرض ! أين الجبارون ! أين المتكبرون ! لمن الملك اليوم ؟!

لا أحد يرد .. فلم يبق إلا وجهه ذو الجلال والإكرام .. والكون كله فان بين يديه .. فى حالة سكون .. سكون .

ثم يكرر سبحانه وتعالى ويقول مرة أخرى : لمن الملك اليوم ؟! .

فما من سميع ولا من مجيب ، ولآخر مرة يقولها عز وجل ثم يجيب بنفسه فيقول : (لمن الملك اليوم ؟! لله الواحد القهار)[1] .

صدق الله العظيم



---

(١) غافر — ١٦ .

قالوا عن الكتـــاب

من خلال طبعات الكتاب السابقة .. وفى فترة لا تتعدى عاماً نوقش فى إذاعة البرنامج الثانى وفى بعض الجرائد والمجلات .. منها على سبيل المثال : جريدة الأخبار .. شباب بلادى .. النادى (مجلة شهرية يصدرها نادى المعادى الرياضى واليخت) .. سيدتى (مجلة أسبوعية سعودية مركزها الرئيسى بلندن) .. أسرتى (بعمان) .. أنباء المعادى (جريدة أسبوعية) .. الصناعة والاقتصاد .

ولنعرض مقتطفات مما نشر عن كتاب علامات الساعة الصغرى والكبرى .

جريـدة الأخبـــار

العدد رقم ١٠٦٨٤ بتاريخ ٩ ذى الحجة ١٤٠٦ هـ- ١٤ أغسطس ١٩٨٦ م .

(**للنقد فقط**) .

ونحن نحتفل اليوم (بوقفة عرفات) أهدتنى الأديبة (ليلى مبروك) كتابا من تأليفها عنوانه (علامات الساعة الصغرى والكبرى) فماذا قدمت فيه ؟!

الواقع أنى حائر فى تصنيف هذا الكتاب .. هل هو كتاب فى التاريخ ؟! أم هو كتاب فى التفسير ؟! إن المؤلفة تحاول تفسير كل التفاصيل الكونية بالمنطق العلمى ، على أساس أن العلم ما زال فى بحث مستمر عن الحقيقة ، وأن ما وصل إليه من نتائج جاء بعد تجارب وبحوث متعددة ، وفى هذا المجال تؤكد المؤلفة أن العلم لن يصل إلى الحقائق بالفعل إلا عند الوصول إلى حقيقة ما أنزل إلينا من كتاب العليم الحكيم .

من مزايا هذا الكتاب أن معظم المعلومات والأحداث التى قدمتها لنا المؤلفة استندت فى روايتها إلى مراجع كثيرة .. فمثلا فى الجزء الخاص بالكعبة المشرفة رجعت إلى تفسير ابن كثير ، وكتب حسنين مخلوف وعبد الوهاب النجار ومحمد فؤاد عبد الباق .. وفى الجزء الخاص (بقصة إبليس) رجعت إلى كتب أحمد الحلوانى ومصطفى فهمى الحكيم .. وهكذا .

هذا يؤكد حرص المؤلفة على البحث عن الحقائق .. أيضا من مزاياها أنها تناولت موضوعات لا يتناولها غير المتعمقين فى الدراسة ، وعرضتها بأسلوب سهل ، وفسرت المعانى بتبسيط .

وبمناسبة وقفة عرفات – اليوم – واحتفالاتنا بموسم الحج وبالعيد أذكر أنها خصصت جزءا كبيرا من كتابها للحديث عن الكعبة وتاريخها وما روى عنها .. أيضا روت كيف حاول (أبرهة) هدم الكعبة ، وروت بعض ما أنشده العرب وقتئذ من الأشعار فى أصحاب الفيل .. فمثلا سجلت القصيدة التى أنشدها (عبد الله بن الزبعرى) ومنها قوله : (وتنكلوا عن بطن مكة أنها – كانت قديما لا يرام حريمها – لم تخلق الشعرى ليالى حرمت – إذ لا عزيز من الأنام يرومها – سائل أمير الجيش عنها ما رأى – فلسوف ينبى الجاهلين عليمها – ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم – بل لم يعش بعد الأياب سقيمها) .

أيضا روت كيف أعادت قريش بناء الكعبة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام بزمان طويل ..

تفاصيل كثيرة روتها المؤلفة وتحدثت فيها عن الكعبة الشريفة فى مختلف المراحل .

كتاب حافل بالمعلومات المفيدة والمبسطة ، فهل أهنىء المؤلفة لأنها قدمت كتابا يفيد القارىء المتخصص والقارىء العادى ؟!

عبد الفتاح البارودى

مجلــة النــادى

عقدت ندوة ثقافية فى نادى المعادى لمناقشة الكتاب .. دار حوار حول الآية الكريمة : ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى** ﴾ ..

هناك بعض الآراء التى استدلت بتلك الآية الكريمة على أن عيسى عليه السلام قد توفى ثم رفعت روحه إلى السماء وبناء على هذا فإنه لن يعود فى آخر الزمان ، وللكاتبة رأى نشر فى مجلة النادى – العدد السابع عشر – ديسمبر ١٩٨٦ – ربيع أول ١٤٠٧ هـ.

علامات الساعة الصغرى والكبرى

ليلى مبروك

اختلف العلماء فى تفسير ذلك الجزء من الآية ٥٥ – سورة آل عمران – لكن الغالبية العظمى أجمعت على أن كلمة الوفاة هنا معناها النوم وليس الموت .. وقد وردت فى أكثر من آية بمعنى النوم كما قال تعالى : ﴿ **وهو الذى يتوفاكم بالليل** ﴾ .. وقال أيضا عز وجل : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها** ﴾ .

وكان رسول الله ﷺ يقول إذا قام من النوم : « الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا » .

لو فكرنا فى معنى الموت لوجدناه انفصال الروح عن الجسد انفصالا كليا نهائيا فى الدنيا .. حيث يعود كل إلى أصله .. الروح إلى بارئها .. والجسد إلى الأرض ، أما النوم فهو انفصال الروح عن الجسد انفصالا جزئيا مؤقتا ؛ ولذلك سمى بالموتة الصغرى .

وقد أجمع المفسرون على أن رفع عيسى كان بالجسد والروح معا أى لم ينفصل أحدهما عن الآخر انفصالا كليا ؛ ولم يعد كل إلى أصله ؛ بل رفعا معا إلى السماء . ونفهم من ذلك أن الوفاة هنا بمعنى النوم أو الإغماء المؤقت ويؤكد ذلك الآيات ١٥٧ : ١٥٩ من سورة النساء التى منها قوله تعالى : ﴿ **وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه** ﴾ .. ومنها أيضا : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا** ﴾ ..

اختلف المفسرون حول تلك الآية الكريمة الأخيرة ، فمنهم من قال أن (قبل موته) تعود على الكتابى ، أى أن كل كتابى لا يموت حتى يؤمن بعيسى وبمحمد عليهما الصلاة والسلام ؛ وذلك لأن كل إنسان عند احتضاره يتضح له ما كان جاهلا به فيؤمن به .

ولا أميل إلى هذا الرأى لأن الإيمان لحظة الاحتضار لا ينفع صاحبه ما لم يكن قد آمن من قبل .

أما الرأى الذى أعتقد فى صحته فهو أن جميع أهل الكتاب سوف يؤمنون بعيسى وبمحمد عليهما الصلاة والسلام قبل موت عيسى ولن يتخلف منهم أحد ، وذلك لم يحدث بعد بل أن اليهود وهم من أهل الكتاب هم الذين هموا بصلبه وقتله فرفعه الله إليه ليعود فى آخر الزمان ويؤمن به الجميع .. وحين ينزل عيسى فى آخر الزمان لم ينزل كنبى جديد برسالة جديدة بل أنه يدعو إلى دين الله الذى بدأ بإبراهيم أبو الأنبياء وختم بمحمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

الإنسان يجتهد ، وهذا واجب عليه ، لكن العلم الحقيقى ليس عندى ولا عندكم بل هو عند الله .

جريدة الصناعــة والاقتصـــاد

العدد رقم ١١ بتاريخ أول مارس ١٩٨٧ م – رجب ١٤٠٧ هـ .

علامات الساعة الصغرى والكبرى

تأليف : ليلى مبروك

تقديم : مصطفى كامل فليفل

* عندما أهدتنى الكاتبة الشابة ليلى مبروك (مختصر الروح) لابن القيم .. رحلة مع الروح فى العالم الآخر (تحقيق وتعليق) فى كتيب صدر لها عام ٨٤ أسعدنى أن أشيد بما حواه من موضوعات بالغة الأهمية . سبق لى قراءتها فى كتاب ضخم (ابن قيم الجوزية) حيث كانت سعادتى مستمدة من عدة أمور :

* التركيز الشديد واستخلاص الهام ، من ثنايا عديد من الصفحات لتقدمه فى عبارات موجزة – سهلة الايقاع . تصل إلى كافة العقول والأفهام بيسر كبير ..

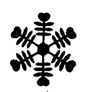
* سلامة الأسلوب فى التحقيق والتعليق بكلمات مفهومة وواضحة لخلاصة ما يهم القارىء معرفته من هذا البحث الكبير حول الروح .

* تدخلها لتبسيط ما قد يستغلق على القارىء بصورة لا تخدش مفهوم (ابن القيم) الذى أراده فى كتابه وكان هذا بصورة تعطى دلالة على قدرتها الذهبية فى التحصيل والامتصاص بمفهوم كبير ثم التوصيل والشرح بما يؤكد ملكتها الأدبية وموهبتها الأصيلة ..

كانت الاشارة بهذا العمل العظيم فى أحد ندوات جمعية رفاعة رافع الطهطاوى الأدبية التى شرفنى أعضاؤها بمنصب نائب رئيس الجمعية (الدكتور عبد العزيز حمودة) فى أول انتخاب لتكوين الجمعية .. وكان ختام كلمتى فى تلك الندوة قولى بأن محتوى (الكتيب) له فائدة لكل من يطلع عليه من الشباب خاصة الذين فاتهم الاطلاع على الكتاب الأصلى ..

★ ومنذ شهور قليلة . كانت المفاجأة الكبرى لى . مفاجأة أدهشتنى بقدر ما أسعدتنى ، فلقد أهدتنى نفس الكاتبة الشابة ليلى مبروك بكتاب ضخم يحمل عنوانا مهولا (علامات الساعة الصغرى والكبرى) .. كيف حدث ذلك ؟! إنها شابة فى بداية العقد الثالث من العمر ومحتوى الكتاب يحتاج لمراجع لا حصر لها .. وبحوث عدة فى كثير من المراجع والكتب والاهتداء بكلمة الحق فى القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم محمد صلوات الله عليه وسلامه .. وتضيف كل ذلك فى موضوع له أهمية قصوى . إن ذلك يحتاج إلى عقل مستنير وحكمة بالغة وتغلغل فى أعماق كل هذه المصادر لاستخراج الصورة الحقيقية لهذا الحدث الكبير . الحقيقة أننى توقفت قبل التوخى على قراءة هذا الكتاب طويلا وبى ظن أنه تجميع لموضوعات سبق نشرها إما فى كتب أو فى مقالات وقد وظفت فكرها فى ذلك ليصبح لها كتاب يجمع ما حشد به من موضوعات .. غير أننى حينما وفقنى الله أخيرا لقراءة متأنية ومتأملة لفحوى الكتاب فوجئت بما لم يكن فى حسبانى .. وجدت الأستاذة والأخت المؤمنة ليلى مبروك قد تغلغلت فى صميم الموضوع بصورة تشهد لها بصفاء الذهن والقلب والروح لدرجة بعيدة . فقد قرأت قبل كتابها العديد من الكتب كل واحد منها يمثل غصنا فى حديقة أو فرع فى شجرة . بينما وجدتنى وأنا أنهى كتابها أننى كنت أجول فى روضة كاملة كلها أزهار ورياحين وأشجار باسقة وفروع ترتفع إلى عنان السماء . فقد استشهدت بكل ما كتب حول هذا الموضوع بداية من قول الحق جل جلاله إلى الرجوع لأحاديث الرسول الكريم مع مراجعة دقيقة لكل كتب الفقه وما سجله جل العلماء منذ كتب عن هذا الموضوع حتى الآن ولم يكن فضلها ذلك فقط . وإنما فضلها الأكبر فى تلك البلاغة التى تصل فى بساطتها وسهواتها ورشاقة الأسلوب وجماله إلى الذرى .. لقد اهتز قلبى وخشع وسجدت لعظمة الله وقدرته وجبروته خشية ورهبة وشكرا على نعمة العقل التى أدت إلى فهم هذه الأمور التى كرست الكاتبة وقتها فى عبادة حقيقية لتسجل كل هذه الموضوعات باحساس وشعور يتدفقان فى كل جزء من أجزاء الكتاب ، الذى حشدت له الأدلة والأسانيد مستلهمة الشواهد الحقيقية له بصورة هى الكمال فى أوج صوره ... بارك الله فى هذا التطوع النبيل لأديبة شابة .. انجرفت بكليتها وكل

صغيرة وكبيرة لتضعها فى بوتقة ذاتها الثرية . وبلمحات من موهبتها الأصيلة ، استطاعت أن تصل إلى ما وصلت إليه من ابداع فكرى ، الحصول عليه لا يتم إلا بجهود خلاقة . وكان لذلك قوة دافعة لى أن أكتب هذه العجالة منها إلى هذا الكتاب المفيد للجميع والذى أدعو الله أن يجزيها به خير الجزاء .



الفهرســت

الموضــوع	صفحة
الساعة الصغرى	٩
موعد الساعة الكبرى	١٣
مفهوم الساعة	١٦
الباب الأول	١٩
أولا : العلامات التى ظهرت وانتهت	٢١
١ ــ بعثة نبى آخر الزمان	٢١
٢ ــ إنشقاق القمر	٢٣
٣ ــ خلافة أبى بكر الصديق	٢٤
٤ ــ خلافة عمر بن الخطاب	٢٤
٥ ــ فتح مصر	٢٥
٦ ــ هلاك قيصر وكسرى	٢٥
٧ ــ تحويل الخلافة إلى ملك	٢٦
٨ ــ الفتن	٢٧
(أ) مقتل عثمان بن عفان	٢٧
تتابع الفتن بعد مقتل عثمان	٢٩
(ب) واقعة الجمل	٣٠
(جـ) موقعة صفين	٣٢
(د) معركة النهروان	٣٣
(هـ) مقتل على بن أبى طالب	٣٤
٩ ــ الحسن يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين	٣٥
١٠ ــ مقتل الحسين	٣٥
١١ ــ قتال الهند والسند	٣٦
١٢ ــ خروج نار من أرض الحجاز	٣٦
١٣ ــ علامات أخرى	٣٦
ثانيا : العلامات الصغرى التى ظهرت ومازالت وستستمر	٣٩
الباب الثانى	٤٧
العلامات الكبرى التى لم تظهر بعد	٤٩
أولا : العلامات الدالة على اقتراب الساعة	٥١
١ ــ ظهور المهدى المنتظر	٥١

— نسبه ٥١
— ظهوره — صفته — ومدة حكمه ٥٢
— فتح القسطنطينية ٥٣
٢ — المسيخ الدجال ٥٧
— من هو الدجال ؟ شيطان ؟ أم إنسان ؟ ٥٨
— هل هو ابن صياد ؟ ٥٩
— حكاية الجساسة ٦٤
— الخلاصة فى حقيقة المسيخ الدجال ٦٨
— خروج الدجال بفتنته فى آخر الزمان ٦٩
— خطبة الرسول ﷺ عن الدجال ٧٥
— قصة المؤمن الذى يتحدى الدجال ٧٧
— الأماكن المحرم عليه دخولها — ومدة حكمه ٧٨
— سبب عدم ذكره صراحة فى القرآن ٨٠
— ماينجى من الدجال ٨١
— قصة إبليس وسر صراعه مع آدم ٨٣
— نهاية الدجال ٩٢
٣ — نزول عيسى عليه السلام ٩٥
٤ — خروج يأجوج ومأجوج ١٠٣
ملخص القصة منذ ظهور الدجال إلى مابعد موت يأجوج ومأجوج ١١٠
ثانيا : العلامات الدالة على قيام الساعة ١١٣
٥ — طلوع الشمس من مغربها ١١٣
٦ — خروج الدابة من الأرض ١١٩
٧ — الدخان ١٢٧
٨ — الريح الطيبة ١٣١
٩ — رفع الخير والجمال .. والقرآن ١٣٧
١٠ — هدم الكعبة المشرفة ١٤٣
— بداية خلق الكون ١٤٦
— طواف آدم ١٤٨
— بناء إبراهيم عليه السلام للبيت ١٤٩
— محاولة أبرهة لهدم الكعبة ١٥٢
— إعادة بناء قريش للكعبة ١٥٤
— احتراق الكعبة وبناؤها على يد عبد الله ابن الزبير ١٥٦
— أمر عبد الملك بن مروان بإعادة الكعبة كما كانت ١٥٧
— هدم الكعبة نهائيا فى آخر الزمان ١٥٨

١١ ـــ تتابع وشدة المطر والصواعق .. البراكين والزلازل ١٦١
(أ) المطر والصواعق ١٦١
(ب) البراكين والهزات الأرضية ١٦٢
ـــ تشبيه نار جهنم بباطن الأرض ١٦٤
الإنسان قطرة فى بحر عالم كبير لكن .. ١٦٧
الداء والشفاء على مستوى الانسان كفرد ١٦٨
الداء والشفاء على مستوى البشرية ككل ١٧١
ثالثا : قيام الساعة ١٧٩
تأملات فى الكون من خلال علم الله وحكمته ١٧٩
الوصول إلى آخر آخر الزمان ١٨٨
١٢ ـــ نار المحشر ١٩٢
النفخ فى الصور ١٩٦
قالوا عن الكتاب :
ـــ جريدة الأخبار
ـــ مجلة النادى
ـــ جريدة الصناعة والاقتصاد